



بحوث في السيرة النبوية (١)

# محمد نبي الإسلام

## الرحمة المهداة للعالمين

جوانب من حياة النبي ﷺ مع شيء من فوائدها

أبوحسام الدين

سيف النصر على عيسى الطرفاوي



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف إلا من أراد طبعه وتوزيعه مجاناً



## مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران آية: (١٠٢)]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ  
وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.



فإنه من دواعي سروري أن أنال شرف البحث والكتابة في حياة أفضل إنسان في الكون؛ بل أفضل مخلوق خلقه الله تعالى؛ وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب خاتم الأنبياء والمرسلين، أرسله ليكون خاتمة المرسلين للناس أجمعين، ورحمة للعالمين.

" أرسله الله رحمة للعالمين وإماما للمتقين وحجة على الخلائق أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته وتعزيزه وتوقيره ومحبته والقيام بحقوقه، وسد دون جنته الطرق، فلن تفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره. .. وكما أن الذلة مضروبة على من خالف أمره فالعزة لأهل طاعته ومتابعته قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] أي الله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد. " (١).

(١) مقدمة كتاب " زاد المعاد في هدي خير العباد " لابن قيم الجوزية



فإن موضوع السيرة موضوع كبير وذو شعب؛ فرسالة النبي ﷺ وحياته كلها رحمة للناس؛ بل رحمة للخلق كلهم، فإذا كانت الحيتان في جوف الماء يستغفرون لمعلم الناس الخير؛ فكيف بالنبي ﷺ، وهو الذي أرسله الله بالخير كله.

ودراسة السيرة فرض واجب على كل طالب علم؛ إذ بها يتعلق سنة النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وتقريراته، ويتعلق بها حياة النبي ﷺ الخاصة والعامة، وكل هذه الأشياء يتعلق به أحكاما شرعية مختلفة تهم كل مسلم، وإذا كان حب النبي ﷺ واجب على كل مسلم، فإن دراسة السيرة ومعرفة أحوال النبي ﷺ وأوصافه وأخلاقه باعثة على زيادة هذه المحبة في القلوب. وقد نهجت في هذا البحث نهجا يختلف نوعا ما عن كل كتب السيرة؛ من حيث الاستشهاد بالأحاديث والآيات وكثرتها.

ومن أجل ذلك شرعت في تقسيم البحث إلى فصول:

الفصل الأول: بداية من نسب النبي ﷺ وحتى بعثته

الفصل الثاني: من البعثة وحتى هجرته ﷺ إلى المدينة

الفصل الثالث: بشائر الفرحة

الفصل الرابع: النبي ﷺ في المدينة

الفصل الخامس: ماذا بعد الغزوات

وقد حاولت بقدر الإمكان الاختصار على الصحيح من السيرة دون ضعيفها



وذلك أيضا على سبيل الإجمال لا التفصيل. وقد قمت بتحقيق الأحاديث تحقيقا مختصرا، وبينت الضعيف من الصحيح من الحسن، ولم استشهد بالضعيف في أصل الموضوع. وذكرت أقوال أهل العلم في الحديث تعصيها. هذا وقد ضمنا البحث بعضا من أقوال غير المسلمين في النبي ﷺ والإسلام. ممن يظن فيهم أنهم منصفون، مع بيان خبث بعض هذه الأقوال ومكرها ولقد كان الاعتماد الأول في بحث السيرة من جهة المصادر على كتب السنة المعتمدة، وليس كتب السيرة إلا في ربط الأحداث حرصا على أن يكون لكل قول سند معتمد، أقل درجاته الحسن وذكرت بعض الدروس المستفادة من بعض الأحداث لإعانة القارئ على فهم السيرة النبوية فهما يساعده على إيجاد حلول لبعض مشكلاته في الحياة وجمعنا بين كلام السابقين في السيرة وبين كلام المعاصرين لربط الماضي بالحاضر وتقريب الأساليب المختلفة وقد تناولنا جوانب من السيرة في كتب أخرى منها: "الحوار في ضوء السيرة النبوية"، و"أخلاقيات الحرب في ضوء السيرة النبوية"، و"مظاهر الرحمة في شخصية النبي ﷺ"، و"العهد المكي خطوات على طريق الدعوة"، و"عوامل نجاح دعوة النبي ﷺ".

وسوف تتوالى الأبحاث في هذا الجانب العظيم ترى إن شاء الله تعالى؛ لتكون إضاءات في طريق كل إنسان يريد الحق والسير فيه، والهداية إلى سعادة الدارين.



هذا فإن كنت وفقت فمن فضل الله تعالى ومَنِّه وكرمه ورحمته، وإن أخطأت  
في شيء فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد إنه على  
كل شيء قدير. وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

سيف النصر علي عيسى

جمهورية مصر العربية

محافظة المنيا . مركز سمالوط . طرفا الكوم



## الفصل الأول

### من نسبه إلى بعثته

• أولاً: نسبه ﷺ

قال البخاري في "كتاب المناقب" من صحيحه:  
 بَابُ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ  
 مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ  
 مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ  
 مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

وعدنان من ولد إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام  
 فهو "خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق فلنسبه من الشرف أعلى ذروة  
 وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان  
 بين يدي ملك الروم فأشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته وأشرف  
 الأفتخاد فخذُه" (١) كما روى مسلم في صحيحه عن أبي عمارة شداد أنه سمع  
 وأثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله اصطفى كنانة

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (٧١/١)



مَنْ وَوَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى فُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ فُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ  
وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ<sup>(١)</sup>  
أما أم النبي ﷺ فهي: أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن  
مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب.

يقول القس الفرنسي لوازون في محاضرة له عن الرسول محمد ﷺ:  
(أواخر جميع الأنبياء كان يعتقد المسلمون هو محمد الذي ولد في مكة لعشر  
ليال مضت من إبريل سنة ٥٧٠ للميلاد، وكانت عائلته أشرف عائلة في  
قريش، وهي إحدى القبائل الشهيرة في بلاد العرب، وصاحب النسب المرتقي  
إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وقد كان جده متولياً سدانة الكعبة، وكانت  
دار حكومتهم، معبد ديانة العرب الوثنية)<sup>(٢)</sup>

#### • ثانياً: أسماءُه ﷺ

روى مسلم في صحيحه عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ  
ﷺ قَالَ: إِنَّ لِي أَسْمَاءَ أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي  
الْكَفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ  
بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رِءُوفًا رَحِيمًا.<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٦)، والترمذي في سننه (٣٦٠٥)، وأحمد في مسنده (١٧٠٢٨)،

وعبد الرزاق في مصنفه (٣١٧٣)

(٢) القس لوازون: نقلا عن المقتطف، ج ٤، عدد ٧.

(٣) مسلم (٤٣٤٣)، وقد أخرجه البخاري أيضا (٤٥١٧)



ولقد ورد بعض هذه الأسماء في القرآن: فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبًا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦]

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]

وأضاف ابن قيم الجوزية أسماء أخرى:

منها المتوكل والمقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة ونبي الملحمة والفتاح والأمين ويلحق بهذه الأسماء: الشاهد، والمبشر، والبشير، والنذير، والقاسم، والضحوك والقتال، وعبدالله، والسراج المنير، وسيد ولد آدم، وصاحب لواء الحمد، وصاحب المقام المحمود، وغير ذلك من الأسماء؛ لأن أسماءه إذا كانت أوصاف مدح فله من كل وصف اسم؛ لكن ينبغي أن يفرق بين الوصف المختص به، أو الغالب عليه، ويشتق له منه اسم، وبين الوصف المشترك فلا يكون له منه اسم يخصه.

وأسماءه نوعان:



أحدهما: خاص لا يشاركه فيه غيره من الرسل، كمحمد وأحمد والعاقب والحاشر والمقفى ونبي الملحمة والثاني: ما يشاركه في معناه غيره من الرسل؛ ولكن له منه كماله فهو مختص بكماله دون أصله كرسول الله ونبيه وعبده والشاهد والمبشر والناذير ونبي الرحمة ونبي التوبة وأما إن جعل له من كل وصف من أوصافه اسم تجاوزت أسماءه المائتين كالصادق والصدوق والرؤوف الرحيم إلى أمثال ذلك وفي هذا قال من قال من الناس إن لله ألف اسم وللنبي ألف اسم قاله أبو الخطاب بن دحية ومقصوده الأوصاف<sup>(١)</sup>

### شرح معاني أسمائه ﷺ

١- محمد: فهو اسم مفعول من حمد فهو محمد، إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها، ولذلك كان أبلغ من محمود، فإن محمودا من الثلاثي المجرد، ومحمد من المضاعف للمبالغة، فهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر  
٢- أحمد: فهو اسم على زنة أفعل التفضيل مشتق أيضا من الحمد. وقد اختلف الناس فيه هل هو بمعنى فاعل أو مفعول؟ فقالت طائفة: هو بمعنى الفاعل، أي حمدهُ لله أكثر من حمدهِ غيره له، فمعناه: أحمد الحامدين لربه  
٣. وأما الماحي، والحاشر، والمقفى، والعاقب، فقد فسرت في حديث جبير بن مطعم، فالماحي: هو الذي محاه الله به الكفر، ولم يمح الكفر بأحد من

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (١/٨٧ - ٨٩) باختصار



الخلق ما يحيى بالنبى ﷺ ، فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار إلا بقايا من أهل الكتاب، وهم ما بين عبّادِ أوثان، ويهود مغضوب عليهم، ونصارى ضالين، وصابئة دهرية لا يعرفون ربا ولا معادا، وبين عبّاد الكواكب، وعبّاد النار، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء، ولا يقرون بها، فمحا الله سبحانه برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار.

٤- وأما الحاشر، فالحشر هو الضم والجمع، فهو الذي يُحشّر الناس على قدمه، فكأنه بُعث ليحشر الناس.

٥- والعاقب: الذي جاء عقب الأنبياء، فليس بعده نبي، فإن العاقب هو الآخر، فهو بمنزلة الخاتم، ولهذا سمي العاقب على الإطلاق، أي: عقب الأنبياء جاء بعقبهم

٦- وأما الملقى فكذلك، وهو الذي قفى على آثار من تقدمه، فقفى الله به على آثار من سبقه من الرسل، وهذه اللفظة مشتقة من القفو، يقال: قفاه يقفوه: إذا تأخر عنه، ومنه: قافية الرأس، وقافية البيت، فالملقى: الذي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم.

٧- وأما نبي التوبة: فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله

٨- وأما اسمه المتوكل، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو قال: قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ: محمد رسول الله، عبدي ورسولي، سميته المتوكل،



ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، بل يعفو ويصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: (لا إله إلا الله) وهو ﷺ أحق الناس بهذا الاسم؛ لأنه توكل على الله في إقامة الدين توكلًا لم يشركه فيه غيره.

٩. وأما نبي الملحمة، فهو الذي بُعث بجهد أعداء الله، فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله ﷺ وأمته، والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله، فإن أمته يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار، وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم

١٠. وأما نبي الرحمة، فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة، وأما الكفار فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده، وأما من قتله منهم هو وأمته فإنهم عجلوا به إلى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة.

١١. وأما الفاتح، فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجًا، وفتح به الأعين العمي والآذان الصم والقلوب الغلف، وفتح الله به أمصار الكفار، وفتح به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح ففتح به الدنيا والآخرة والقلوب والأسماع والأبصار والأمصار.



١٢- وأمَّا الأمين، فهو أحق العالمين بهذا الاسم، فهو أمين الله على وحيه ودينه، وهو أمين من في السماء، وأمين من في الأرض، ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين.

١٣- وأمَّا الضحوك القتال، فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر، فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين غير عابس ولا مقطب ولا غضوب ولا فظ، قتال لأعداء الله لا تأخذه فيهم لومة لائم.

١٤- وأمَّا البشير، فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب، والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب، وقد سماه الله عبده في مواضع من كتابه منها، قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ٢٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [التخيم: ١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] وَتَبَّتْ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَسَمَّاهُ اللَّهُ سِرَاجًا مُنِيرًا وَسَمَّى الشَّمْسَ سِرَاجًا وَهَاجًا»

١٥- والمنير: هو الذي ينير من غير إحراق، بخلاف الوهاج فإن فيه نوع إحراق وتوهج. (١)

(١) زاد المعاد (١/ ٨٧ - ٩٤) باختصار



ثالثا: حادثة الفيل وبعض الفوائد المستنبطة منها

قبل مولد النبي ﷺ وقعت أحداث عظام من أهمها حادث الفيل وأصحابه، هذا الحدث كان في العام الذي ولد فيه النبي ﷺ. وقد كان له أثر عظيم في نفوس الناس لما شاهدوا انتقام الله تعالى لبيته الحرام، وكيف أهلك هؤلاء القوم. وقد أخبر الله تعالى نبيه عنها، وأنزل سورة باسم الفيل؛ فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)﴾ [الفيل: ١-٥]

والقصة:

أنه لما رأى أبرهة - ملك اليمن - " الناس يتجهزون أيام الموسم للحج إلى بيت الله الحرام فسأل: أين يذهب الناس؟ فقيل له: يحجون إلى بيت الله بمكة.

قال: ما هو؟ قالوا من حجارة؟ قال: فما كسوته؟ قالوا: ما يأتي من ها هنا من الوصائل.

قال: والمسيح لأبنين لكم خيرا منه.

فبنى لهم كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء مزخرفة الأرجاء، فسمتها العرب القليّس؛ لارتفاعها؛ لأن الناظر إليها يكاد تسقط قلنسوته عن رأسه؛ لارتفاع بنائها، ونقل من قصر بلقيس ما تحتاج إليه، واستدل أهل اليمن في بنيان



هذه الكنيسة، وبنائها بالرخام المجزع والأبيض والأحمر والأصفر والأسود، وحلاه بالذهب والفضة وفصل بينهما بالجواهر، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنس، وكان يوقد فيها بالمندل ويلطخ جدرها بالمسك، وكان حكمه في العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ في عمله أن يقطع يده، فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهي امرأة عجوز فتضرعت إليه تشفع لابنها وأبى إلا أن يقطع يده، فقالت: اضرب بمعولك اليوم لك وغدا لغيرك.

فقال: ويحك ما قلت؟ قالت: نعم، صار هذا الملك من غيرك إليك، وكذلك يصير إلى غيرك: فأخذته موعظتها وأعفى الناس من ذلك. ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك قبلك، ولست بمنته حتى أصرف حج العرب إليها. فأمر الناس فحجوها، فحججه كثير من قبائل العرب سنين، ومكث فيها رجال يتعبون ويتألمون ونسكوا له." (١)

"فلما هلك بعد ذلك أبرهة وتفرقت الحبشة كان من يتعرض لأخذ شيء من بنائها وأمتعها أصابته الجن بسوء، وذلك لأنها كانت مبنية على اسم

(١) سبل الهدى والرشاد لابن الشامي (٢١٥/١)



صنمين، كعيب وامراته، وكان طول كل منهما ستون ذراعاً، فتركها أهل اليمن على حالها.

فلم تنزل كذلك إلى زمن السفاح أول خلفاء بني العباس، فبعث إليها جماعة من أهل العزم والحزم والعلم فنقضوها حجراً حجراً ودرست آثارها إلى يومنا هذا.<sup>(١)</sup>

اغتاظ بعض العرب من بني كنانة من فعل أبرهة، وإجبار الناس على الحج لكنيستته؛ فذهب إلى الكنسية وتغوط فيها<sup>(٢)</sup>

فلم بلغ الخبر أبرهة وعلم من الذي فعل ذلك " وحلف أنه يسير إلى الكعبة فيهدمها، فخرج ملك من ملوك حمير فيمن أطاعه من قومه يقال له ذو نفر، فقاتله أبرهة وأخذه، فلما أتى له ذو نفر قال له: أيها الملك لا تقتلني؛ فان استبقائي خير لك من قتلي.

فاستبقاه وأوثقه، ثم خرج سائراً يريد الكعبة، حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه النفيل بن حبيب الخثعمي ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه، فهزمهم، وأخذ النفيل، فقال النفيل: أيها الملك إني عالم بأرض العرب فلا تقتلني، وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة، فاستبقاه وخرج معه يدله، حتى إذا بلغ الطائف خرج معه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال:

(١) السيرة النبوية لابن كثير (٣٠/١)

(٢) أنظر في ذلك الروض الأنف للسهيلي (١١٥/١)، وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد

(٩١/١)، وتأريخ الطبري (٥٥١/١)



أيها الملك نحن عبيد لك ليس لك عندنا خلاف، وليس بيننا وبينك الذي تريد يعنون اللات، إنما تريد الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه مولى لهم يقال له أبو رغال، فخرج معهم حتى إذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي رجم قبره، وبعث أبرهة من المغمس رجلا يقال له الأسود بن مقصود على مقدمة خيله، فجمع إليه أهل الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير بالأراك، ثم بعث أبرهة حنطة الحميري إلى أهل مكة فقال: سل عن شريفها، ثم أبلغه أني لم آت لقتال؛ إنما جئت لأهدم هذا البيت، فانطلق حنطة حتى دخل مكة، فلقي عبد المطلب بن هاشم فقال: إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال إلا أن تقتلوه إنما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف فقال عبد المطلب ما عندنا له قتال فقال سنخلي بينه وبين البيت فان خلى الله بينه وبينه فهو الله ما لنا به قوة قال فانطلق معي إليه قال فخرج معه حتى قدم المعسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال: يا ذا نفر هل عندكم من غناء فيما نزل بنا؟

فقال: ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة وعشية، ولكن سأبعث لك إلى أنيس سائس الفيل، فأمره أن يضع لك عند الملك ما استطاع من خير، ويعظم خطرك ومنزلتك عنده، قال: فأرسل إلى أنيس فأتاه، فقال: إن هذا سيد قريش صاحب عين مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه صديق لي، فدخل أنيس على أبرهة فقال، أيها الملك هذا سيد قريش



وصاحب عين مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له؛ فقد جاءك غير ناصب لك، ولا مخالف عليك، فأذن له، وكان عبد المطلب رجلا عظيما جسيما وسيما، فلما رآه أبرهة عظمة وأكرمه وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته، فهبط إلى البساط، فجلس عليه معه، فقال له عبد المطلب: أيها الملك إنك قد أصبت لي مالا عظيما فاردده علي، فقال له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت فيك، قال: ولم؟، قال: جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وعصمتكم ومنعتكم لأهدمه فلم تكلمي فيه وتكلمي في مائتي بعير أصبتها لك!!!

قال: أنا رب هذه الإبل ولهذا البيت رب سيمنعه

قال: ليمنعه مني؟. قال: فأنت وذاك

قال: فأمر بإبله فردت عليه، ثم خرج عبد المطلب وأخبر قرشا الخير وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب وأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وعبى جيشه وقرب فيله وحمل عليه ما أراد أن يحمل وهو قائم فلما حركه وقف وكاد أن يرمز إلى الأرض فبرك فضربوه بالمعول في رأسه فأبى فأدخلوا محاجينهم تحت أقرانه ومرافقه فأبى فوجهوه إلى اليمن فهرول فصرفوه إلى الحرم فوقف ولحق الفيل بجبل من تلك الجبال فأرسل الله الطير من البحر كالبلسان مع كل طير ثلاثة أحجار حجران في رجله وحجر في منقاره ويحملن أمثال الحمص والعدس من الحجارة فإذا غشين القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة



أحد إلا هلك وليس كل القوم أصحاب فذلك قوم الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بصاحب الفيل<sup>(١)</sup>  
ومن فوائد هذا الحدث لعظيم:

١- إن الملوك إذا دخلوا بلدة ولم يكن لهم وازع الدين والعدل حل فسادهم على العباد والبلاد كما قال تعالى على لسان بلقيس: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]  
٢- أن دولة الظلم قصيرة العمر وإن كانت مسلمة، ودولة العدل طويلة المدى وإن كانت كافرة

٣- اعتزاز العرب بأنفسهم وغيرتهم على بيت الله رغم ما وقعوا فيه من شرك ووثنية ولوثوا بيته بالأصنام.

٤- إذا عجز البشر عن مقاومة الظالم فليس أمامهم غير الله تعالى يستغيثون به، والله يرسل إليه جندا من عنده فيهلكه شر هلكة، وهذا ما فعله عبد المطلب حين قام فأخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله تعالى ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال:

لا هم إن العبد يمنع رحله فامنع رجالك  
لا يغلبن صليهم ومحالم غدوا محالك

(١) ذكره ابن حبان في الثقات (١/ ١٨-٢٠) وانظر المصادر السابقة، وأيضاً والسيرة لابن كثير (٣٠٤٤/١)



إن كنت تاركهم وقلبتنا فأمر ما بدا لك <sup>(١)</sup>

٥- وثوق عبد المطلب جد النبي ﷺ بنصر الله لبيته الحرام، فإذا كان الكافر يثق بنصر الله، فالمؤمن أولى وأحق بهذه الثقة، وحسن الظن بالله

٦- معرفة الكائنات من غير الثقلين . الإنس والجن . بمكانة بيت الله وشرفه عند الله تبارك وتعالى فرفض الفيل أن يتقدم لهدمه .

٧ . ولد النبي ﷺ في هذا العام الذي نجى الله فيه بيته من بطش الجبابرة، وكان هذا نبوءة بمولده ﷺ

٨ . عظم قدرة الله تعالى، فلم يفلح البشر بقوتهم في صد هذا العدو فأرسل الله له طيرا صغيرا أضعف من البشر ليقضوا على كبريائه وجبروته .

٩. ازداد تعظيم الناس لبيت الله الحرام بعدما شاهدوا بأعينهم كيف أهلك الله عدوه

١٠ . في هذه الحادثة رد على من يزعم أن الطواف بالبيت عقيدة وثنية، فلو كانت كما يزعمون لترك الله أبرهة يهدمها. كما فعل بكنيسة أبرهة على يد السفاح العباسي

١١ . " ونظراً لأهمية هذا الحادث صار العرب يؤرخون به؛ إذ لو تغلب أبرهة على قريش وتم له هدم الكعبة لأدخلت الديانة المسيحية مكة وأرغم العرب

(١) السيرة النبوية لابن كثير (١/٣٥)، وانظر: سبل الهدى والرشاد (١/٢١٩)

ومحالم: أي قوتهم وبطشهم



على اعتناقها لأن اليمن كانت تابعة لأمراء الحبشة المسيحيين وأرغم كثير من أهلها سواء من عباد الأصنام أو اليهود على اعتناق المسيحية وكانت قريش تؤرخ السنين بموت قصي بن كلاب لجلالة قصي، فلما كان عام الفيل أرخت به.

وقد ذكرت حادثة الفيل في القرآن قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)﴾ [سورة الفيل].

يخبر الله تعالى رسوله بما حدث لأصحاب الفيل أي الجيش الذي سار لهدم الكعبة، ومعهم الفيل وما كان من انهزامهم بما سلطه الله عليهم من جماعات الكير ترمي العدو بحجارة من سجيل، وتفسير السجيل، طين يابس أو متحجر. وورد ذكر السجيل أيضاً في القرآن في سورة الحجر، قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، أي على قوم لوط، وقال في سورة هود: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ﴾ [هود: ٨٢].

وقد أخطأ من فسره بالميكروب، لأن اللفظ لا يفيد ذلك في اللغة، وقد فتكت هذه الأحجار الصغيرة بالجيش الهاجم فعاد مهزوماً من غير أن يبلغ مأربه، وجعلهم كعصف مأكول أي كورق زرع تأكله الدواب، فلما أصيبوا بهذه الحجارة تساقط لحومهم، فإن قيل: كيف يتصور أن هذه الحجارة



الصغيرة تفتك بالجيش؟ فهذه قدرة الله سبحانه وتعالى، وقد كان قادراً على أن يهزمهم ويردهم من غير أن يسلط عليهم الطير ولكنه جعل ذلك سبباً. وبانهزام الحبشة كما تقدم حفظ الله بيته الحرام من أن يهدم، وقد صار فيما بعد قبلة المسلمين في جميع أقطار الأرض." (١)

#### • رابعاً: ولادته ﷺ

ولد النبي ﷺ بعد واقعة الفيل الشهيرة بخمسين يوماً " صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول الموافق لليوم العشرين من أبريل سنة (٥٧١) من الميلاد،<sup>٢</sup> وهو يوافق السنة الأولى من حادثة الفيل، وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم، وكانت قابله (٣) الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، ولما ولد أرسلت أمه لجدته تبشّره، فأقبل مسروراً وسمّاه محمداً، ولم يكن هذا الاسم شائعاً قبل عند العرب، ولكن أراد الله أن يحقق ما قدره وذكره في الكتب التي جاءت بها الأنبياء كالتوراة والإنجيل، فألهم جدّه أن يسمّيه بذلك إنفاذاً لأمره، وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية، أمة أبيه عبد الله، وأول من أرضعه تُويّبه أمة عمه أبي لهب. (٤)

(١) سيدنا محمد للشيخ رشيد رضا

(٢) أنظر كتاب تقويم الأزمان لعبد الله بن إبراهيم بن محمد السليم ص ١٤٣

(٣) القابلة هي المولدة للنساء، سميت قابلة لأنها تستقبل الأطفال بيديها

(٤) نور اليقين من سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري ص ١٢



ولحكمة أرادها الله تعالى أن يموت الأبوان قبل أن ينشأ ﷺ النشأة التي يمكن أن يميز فيها فقد الوالدين، وكان عبد الله بن عبد المطلب قد تزوج من آمنة بنت وهب، وهي يومئذٍ من أفضل نساء قريش نسبًا، وأكرمهن ذكرًا، ولكن لم يمكث عبد الله مع زوجته إلا وقتًا قصيرًا ثم خرج في رحلة تجارية إلى الشام فأبوه عبد الله لما تزوج آمنة وحملت مات والنبي ﷺ حملٌ على أظهر أقوال أهل العلم<sup>(١)</sup>، وقد شاء الله أن ترجع القافلة التجارية من الشام ويتخلف عبد الله بالمدينة عند أخواله من بني عدي بن النجار لشدة مرضه حيث أدركته الوفاة، وزوجته آمنة في شهور الحمل الأولى وكان عمره ثمانية عشر عامًا،<sup>(٢)</sup> ودُفن في دار النابغة أي في دار النابغة الجعدي أحد شعراء الجاهلية. يقول الفيلسوف الهندوسي ك. س. رامكرشنه راو / أستاذ الفلسفة بجامعة ميسور في الهند:

ولد محمد وفقا لما قرره المؤرخون المسلمون في صحراء الجزيرة العربية يوم العشرين من شهر إبريل في عام خمسمائة وواحد وسبعين بعد المسيح. واسمه يعني " المثني عليه أو الممدوح أو المحمود حمدا كثيرا " وهو بالنسبة لي أعظم عقل مفكر أنجبته الجزيرة العربية على الإطلاق.

(١) أنظر تفصيل الأقوال : الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء لمغلطاي(ص: ٦٣)،

والسيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٠٥)

(٢) القول المبين في سيرة سيد المرسلين محمد الطيب النجار (ص: ٨٢)



إنه أعظم بكثير من جميع الشعراء والملوك الذين عاشوا قبله أو جاءوا بعده في هذه الصحراء المعزولة ذات الرمال الحمراء.

وحيثما ظهر محمد لم تكن الجزيرة العربية شيئاً مذكوراً. ومن هذه الصحراء التي لم تكن شيئاً مذكوراً استطاع محمد بروحه العظيمة أن ينشئ منها عالماً جديداً، وحياة جديدة، وثقافة جديدة، وحضارة جديدة، ومملكة جديدة، امتدت من مراكش إلى شبه القارة الهندية، وأن يؤثر في فكر وحياة ثلاث قارات هي آسيا وإفريقية وأوروبا.<sup>(١)</sup>

هذا الكلام من هذا الفيلسوف هو نوع من المكر والخديعة والتضليل في صورة الثناء على النبي ﷺ، فلم يكن النبي ﷺ مفكراً ولم يُنشئ عالماً بفكره وروحه كما ادعى هذا الهندوسي؛ بل النبي ﷺ عبداً بشراً أمياً لا يقرأ ولا يكتب أوحى الله تعالى له بالقرآن عن طريق جبريل عليه السلام، وحمل له رسالة ربه وأمره أن يبلغها للناس أجمعين دون زيادة ولا نقصان قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]

(١) عن كتاب محمد المثال الأسمى للشيخ أحمد ديدات ص ١٢، والكتاب فيه أخطاء كثيرة من حيث

تصوره عن سيرة النبي ﷺ



وقال تعالى على لسان نبيه: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]

ومما يؤسف أن يخدع بكلامه أعلاما من المسلمين الذين يدافعون عن النبي ﷺ ويظنون أنه يقول الحق.

### خامسا: ماذا حدث بعد ولادته

وقعت أحداث بعد أن ولد النبي ﷺ مباشرة تدل على نبوته

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري:

وروى يعقوب بن سفيان بإسناد حسن عن عائشة قالت: "كان يهودي قد سكن مكة، فلما كانت الليلة التي ولد فيها النبي ﷺ قال: يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟

قالوا: لا نعلم

قال: فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة بين كتفيه علامة، لا يرضع ليلتين؛ لأن عفريتاً من الجن وضع يده على فمه، فانصرفوا فسألوا، فقيل لهم: قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام، فذهب اليهودي معهم إلى أمه فأخرجته لهم، فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشيا عليه، وقال: ذهب النبوة من بني إسرائيل، يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب"



قلت: ولهذا القصص نظائر يطول شرحها، ومما ظهر من علامات نبوته عند مولده وبعده ما أخرجه الطبراني عن عثمان بن أبي العاص الثقفي عن أمه أنها حضرت آمنة أم النبي ﷺ فلما ضربها المخاض قالت: فجعلت أنظر إلى النجوم تدلى حتى أقول لتقعن علي، فلما ولدت خرج منها نور أضاء له البيت والدار.

وشاهده حديث العرياض بن سارية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَلِدٌ فِي طَبِئَتِهِ<sup>(١)</sup>، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: إِنِّي دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةَ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ»، وكذلك أمهات النبيين يرين، وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام.

أخرجه أحمد وصححه بن حبان والحاكم<sup>(٢)</sup>.  
وفي حديث أبي أمامة عند أحمد نحوه.

(١) قال البغوي في شرح السنة (١٣/٢٠٧): قوله: "لمنجدل" أي: مطروح على وجه الأرض صورة من طين، لم يجر فيه الروح بعد. ودعوة إبراهيم عليه السلام قوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩] وبشارة عيسى عليه السلام قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

(٢) قال شعيب الأرنؤوط في مسند أحمد بن حنبل (٤/١٢٧): حديث صحيح لغيره دون قوله: "وكذلك أمهات النبيين ترين"



وأخرج بن إسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ نحوه وقالت: " أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ " وروى بن حبان والحاكم في قصة رضاعه صلى الله عليه وسلم من طريق بن إسحاق بإسناده إلى حليلة السعدية الحديث بطوله <sup>(١)</sup>

وفيه من العلامات كثرة اللبن في الثديها ووجود اللبن في شارفها بعد الهزال الشديد وسرعة مشي حمارها وكثرة اللبن في شياهاها بعد ذلك وخصب أرضها وسرعة نباته وشق الملكين صدره وهذا الأخير أخرج مسلم من حديث أنس أن " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْعِلْمَانَ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَحْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَمَعَهُ فَأَعَادَهُ مَكَانَهُ " الْحَدِيثِ .

وفي حديث مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه قال وكان قد أتت عليه خمسون ومائة سنة قال: لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اِنْكَسَرَ إِيوَانُ كِسْرَى <sup>(٢)</sup> وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ شُرَافَةً، وَحَمَدَتْ نَارَ فَارِسَ وَلَمْ تُحْمَدِ

(١) قال الحاكم في المستدرک - (٢ / ٥٩٩): خالد بن معدان من خيار التابعين صحب معاذ بن جبل فمن بعده من الصحابة فإذا أسند حديث إلى الصحابة فإنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه. اه  
وتعقبه الذهبي بقوله: صحيح

(٢) (إيوان كسرى) يضرب به المثل للبنيان الرفيع العجيب الصنعة المتناهي الحصانة والوثاقة لأنه من عجائب أبنية الدنيا ومن أحسن آثار الملوك وهو بالمدائن من بغداد على مرحلة بناه كسرى أبرويز في نيف وعشرين سنة وتأنق في تأسيسه وتحسينه فلما ارتفع كان من خصائصه الثمان عشرة التي



قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ ، وَعَاصَتْ بُحَيْرَةَ سَاوَةَ ، وَرَأَى الْمُوْبِدَانَ <sup>(١)</sup> إِيْلًا صِعَابًا تَقُودُ خَيْلًا عَرَابًا قَدْ قَطَعَتْ دَجْلَةَ وَأَنْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ كَسْرَى أَفْرَعَهُ مَا وَقَعَ ، فَسَأَلَ عُلَمَاءَ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ عَنْ ذَلِكَ فَأُرْسِلُوا إِلَى سَطِيحٍ <sup>(٢)</sup> فَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطَوْلِهَا أَخْرَجَهَا بَنُ السُّكَنِ وَغَيْرِهِ فِي "مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ" . <sup>(٣)</sup>

وقد ذكرها النقاش في عجائبه وفيها:

فلما أصبح كسرى أفرعه ما رأى، فتصبر عليه تشجعاً، ثم رأى أنه لا يستر ذلك عن وزرائه ومرازيته، فتجلد كسرى، وجلس على سرير ملكه، ولبس تاجه، وأرسل إلى الموبدان، فقال: يا موبدان، إنه سقط من إيواني أربع عشرة

لم يعطها ملك قبله ، ويقال بل بناه أنو شروان وهو الذى بنى الباب والإيوان أيضا [انظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص: ١٨٠) للتحالي]

<sup>(١)</sup> الموبدَانُ لِلْمَجُوسِ : كقاضي القضاة للمسلمين والموبدُ : كالقاضي [النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/ ٨٠٨)]

<sup>(٢)</sup> سَطِيحٌ : ( كاهنٌ بني ذئبِ ) ، كان يَتَكَهَّنُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، واسمُه رَيْعَةُ بِنُ عَدِيٍّ بِنِ مَسْعُودِ بْنِ مَازِنِ ابْنِ ذَيْبِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ مَازِنِ بْنِ عَسَّانَ . كان يُخَبِّرُ بِمَبْعَثِ نَبِيِّنَا ﷺ عاش ثلاثمائة سنة . ومات في أيام أنو شروان ، بعد مؤلده ﷺ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كان إذا غَضِبَ قَعَدَ مُنْسَبَطًا ، فيما زَعَمُوا . وقيل : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لم يكن له بين مفاصله قَصَبٌ تَعْمِده ، فكان أبدأ مُنْسَبَطًا مُنْسَبَطًا على الأرض ، لا يَقْدِرُ على قيام ولا قعود [انظر تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (٦/ ٤٧٣)]

<sup>(٣)</sup> فتح الباري للحافظ بن حجر العسقلاني (٦/ ٥٨٣) وذكره أبو سعيد النقاش في " فنون العجائب " (ص: ٨٦) ، والحنائي في " فوائده الحنائي " (٢/ ٩٩٠) ، والبيهقي في الاعتقاد (ص: ٢٥٦)

وقال الألباني في صحيح السيرة ص٧ : ذكر ارتجاس الإيوان وسقوط الشرفات، وحمود النيران ورؤيا الموبدان، وغير ذلك من الدلالات، (ليس فيه شيء)



شرفه، وحمدت نار فارس، ولم تحمد قبل اليوم بألف عام، فقال: وأنا أيها الملك قد رأيت كأن إبلا صعابا تقود خيلا عرابا، حتى عبرت دجلة، وانتشرت في بلاد فارس، فقال: فما ترى ذلك يا موبدان وكأن رأسهم في العلم؟ يعني: أي شيء يكون هذا؟ قال: حدث يكون من قبل العرب. فكتب حينئذ كسرى: من كسرى ملك الملوك، إلى النعمان بن المنذر، أن ابعث إلي رجلا من العرب يخبرني بما أسأله عنه"، فبعث إليه عبد المسيح بن حيان بن بقبيلة<sup>(١)</sup>، فقال له: يا عبد المسيح، هل عندك علم بما أريد أن أسألك عنه؟ قال: يسألني الملك، فإن كان منه علم أعلمته، وإلا فأعلمته بمن علمه عنده، فأخبره به، فقال: علمه عند خال لي يسكن مشارف الشام، يقال له: سطيح، قال: فاذهب إليه، وسله، فأخبرني بما يخبرك به، فخرج عبد المسيح حتى أقدم على سطيح، وهو مشرف على الموت قال: فسلم عليه وحياه بتحية الملك، فلم يجبه سطيح، فأقبل يقول

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ . . أَمْ فَازَ فَازَمٌ بِهِ شَأْوُ الْعَنَنِ  
وَأُمَّهُ مِنْ آلِ ذُنْبِ بْنِ حَجْنٍ . . أَزْرَقُ مُمَّهِي النَّابِ صَرَارُ الْأُدُنِّ

(١) وهو "عبد المسيح بن بقبيلة" الغساني، أو "عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقبيلة"، وبقبيلة اسمه "ثعلبة"، وقيل: "الحارث". وقد حشر في جملة المعمرين الذين عاشوا ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام، فلم يسلم، وكان نصرانيا. وإنما سمّي بقبيلة لأنه خرج على قومه في بردين أخضرين، فقالوا له: ما أنت إلا بقبيلة فسّمّي بذلك [انظر المنفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي (١٨ / ٢٤٩)، التذكرة الحمدونية لابن حمدون (٦ / ٣٩)]



أَبْيَضُ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنُ. .. رَسُولُ قَيْلِ الْعَجَمِ يَسْرِي لَلْوَسْنِ  
لَا يَزْهَبُ الرِّعْدَ وَلَا رَبِيبَ الرِّمْنِ. .. يَجُوبُ بِي الْأَرْضَ عَلَنَدَاةً شَرَنْ  
تَرْفَعُنِي وُجُنُّ وَنَهْوِي بِي وُجُنُّ. .. حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَاجِي وَالْقَطَنُ  
يُلْفُهُ فِي الرِّيحِ بَوْغَاءُ الدَّمْنِ. .. كَأَنَّمَا حُشِحَتْ مِنْ حِضْنِي تَكُنْ

قال: فرجع رأسه إليه، وقال: عبد المسيح يهوي إلى سطح، وقد أوفى على  
الضريح، بعثك ملك ساسان لارتجاس الإيوان، وحمود النيران، ورؤيا الموبدان،  
رأى إبلا صعبا تقود خيلا عربا، قد قطعت دجلة، وانتشرت في بلاد فارس،  
يا عبد المسيح إذا ظهرت التلاوه، وغارت بحيرة ساوه، وفاض وادي السماوه،  
وخرج صاحب الهراوة، فليست الشام بالشام، يملك منهم ملوك وملكات  
على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت. ثم مات

فقام عبد المسيح، وهو يقول:

سَمَّ فَإِنَّكَ مَاضِي الدَّهْرِ بِشَمِيرٍ. .. لَا يَفْرَعَنَّكَ تَشْرِيدٌ وَتَعْرِيرٌ  
إِنْ يَمَسَّ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطُهُمْ. .. فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطَوَّازٌ دَهَارِيرٌ  
فَرِيمًا كَانَ قَدْ أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ. .. يَهَابُ صَوْهُهُمُ الْأُسْدُ الْمَهَاصِيرُ  
مِنْهُمْ أَخُو الصَّرْحِ بَهْرَامٌ وَإِخْوَتُهُ. .. وَالْهُرْمَزَانُ وَسَابُورٌ وَسَابُورُ  
وَالنَّاسُ أَوْلَادٌ عَلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا. .. أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَحْقُورٌ وَمَهْجُورٌ  
وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ أَمَا إِنْ رَأَوْا نَسَبًا. .. فَذَاكَ بِالْعَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورٌ  
وَالْحَيْرُ وَالشَّرُّ جَمُوعَانِ فِي قَرْنٍ. .. فَالْحَيْرُ مُتَّبِعٌ وَالشَّرُّ مَحْدُورٌ



قال: فرجع عبد المسيح إلى كسرى، فأخبره، فقال كسرى: إلى أن يملك منا أربع عشرة يكون أمور وأمور. قال: فملك منهم عشرة في أربع سنين، وملك الباقون بعده" (١)

### سادسا: رضاعته

"وبعد ولادته أرضعته ﷺ من النساء ثمان وقيل أكثر، أولاهن أمه آمنة ثم ثوية الأسلمية جارية عمه أبي لهب التي أعتقها حين بشرته بولادته أياماً قبل قدوم حليلة، وخولة بنت المنذر وأم أيمن، وامرأة سعدية غير حليلة، وثلاث نسوة من العواتك" (٢) ثم سلّم النبي ﷺ لحليمة السعدية من بني سعد لإرضاعه على عادة العرب، فذهبت به إلى قومها ليقيم عندها، وقد ظهرت بركة النبي ﷺ على بني سعد عامة وعلى بيت حليلة خاصة

(١) فنون العجائب لأبي سعيد النقاش (ص: ٨٧، ٨٨)

(٢) سيدنا محمد للشيخ رشيد رضا ص ١٧ عن ملف (ورد) لقول النبي ﷺ: (أنا ابن العواتك من سليم)

أخرجه ابن قانع (٣٠٢/١)، والطبراني (١٦٨/٧)، رقم (٦٧٢٤) قال الهيثمي (٢١٩/٨): رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أيضاً: الديلمي (٤٦/١)، رقم (١١٤)

والعواتك هن: أم مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان هي عاتكة بنت جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس من سليم وهي البانية،

وأم هلال بن فالج بن ذكوان عاتكة بنت الحارث بن بثة بن سليم بن منصور،

وأم وهب بن عبد مناف بن زهرة عاتكة بنت الأوقص بن هلال بن فالج بن ذكوان، فهؤلاء العواتك

السلميات. [كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١٢/٤٣٦)]



روى البخاري في صحيحه عن عُرْوَةَ بِنْتِ الرُّبَيْرِ أَنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ  
أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!  
انكِحِ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ  
فَقَالَ: أَوْحِبُّينَ ذَلِكَ!؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيةٍ<sup>(١)</sup> وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرِ أُخْتِي  
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لِي  
قُلْتُ: فَإِنَّا نُحَدِّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ  
قَالَ: بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ!  
قُلْتُ: نَعَمْ

فَقَالَ: لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَيْبِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي إِنَّهَا لابْنَةُ أَحِي مِنْ  
الرَّضَاعَةِ أَرْضَعْتَنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوْبِيَّةُ فَلَا تَعْرِضَنَّ عَلَيَّ بِنَاتِكِنَّ وَلَا أَخَوَاتِكِنَّ  
قَالَ عُرْوَةُ: وَثُوْبِيَّةُ مَوْلَاةٌ لِأَبِي هَبٍ كَانَ أَبُو هَبٍ أَعْتَمَهَا فَأَرْضَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ،  
فَلَمَّا مَاتَ أَبُو هَبٍ أَرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حَبِيَّةٍ  
قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟

قَالَ أَبُو هَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَبِي سُفْيَانَ فِي هَذِهِ بَعْتَا قِي ثُوْبِيَّةَ.<sup>(٢)</sup>

(١) مخلية: أي تاركه، يقال خللاه أي تركه

(٢) البخاري (٤٧١١)



وفي رضاعة النبي ﷺ في بني سعد فوائد منها:

- ١- عادات العرب في اختيار مرضعات لأبنائهم غير أمهاتهم، وهذا مما يفيد الولد ويفيد الأم معا
- ٢- كانت المرضعة تعمل بالأجر وجاء الإسلام ولم يبطل ذلك.
- ٣- اختيار العرب أهل البادية للرضاعة لنقاء الهواء، وصحة الأبدان وذكاء العقول
- ٤ - ظهور بركة النبي ﷺ على بني سعد عندما نزل عندهم وهذا من إرهاصات النبوة وتمهيدا لقبول الناس لدعوته
٥. محبة النبي ﷺ التي ملكت قلوب بني سعد عامة وبيت حليلة خاصة لعدم فاض الخير عليهم
٦. أن الأرزاق لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى فقد يكون الرزق على يد يتيم وعلى يد أنثى أو على يد ضيف أو غير ذلك والله سبحانه هو الذي يسبب الأسباب. فمن ييخل فإنما ييخل على نفسه
- ٧ - معرفة مرضعات النبي ﷺ وعددهن
- ٨ - بيان مدة رضاعة النبي ﷺ فقد كانت حولين كاملين وهي المدة التي قررها الله تبارك وتعالى حيث قال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]



### أم أيمن حاضنة النبي ﷺ

. احتضنته أم أيمن بعد ولادته حتى كبر، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَكَانَ مِنْ شَأْنِ أُمِّ أَيْمَنَ أُمُّ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهَا كَانَتْ وَصِيغَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَتْ مِنَ الْحَبَشَةِ، فَلَمَّا وَلَدَتْ آمَنَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا تُوِّفِيَ أَبُوهُ، فَكَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْضِنُهُ حَتَّى كَبِرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْتَقَهَا، ثُمَّ أَنْكَحَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، ثُمَّ تُوِّفِيَتْ بَعْدَ مَا تُوِّفِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ<sup>(١)</sup>

### سابعا: حادثة شق الصدر

وقعت حادثة شق صدر النبي ﷺ وهو غلام صغير يلعب مع الغلمان في بني سعد، وكان سنه آنذاك أربع سنين وهي من إرهاصات النبوة  
جاء في مسند أحمد عن عتبة بن عبد السلمي أَنَّهُ حَدَّثَنَاهُمْ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ كَيْفَ كَانَ أَوَّلَ شَأْنِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ، فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنُ لَهَا فِي بَهْمٍ لَنَا، وَمَ تَأْخُذُ مَعَنَا زَادًا، فَمَلْتُ: يَا أَحِي اذْهَبْ فَأَتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمَّنَا، فَأَنْطَلَقَ أَحِي، وَمَكَّثْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ، فَأَقْبَلَ طَيْرَانِ أَبِيضَانِ كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهْوُ هُو؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَقْبَلَا يَبْتَدِرَانِي، فَأَخَذَانِي فَبَطَحَانِي إِلَى الْقَفَا، فَشَقَّ بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي، فَشَقَّاهُ فَأَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: ائْتِنِي بِمَاءٍ تَلْجِ، فَعَسَلَا بِهِ جَوْفِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِمَاءٍ بَرِدٍ

(١) صحيح مسلم (٣/١٣٩١)



فَعَسَلَا بِهِ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ: ائْتِنِي بِالسَّكِينَةِ، فَدَارَهَا فِي قَلْبِي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: حِصَّةٌ، فَحَاصَهُ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ النَّبُوءَةِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: اجْعَلْهُ فِي كِفَّةٍ، وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِي كِفَّةٍ، فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْأَلْفِ فَوْقِي أُشْفِقُ أَنْ يَجْرَّ عَلَيَّ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ: لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ، ثُمَّ انْطَلَقَا وَتَرَكَانِي، وَفَرِقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّي، فَأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُهُ، فَأَشْفَقَتْ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ أَلْبَسَ بِي قَالَتْ: أُعِيدُكَ بِاللَّهِ فَرَحَلْتُ بَعِيرًا لَهَا، فَحَمَلْتَنِي عَلَى الرَّحْلِ، وَرَكِبْتُ خَلْفِي حَتَّى بَلَّغْنَا إِلَى أُمِّي، فَقَالَتْ: أَوَأَدَّيْتُ أَمَانِي وَدَمَّتِي، وَحَدَّثْتَهَا بِالَّذِي لَقِيتُ، فَلَمْ يُرْعَهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّي نُورًا أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ (١)

وفي حادثة شق صدره فوائد منها:

- ١ . عصمة النبي ﷺ من اتباع الشيطان بنزع حظ الشيطان من قلبه
- ٢ . طهارة ماء الثلج وماء زمزم
- ٣ . إناء الذهب الخالص لا يخفي شيئاً فيه وهو مما يفرح القلب ويدخل السرور على النفس

(١) أخرجه أحمد (١٦٩٩٠)، الدارمي (١٣)، والطبراني في مسند الشاميين (١١٥٠)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣٥٤)، والحاكم في مستدركه (٤١٩٦)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (١٢٣٠) من حديث بقية بن الوليد عن بَجْرِجٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ . وصححه الحاكم ووقفه الألباني في صحيح السيرة ص ٨



- ٤ . النبي ﷺ هو أفضل الأمة وخيرها بل أفضل الأمم ﷺ فلم يفعل بني مثلما فعل بالنبي ﷺ
- ٥ . الخوف الطبيعي ليس أحد معصوم منه حتى خير الخلق
- ٦ . رزق النبي ﷺ السكينة وهي خير وسائل الصبر
- ٧ . تهيئة النبي لمرحلة جديدة قد تكون عصبية تؤثر في حياته المستقبلية، وهي استكمل يتمه بموت أمه بعدها.

ثامنا: رجوعه إلى أمه ووفاة آمنة وكفالة جده عبد المطلب ومن

بعده أبو طالب

وبعد هذه الواقعة خافت حليلة السعدية من حدوث مكروه للغلام، فقررت إرساله إلى أمه

قال ابن حبيب:

لما بلغ عمره ست سنين، وقرت به أعين أهله الفائزين، خرجت به أمه إلى المدينة لزيارة أحوال أبيه بني النجار، ومعهما أم أيمن حاضنة الرسول المختار، فأقاموا شهرا ثم خرجوا راجعين إلى الحرم فلما كانوا بالأبواء ماتت أم سيد الأمم عليه الصلاة والسلام فدخلت به أم أيمن إلى مكة وضمه جده إليه وكان يُعلي منزلته ويُرَق عليه ويقول: إن لولدي هذا شأننا ( وقد كان ما قال



وفوق ما تمخى ) ولم يزل يكفله إلى أن بلغ ثمان سنين، وقيل تسعا، وقيل  
عشرا، وقيل غير ذلك<sup>(١)</sup>

"ولما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنوات توفي جده عبد المطلب بمكة سنة  
٥٧٨م بعد عام الفيل بثماني سنين وله عشر ومائة سنة، وقيل أكثر من  
ذلك، وكان رسول الله ﷺ خلف سريره، ودُفن بالحجون، جبل بأعلى  
مكة عنده مدافن أهلها عند قبر جده قصي، ولما حضرته الوفاة أوصى به إلى  
عمه شقيق أبيه «أبي طالب» واسمه عبد مناف وعبد الكعبة وكان كريماً لكنه  
كان فقيراً كثير الأولاد، وكان يرى منه ﷺ الخير والبركة، حباً شديداً ولذا لا  
ينام إلا إلى جنبه ويخرج به متى خرج، وأوصى عبد المطلب إلى أبي طالب  
أيضاً بسقاية زمزم وإلى ابنه الزبير بالحكومة وأمر الكعبة"<sup>(٢)</sup>

### تاسعا: رحلة النبي ﷺ مع عمه إلى الشام

لما بلغ النبي ﷺ اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام وقيل تسع سنين خرج  
مع عمه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الرَّاهِبُ فعرفه بصفتِهِ  
فجاءَ وأخذَ بيده وقال هذا سيّد العالمين هذا رسول ربّ العالمين هذا يبعثُهُ اللهُ  
رَحْمَةً للعالمين

(١) المتفتى من سيرة المصطفى لعمر ابن حبيب ص ٣٩ ، وانظر في ذلك عيون الأثر لابن سيد الناس

(٥١/١)

(٢) سيدنا محمد ص ٢٣ وانظر نور اليقين ص ١٥



روى الحافظ أبو بكر الخرائطي من طريق يونس بن أي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش، لما أشرفوا على الراهب - يعني: بحيرى - هبطوا فحلوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم. قال: فنزل وهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي ﷺ فقال: ذا سيد العالمين (وفي رواية البيهقي زيادة: هذا رسول رب العالمين؛ يعيثة الله رحمة للعالمين).

فقال له أشياخ من قريش: وما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدون إلا لني، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه.

ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به - وكان هو في رعية الإبل - فقال: أرسلوا إليه. فأقبل وغمامة تظله، فلما دنا من القوم قال: انظروا إليه عليه غمامة! فلما دنا القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء شجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، قال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه.

قال: فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقلتوه، فالتفت، فإذا هو سبعة نفر من الروم قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس وإننا أخبرنا خبره إلى طريقك هذه. قال: فهل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: لا؛ إنما أخبرنا خبره إلى



طريقك هذه. قال: أفرايتم أمراً أراد الله أن يقضيه؛ هل يستطيع أحد رده؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه عنده، قال: فقال الراهب: أنشدكم الله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى رده، وبعث معه أبو بكر وبلالاً<sup>(١)</sup>، وزوده الراهب من الكعك والزيت.<sup>(٢)</sup>

### عاشرا: شبهة ومكر من المستشرقين

وقد استدل على هذا الحدث جمع من المستشرقين الحاقدين بأن النبي ﷺ تعلم القرآن الذي جاء به من بحيرا الراهب وليس أبلغ من أن يرد عليهم واحد منهم لكنه من المنصفين " فلقد بحث الكاتب الإنكليزي توماس كارليل قضية لقاء الرسول ﷺ ببھيرا الراهب، وما كان لهذا اللقاء من أثر على توجيهه للتفكر في قضايا الحياة والخلق. . . وقد رد كارليل في كتابه "الأبطال" على تلك المزاعم التي تقول إن ذلك الراهب قد لقنه العلم وأنه وراء النبوة التي أنزلت على النبي محمد ﷺ يقول:

"ولما شب محمد وترعرع، صار يصحب عمه في أسفار تجارته وما أشبه، وفي الثامنة عشر من عمره نراه فارساً مقاتلاً يتبع عمه في الحروب، غير أن أهم

(١) وقع هذا في كتاب الترمذي وغيره أن بلالاً كان موجوداً وليس كذلك وقد أخرجه البزار في مسنده ولم يذكر بلالاً أنظر زاد المعاد (١/٧٦، ٧٧)

(٢) صحيح السيرة للشيخ الألباني ص ١٣، وقد حقق فيها القول الحافظ ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (٢/ ٢٨٥) تحقيقاً جيداً فراجع



أسفاره ربما كان ذلك الذي حدث قبل هذا التاريخ بضع سنين، رحلة إلى مشارف الشام، إذ وجد الفتى نفسه هنالك في عالم جديد إزاء مسألة أجنبية عظيمة الأهمية جداً في نظره، أعنى الديانة المسيحية. واني لست أدري ماذا أقول عن ذلك الراهب سرجياس (بحيرا) الذي يزعم أن أبا طالب ومحمداً سكنا معه في الدار، ولا ماذا عساه أن يتعلمه غلام في هذه السن الصغيرة من أي راهب ما، فإن محمداً لم يكن يتجاوز إذ ذاك الرابعة عشر، ولم يكن يعرف إلا لغته، ولا شك أن كثيراً من أحوال الشام ومشاهدها لم يك في نظره إلا خليطاً مشوشاً من أشياء ينكرها ولا يفهمها. ولكن الغلام كان له عينان ثاقبتان، ولا بد من أن يكون قد انطبع على لوح فؤاده أمور وشؤون فأقامت في ثنايا ضميره، ولو غير مفهومة ريثما ينضجها له كر الغداة ومر العشي، وتحلها له يد الزمان يوماً ما، فتخرج منها آراء وعقائد ونظرات نافذات، فعمل هذه الرحلة الشامية كانت لحمد أوائل خير كثير وفوائد جمّة" (١)

ولكن عند النظر الدقيق إلى كلام توماس نجد أكثر خبثا ومكرا من الذين ادعوا أن النبي ﷺ تلقى علوما عن بحيرا فصاغها في صورة خبيثة حيث قال: (ولكن الغلام كان له عينان ثاقبتان، ولا بد من أن يكون قد انطبع على لوح

(١) توماس كارليل: الأبطال ص: ٦٨. عن كتاب الرسول في الدراسات الاستشراقية محمد شريف



فؤاده أمور وشؤون فأقامت في ثنايا ضميره، ولو غير مفهومة ريشما ينضجها له كر الغداة ومُر العشي، وتحلها له يد الزمان يوماً ما، فتخرج منها آراء وعقائد ونظرات نافذات)

فهو يريد أن يقول أن ما انطبع في فؤاد النبي مما تلقاه من بحيرا وغيره حين كان في الشام ظل معه حتى كبر وأخذ عقله ينتج منها عقائد وأراء، وهنا يقصد الإسلام، أي أن محمدا لم يكن نبيا حقيقيا يأتيه الوحي من السماء بقرآن ربه؛ وإنما هي أشياء اخترعها هو مستفيدا من لقاءه ببخيرا الراهب وأهل الشام وهو صغير.

وهكذا نراهم يضعون السم في العسل، ومما يؤسف له نرى كثيرا من الكتاب المسلمين اغتر بمثل هذا وظن أنه يدافع عن النبي ﷺ.

### حادي عشر: شهوده ﷺ حرب الفجار (٥٨٠ - ٥٩٠)

وفي السنة العشرين من عمره ﷺ، وقيل في السنة الخامسة عشرة، وقيل في السنة العاشرة<sup>(١)</sup>، والصواب هو الأول وقعت في سوق عُكاظ<sup>(١)</sup> حرب بين قريش . ومعهم كنانة . وبين قيس عيلان، تعرف بحرب الفجار وسببها: أن أحد بني كنانة، واسمه البرأض<sup>(٢)</sup>، اغتال

(١) انظر الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية (ص: ٣٦) لأبي أسماء



ثلاثة رجال من قيس عيلان، ووصل الخبر إلى عكاظ فنار الطرفان، وكان قائد قريش وكنانة كلها حرب بن أمية؛ لمكانته فيهم سنا وشرقاً، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كادت الدائرة تدور على قيس. ثم تداعى بعض قريش إلى الصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين، فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد. فاصطلحوا على ذلك، ووضعوا الحرب، وهدموا ما كان بينهم من العداوة والشر. وسميت بحرب

(١) قال الأزهري: هو اسم سوق من أسواق العرب وموسم من مواسم الجاهلية كانت العرب تجتمع به كل سنة يتفاحرون بها، ويحضرها الشعراء فيتناشدون ما أحدثوا من الشعر. وعن الليث: سمي عكاظ عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيها فيعكظ بعضهم بعضاً بالمفاخرة أي: يدعك.

وقال غيره: عكظ الرجل دابته يعكظها عكظاً إذا حبسها، وتعكظ القوم تعكظاً إذا تجسوا ينظرون في أمرهم، وبه سميت عكاظ. وفي (الموعب): كانوا يجتمعون بها في كل سنة فيقيمون بها الأشهر الحرم، وكان فيها وقائع مرة بعد أخرى.

وفي (الحكم): قال اللحياني: أهل الحجاز يجرونها وتقيم لا يجرون بها.

وفي (الصحاح): هي ناحية مكة، كانوا يجتمعون بها في كل سنة فيقيمون شهراً.

وقال ابن حبيب: هي صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل إلا ما كان من النصب التي كانت بها في الجاهلية، وبها من دماء البدن كالأرغام العظام [انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٦/ ٣٥)]

(٢) هو البراض بن قيس، أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد منات بن كنانة [الأغصان الندية شرح

الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية (ص: ٣٧)]



الفجار؛ لانتهاك حرمة الشهر الحرام فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله ﷺ، وكان ينبل على عمومته؛ أي يجهز لهم النبل للرمي<sup>(١)</sup>

### ثاني عشر: حلف الفضول

وعند رجوع قريش من حرب الفجار، تداعوا لحلف الفضول فتم في دار عبد الله بن جُدعان التيمي أحد رؤساء قريش، وكان المتحالفون: بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف، وبني أسد بن عبد العزى، وبني زهرة بن كلاب، وبني تيم بن مرة تحالفوا وتعاهدوا ألا يجذوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، حتى ترد إليه مظلّمته، وقد حضر هذا الحلف رسول الله ﷺ مع أعمامه، وقال بعد أن شرفه الله بالرسالة: «لقد شهدت مع عمومي حلفاً في دار عبد الله بن جُدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت»<sup>(٢)</sup> وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام مبعوث بمكارم الأخلاق، وهذا منها، وقد أقر دين الإسلام كثيراً

(١) الرحيق المختوم ص ٦٧

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ج ١/ص ١٩٩/ح ٥٦٧) وابن حبان في صحيحه (ج ١٠/ص ٢١٦/ح ٤٣٧٣). وابن حنبل في مسنده (ج ١/ص ١٩٣/ح ١٦٧٦). والحاكم في مستدرکه (ج ٢/ص ٢٣٩/ح ٢٨٧٠). والبيهقي في سننه الكبرى (ج ٦/ص ٣٦٦/ح ١٢٨٥٦). وأبي يعلى في مسنده (ج ٢/ص ١٥٧/ح ٨٤٥) من حديث الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه به وقد صححه الحافظ المقدسي في الأحاديث المختارة (١١٥/٣) والألباني في الصحيحة (٥٢٤/٤)



منها، يرشدك إلى هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(١)</sup> وقد دعا بهذا الحلف كثيرون فأنصفوا.<sup>(٢)</sup>

### سبب تسميته بحلف الفضول

قال ابن كثير:

قالوا: وكان حلف الفضول قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر.

وذلك لأن الفجار كان في شعبان من هذه السنة.

وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب.

وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة بيضاة فاشتراها منه العاص بن وائل فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوا على العاص بن وائل وزبروه

(١) قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٧٥ : رواه البخاري في "الأدب المفرد" رقم ( ٢٧٣ ) ، وابن سعد في "الطبقات" ( ١ / ١٩٢ ) ، والحاكم ( ٢ / ٦١٣ ) ، وأحمد ( ٢ / ٣١٨ ) ، وابن عساکر في "تاريخ دمشق" ( ٦ / ٢٦٧ / ١ ) من طريق ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا .

وهذا إسناد حسن، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي!

(٢) نور اليقين ص ١٨، ١٩، وانظر الرجيق المختوم ص ٦٨، وسيدنا محمد ٣١، والمقتفى من سيرة

المصطفى ص ٤٦، والسيرة للحلبية (١/٢١٠)



- أي انتهروه - فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:  
يا آل فهر مظلوم بضاعته  
بيطن مكة نائي الدار والنفر ومحرم أشعث لم يقض عمرته  
يا للرجال وبين الحجر والحجر إن الحرام لمن تمت كرامته  
ولا حرام لثوب الفاجر الغدر  
فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك.  
فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة، وما رسى ثبير وحراء مكائهما، وعلى التأسى في المعاش.  
فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول، وقالو: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر.

ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه سامة الزبيدي فدفعوها إليه. اهـ<sup>(١)</sup>  
وقد كان هذا الحلف قاصما للنعرات الجاهلية عند العرب، وانتقلوا به من حال إلى حال ورفع من شأنهم عاليا، وهكذا يجب أن يكون المسلمون إذا أرادوا النصر على أعدائهم والرفعة والمكانة في الأرض

(١) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٢٥٨ . ٢٦٠)



• من فوائد حلف الفضول:

وكان لهذا الحلف سمة بارزة في حياة النبي ﷺ حتى أنه كان يصوب ذلك الحلف بعد بعثته، فاشتمل على فوائد عديدة كان لها التأثير في دعوته بعد ذلك منها: (١):

١ - إن العدل قيمة مطلقة وليست نسبية، وأن الرسول ﷺ يظهر اعتزازه بالمشاركة في تعزيز مبدأ العدل قبل بعثته بعقدين، فالقيم الإيجابية تستحق الإشادة بما حتى لو صدرت من أهل الجاهلية

٢- كان حلف الفضول واحة في ظلام الجاهلية، وفيه دلالة بينة على أن شيوع الفساد في نظام أو مجتمع لا يعني خلوه من أي فضيلة، فمكة مجتمع جاهلي هيمنت عليه عبادة الأوثان والمظالم والأخلاق الذميمة كالظلم والزنا والربا، ومع هذا كان فيه رجال أصحاب نخوة ومروءة يكرهون الظلم ولا يقرونه، وفي هذا درس عظيم للدعاة في مجتمعاتهم التي لا تحكّم الإسلام، أو تحارب الإسلام أن يصبروا كما صبر النبي ﷺ وأن يتحالفوا على العدل والإنصاف لا على الظلم والإقصاء

٣- إن الظلم مرفوض بأي صورة، ولو وقع الظلم على أكفر الناس وأصغرهم، وإن الإسلام جاء ليحارب الظلم ويقف بجانب المظلوم دون النظر إلى لونه ودينه ووطنه وجنسه.

(١) من كتاب السيرة النبوية لمحمد على الصلابي (١/ ٥٠ ، ٥١) بتصرف يسير



٤- جواز التحالف والتعاهد على فعل الخير وهو من قبيل التعاون المأمور به في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، ويجوز للمسلمين أن يتعاقدوا في مثل هذا الحال لأنه تأكيد لشيء مطلوب شرعاً، على ألا يكون ذلك شبيهاً بمسجد الضرار، بحيث يتحول التعاقد إلى نوع من الحزبية الموجهة ضد مسلمين آخرين ظلمًا وبغيًا، وأما تعاقد المسلمين مع غيرهم على دفع ظلم أو في مواجهة ظالم، فذلك جائز لهم، على أن تلاحظ في ذلك مصلحة الإسلام والمسلمين في الحاضر والمستقبل، وفي هذا الحديث دليل. والدليل فيه قوله ﷺ: «ما أحب أن لي به حمر النعم» لما يحقق من عدل، ويمنع من ظلم، أو النكث به مقابل حمر النعم، وقوله ﷺ: «ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» طالما أن يردع الظالم عن ظلمه، وقد بين ﷺ استعداده للإجابة بعد الإسلام لمن ناداه بهذا الحلف.

٥- على المسلم أن يكون في مجتمعه إيجابياً فعالاً، لا أن يكون رقمًا من الأرقام على هامش الأحداث في بيئته ومجتمعه، فقد كان النبي ﷺ محط أنظار مجتمعه، وصار مضرب المثل فيهم، حتى ليلقبوه بالأمين وتنفو إليه قلوب الرجال والنساء على السواء بسبب الخلق الكريم الذي حبا الله تعالى به نبيه ﷺ، وما زال يزكو وينمو حتى تعلقت به قلوب قومه، وهذا يعطينا صورة حية عن قيمة الأخلاق في المجتمع، وعن احترام صاحب الخلق ولو في المجتمع المنحرف



### ثالث عشرة: حياته ﷺ ورعي الغنم

كان النبي ﷺ كغيره من البشر يحتاج إلى الأخذ بالأسباب في تواصل العيش، وقد كانت قريش تعتمد على شيئين، أحدهما: حياة الرعي، والأخرى التجارة.

وقد سافر النبي ﷺ للتجارة وعمل بها وثبتت أمانته فيها، وكذلك عمل في رعي الأغنام كغيره من أهل مكة، وكغيره من الأنبياء فقد روى البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟

فَقَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ. (١)

#### ● ما اكتسبه النبي ﷺ من رعي الغنم

وهذه المرحلة التي عاشها النبي ﷺ أكسبته عدة من الأخلاق أو قل زادت من خبراته في الآتي:

" ١ - الصبر: على الرعي من طلوع الشمس إلى غروبها، نظراً لبطء الغنم في الأكل، فيحتاج راعيها إلى الصبر والتحمل، وكذا سياسة البشر. وما أحوجنا نحن إلى مثل الصبر في التعامل مع المخالف في عصرنا هذا.

(١) البخاري (٢١٠٢)



٢- الحلم والسكينة: فبعضها يتقدم وبعضها يتأخر وبعضها يذهب شمالاً وبعضها جنوباً، فإن كان الراعي غضوباً جمعها بعد شتاتها بصورة مرعبة فتبقى مجتمعة خائفة لا تأكل تخشى من عصا الراعي.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَالْحَيْلَاءُ فِي أَهْلِ الْحَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالْقَدَّادِينَ أَهْلُ الْوَبْرِ وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْعَنَمِ»<sup>(١)</sup>

٣- الأناة والقدرة: على جمع شتاتها بعد رعيها بدون أذى يلحق بها، أو نقص في غذاء يصيبها.

٤- الرأفة والعناية بالضعيف: ففي هذه الدنيا الصغير والضعيف والمهرم، فيحتاج منه إلى لين ورأفة بما حتى تلحق بصواحبها وترعى مثلهن، وكذا سياسة البشر.

٥- ارتياد أماكن الخصب: والبحث عنها ونصحها في ذلك وتجنّبها مواطن الجذب والهلكة، وكذا سياسة البشر تحتاج إلى بذل الجهد والنصح لهم في توريدهم مواطن الخير وتجنّبهم مواطن الهلكة، وتحسين معاشهم وما يحتاجونه من رزق حلال، وتجنّبهم الأرزاق المحرمة التي تسبب لهم الويلات والفساد، وتوزيع الثروة عليهم كل على حسبه وقدرته وجهده.

(١) البخاري (٣٠٥٦)



٦- التواضع: في رعي الغنم وهو أمر ظاهر وقد ورد في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» فقال رجل: يا رسول الله الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً؟ فقال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»<sup>(١)</sup>.

٧- ورعي الغنم من أعظم الفرص في الخلوّة بالله تعالى والتفكير في خلق السماوات والأرض حيث السماء بنجومها، والأرض بجبالها وأشجارها وأنعامها...

٨- إن الله تعالى قادر على أن يغني محمداً ﷺ عن رعي الغنم، ولكن هذه الفترة تربية له ولأمته للأكل من كسب اليد.

٩- ورعي الغنم نوع من أنواع الكسب باليد وصاحب الدعوة يجب أن يستغني عن ما في أيدي الناس ولا يعتمد بدعوته عليهم، فبذلك تبقى قيمته وترتفع منزلته، ويتعد عن الشبه والتشكيك فيه، ويتجرد في إخلاص العمل لله تعالى، ويرد شبه الطغاة والظلمة الذي يصورون للناس أن الأنبياء أرادوا الدنيا بدعوتهم: ﴿وَتَكُونُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٧٨] هكذا يقول فرعون لموسى، ونظراً لسيطرة حب الدنيا وحطامها على عقولهم يظنون أن أي تفكير وأي حركة مراد به الدنيا، ولهذا قالت الأنبياء عليهم السلام

(١) مسلم (٩١).



لأقوامهم مبينة استغنائها عنهم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧]، ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩].

عَنِ الْمُقَدِّمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن الاعتماد على الكسب الحر تكسب الإنسان الحرية التامة والقدرة على قول كلمة الحق والصدع بها.

وكان أصحاب رسول الله يتاجرون ويعملون بأيديهم ولا يعتبر غضاضة في حقهم، فهذا عمر يشغله الصفق بالأسواق عن حضور بعض مجالس رسول الله ﷺ كما في حديث أبي موسى في الاستئذان «أَخْفِي هَذَا عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَهْلَانِي الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ يَعْنِي الْخُرُوجَ إِلَى تِجَارَةٍ»<sup>(٢)</sup>.

عن قتادة: «كان القوم يتبايعون ويتجرون، ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤديوه إلى الله»<sup>(٣)</sup>.

وتقول عائشة رضي الله عنها: «كان أصحاب رسول الله ﷺ عمال أنفسهم»<sup>(١)</sup>،<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري (٢٠٧٢).

(٢) رواه البخاري (٢٠٦٢)، ومسلم (٢١٥٣).

(٣) البخاري (٢٠٦٢).



• رابع عشرة: زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها

وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب  
وأما فاطمة بنت زائدة بن جندب.

وكانت خديجة رضي الله عنها تدعى في الجاهلية: الطاهرة.

وكانت قبل رسول الله ﷺ عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمرو، وولدت  
لعتيق هند بن عتيق، ثم خلف عليها أبو هالة مالك بن بناش فولدت له هنداً  
" وهالة.

فهند بن عتيق بن عابد، وهند وهالة ابنا أبي هالة مالك بن بناش أخو ولد  
رسول الله ﷺ من خديجة بنت خويلد أمهم.<sup>(٣)</sup>

"وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة وتبعث  
بها إلى الشام فتكون غيرها كعامة عير قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع  
إليهم المال مضاربة وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن تاجرا من قريش  
فليس عندهم بشيء."<sup>(٤)</sup> فسافر مع غلامها ميسرة إلى الشام ثم قفل راجعا

(١) رواه البخاري (٢٠٧١).

(٢) مدخل لفهم السيرة ص ١٢٧ بتصرف

(٣) انظر المعجم الكبير للطبراني (٤٨٤/٢٢)

(٤) عيون الأثر لابن سيد الناس (٧٠/١)



" فرأى ميسره من يمنه وخلقه والبركة في سفره والزيادة في الريح ما اشتد به حبه إياه فقدم وهو يهتف به فسيق إلى خديجة فأخبرها خبر ما أصاب من الظفر والريح وما رأى من رسول الله ﷺ" (١)

"أرسلت إليه من يرغبه في الزواج وقيل: إنها أرسلت أختها، وقيل: أرسلت نفيسة مولاة لها، فقال: «ما بيدي ما أتزوج به»، فقالت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: «فمن هي؟»، قالت له: خديجة، قال: «فأنا أفعل»، فذهبت فأخبرت خديجة فأرسلت إليه أن ائت لساعة كذا... وتزوجها رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة، وذلك بعد عودته من الشام بشهرين. وقد حضر رؤساء مضر وحضر أبو بكر رضي الله عنه ذلك العقد" (٢)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ خَدِيجَةَ وَكَانَ أَبُوهَا يَرْعَبُ أَنْ يُزَوِّجَهُ فَصَنَعَتْ طَعَامًا وَشَرَابًا فَدَعَتْ أَبَاهَا وَزُمَرًا مِنْ قُرَيْشٍ فَطَعِمُوا وَشَرِبُوا حَتَّى تَمَلُّوا فَقَالَتْ خَدِيجَةُ لِأَبِيهَا: إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَخْطُبُنِي فَزَوِّجْنِي إِيَّاهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ فَخَلَعَتْهُ وَأَلْبَسَتْهُ حُلَّةً وَكَذَلِكَ كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالْأَبَاءِ فَلَمَّا سُرِّي عَنْهُ سَكَرَهُ نَظَرَ فَإِذَا هُوَ مُخَلَّقٌ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ فَقَالَ مَا شَأْنِي مَا هَذَا؟  
قَالَتْ: زَوَّجْتَنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ

(١) المنتخب من أزواج النبي ص ٢٣

(٢) سيدنا محمد ص ٣٣



قَالَ: أَنَا أَرْوُجُ بَيْتِ أَبِي طَالِبٍ لَا لِعَمْرِي  
فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَمَا تَسْتَحِي تُرِيدُ أَنْ تُسَفِّهَ نَفْسَكَ عِنْدَ قُرَيْشٍ تُخْبِرُ النَّاسَ  
أَنَّكَ كُنْتَ سَكْرَانَ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى رَضِيَ<sup>(١)</sup>

يقول أستاذ اللغات الشرقية ورئيس مجمع البحوث والآداب في باريس  
المستشرق الفرنسي كليمان هوار (١٨٥٤ - ١٩٢٧) في الجزء الأول من  
كتابه "تاريخ العرب": كيف تعرف محمد إلى خديجة، وكيف أمكن أن  
يحصل على ثقتها ويتزوج بها، الجواب على الشق الأول لا زال غير معروف  
عندنا، وأما على الشق الثاني فقد اتفقت الأخبار على أن محمداً كان في  
الدرجة العليا من شرف النفس، وكان يلقب بالأمين، أي بالرجل الثقة  
المعتمد عليه إلى أقصى درجة، إذ كان المثل الأعلى في الاستقامة<sup>(٢)</sup>

وعاش النبي مع هذه السيدة العظيمة طيلة عشر سنوات قبل اشتراكه ﷺ في  
بناء الكعبة حياة كريمة ملؤها الحب والرحمة، لم يثبت أن وقعت شكوى كما  
يقع من كثير من الأزواج، وهذا يدل على كمال خلقه ﷺ ورحمته بالخلق،  
كيف ذلك ولم يثبت أن اشتكى منه أحد، أو عابه في خلق أو تصرف، بل  
اجمع أهل مكة على كمال أخلاقه وصدق حديثه وعظمة أمانته حتى وصفوه  
بالأمين.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨٤٦) بسند صحيح

(٢) كليمان هوار: تاريخ العرب. عن كتاب الرسول في الدراسات الاستشراقية محمد شريف الشيباني



خامس عشرة: اشتراكه ﷺ في بناء الكعبة المشرفة مع أهل مكة

أول من بنى الكعبة هو إبراهيم عليه السلام فقد جاء في الصحيح عن

سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النَّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ؛ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لَتُعْفِي أَثَرَهَا عَلَى سَارَةِ ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابِنَهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْرَمٍ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مِنْطَقًا فَتَبِعْتُهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا هَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ أَلَلَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَتْ إِذَنْ لَا يُضِيعُنَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرُونَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ حَتَّىٰ بَلَغَ يَشْكُرُونَ﴾

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّىٰ إِذَا نَفِدَ مَا فِي السَّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى - أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ - فَانْطَلَمَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْ الصِّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِي تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَهَبَّطَتْ مِنَ الصِّفَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِي رَفَعَتْ طَرْفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعِيَ الْإِنْسَانِ



الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزْتَ الْوَادِيَّ ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلْتَ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ صَهْ تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمَعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ قَدْ أَسَمِعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثُ فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقْبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ يَدِيهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَقُورُ بَعْدَ مَا تَعْرِفُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَرَحِمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الْمَاءِ - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا» قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْعِلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّايِبَةِ تَأْتِيهِ السُّيُوفُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ - أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ - مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِقًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ؛ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّتَيْنِ، فَإِذَا هُم بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ، فَأَقْبَلُوا قَالَ وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْذِينِ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكَ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ؛ وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ. قَالُوا: نَعَمْ.



قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَانَ، فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ، فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أُبَيَاتٍ مِنْهُمْ، وَشَبَّ الْعُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ، وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوْجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ، وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ؛ فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرْكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِبَشَرٍ؛ نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ.

قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَأَقْرَبِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُعَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ أَنْسَ شَيْئًا فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟  
قَالَتْ: نَعَمْ؛ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلْنَا عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ.

قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ؟

قَالَتْ: نَعَمْ؛ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ عَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ.  
قَالَ: ذَلِكَ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَقَارِقَكَ الْحَقِي بِأَهْلِكَ، فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا  
قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟، وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ  
فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَنْتَ عَلَى اللَّهِ  
فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟



قَالَتْ: اللَّحْمُ

قَالَ: فَمَا شَرَاؤُكُمْ؟

قَالَتْ: الْمَاءُ

قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ

قَالَ: فَهَمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بَعِيرٍ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُؤَافِقَاهُ

قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَأِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمُرِيهِ يُثَبِّتُ عَتَبَةَ بَابِهِ

فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟

قَالَتْ: نَعَمْ أَنَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ - وَأَنْتِ عَلَيْهِ - فَسَأَلَنِي عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ

فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا بِخَيْرٍ

قَالَ: فَأَوْصَاكَ بِشَيْءٍ؟

قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ

قَالَ: ذَلِكَ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ؛ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَ.

ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبِيًّا لَهُ تَحْتِ

دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْرَمَ، فَلَمَّا رَأَهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ،

وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ

قَالَ: فَاصْنَعِ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ

قَالَ: وَتُعِينُنِي؟

قَالَ: وَأُعِينُكَ



قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةِ مُرْتَفَعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا

قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا اِرْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ هَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

قَالَ فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾<sup>(١)</sup>

ولما بلغ النبي ﷺ خمس وثلاثون سنة قامت قريش ببناء الكعبة مرة أخرى حين تصدعت جدرانها بسبب سيل نزل بها. وقد شارك النبي ﷺ في بنائها؛ عن عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ: يَا ابْنَ أَخِي لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَهُ عَلَى مَنْكِبِكَ دُونَ الْحِجَارَةِ، قَالَ: فَحَلَلْتُهُ فَجَعَلْتُهُ عَلَى مَنْكِبِهِ فَسَقَطَ مَعْشِيًّا عَلَيْهِ، قَالَ: فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عُرْيَانًا.<sup>(٢)</sup>

وروى أبو داود الطيالسي عن علي رضي الله عنه قال: لما انهدم البيت بعد جرهم بنته قريش، فلما أرادوا وضع الحجر تشاجروا؛ من يضعه؟ فاتفقوا أن

(١) البخاري (٣١١٣)

(٢) البخاري (١٤٧٦)، مسلم (٥١٥)



يضعه أول من يدخل من هذا الباب. فدخل رسول الله ﷺ من باب بني شيبه، فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب، فرفعوه، وأخذه رسول الله ﷺ فوضعه.<sup>(١)</sup>

### • العبر والعظات من قصة بناء الكعبة:

١. بناء الكعبة في هذا الوقت قبل البعثة بخمس سنين تمهيدا لاستقبال دعوة النبي ﷺ.

٢. بيان اتفاق أهل مكة على عظمة خلق النبي ﷺ ولذلك رضوا به حكما عندما دخل عليهم لأول وهلة دون أن يعترض أحد

٣- بيان مدى عظمة النبي ﷺ في فض النزاع بين القبائل في وضع الحجر وكيف استطاع أن يرضي الجميع في ذلك. مما استرعى هذا "انتباه المستشرق الألماني أغسطينوس مولر (١١٤٨-١٨٩٤) الذي درس اللغة العربية في فيينا، فتوقف عندها ملياً، وقال في كتابه "الإسلام": (ذكر أن قريشاً هدمت الكعبة، وكان النبي هو ابن ٣٥ سنة يشتغل معهم، وتعرض لتنازع قريش برفع الحجر الأسود فيضعه مكانه، ثم تعرض لسياسة النبي محمد في هذا المقام وأنه أدهش قريشاً بسياسته الرشيدة. ولقد راح بعض المستشرقين يعلق على هذا الحادث تعليقات مليئة بالتقدير والإعجاب لهذه الشعلة العبقريّة التي

(١) صحيح السيرة النبوية للألباني ص ١٩ وقد أخرج البيهقي في "شعب الإيمان (٣٨٧) من طريق

أبي داود الطيالسي



مكنت محمداً من تفهم الموقف بسرعة عظيمة، والتوصل بهذه الحيلة البريئة إلى إرضاء زعماء قريش جميعاً<sup>(١)</sup>

كما توقف الأب هنري لامنس عند هذه الحادثة فقال: (لما اختلفت قريش في قضية بناء الكعبة، وأي فخذ منها يجب أن يعهد إليه بوضع الحجر الأسود في مكانه، وكادوا يقتتلون، فاتفقوا على أن يعهدوا بذلك إلى محمد بن عبد الإله الهاشمي، قائلين هذا هو الأمين)<sup>(٢)</sup>

ولنا اعتراض على ذلك؛ فإن النبي ﷺ لم يسعى لإرضاء زعماء قريشا؛ لأن كلمة إرضاء فيها خبث؛ بل سعى النبي ﷺ لتوافق الأراء حتى ينزع فتيل الخلاف والنزاع بين بني العمومة، ويوفق بينهم وقال المستشرق آرثر جيلمان في كتابه: "الشرق":

لا بد أن يكون محمد قد تأثر بإعجاب القوم وتقديرهم العظيم هذه الفكرة التي بسطت السلام بين مختلف القبائل، ولا يبعد أن يكون محمد قد أخذ يحس بنفسه أنه من طينة أرقى من معاصريه، وأنه يفوقهم جميعاً ذكاءً وعبقريّة، وأن الله قد اختاره لأمر عظيم وقد اتفق المؤرخون على أن محمداً كان ممتازاً بين قومه بأخلاقه جميلة، من صدق الحديث، والأمانة، والكرم وحسن الشمائل والتواضع، حتى سماه أهل بلده - الأمين - وكان من شدة

(١) اغسطينوس موللر : الإسلام. عن كتاب الرسول في الدراسات الاستشراقية ص ٢٢

(٢) هنري لامنس : عهد الإسلام ، ص ٦٥. المصدر السابق



ثقتهم به يودعون عنده ودائعهم وأماناتهم، وكان لا يشرب الأثرية المسكرة  
ولا يحضر للأوثان عيداً ولا احتفالاً<sup>(١)</sup>

---

(١) آرثر جيلمان : الشرق ، ص ١١٧ . عن المصدر السابق



## الفصل الثاني من البعثة إلى الهجرة

### • أولاً: في غار حراء

لما تقاربت سنه ﷺ الأربعين، وكانت تأملاته الماضية قد وسعت الشقة العقلية بينه وبين قومه، حُجِبَ إليه الخلاء، فكان يأخذ السَّوِيقَ والماء، ويذهب إلى غار حراء في جبل النور على بُعد نحو ميلين من مكة. وهو غار لطيف طوله أربعة أذرع، وعرضه ذراع وثلاثة أرباع ذراع من ذراع الحديد فيقيم فيه شهر رمضان، ويقضي وقته في العبادة والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون وفيما وراءها من قدرة مبدعة، وهو غير مطمئن لما عليه قومه من عقائد الشرك المهلهلة وتصوراتها الواهية، ولكن ليس بين يديه طريق واضح، ولا منهج محدد، ولا طريق قاصد يطمئن إليه ويرضاه.

وكان اختياره ﷺ لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له، وليكون انقطاعه عن شواغل الأرض وضجّة الحياة وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة نقطة تحول لاستعداده لما ينتظره من الأمر العظيم، فيستعد لحمل الأمانة الكبرى وتغيير وجه الأرض، وتعديل خط التاريخ... دبر الله له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة بثلاث سنوات، ينطلق في هذه العزلة شهراً من الزمان، مع



روح الوجود الطليقة، ويتدبر ما وراء الوجود من غيب مكنون، حتى يحين موعد التعامل مع هذا الغيب عندما يأذن الله. (١)

### ثانيًا: ونزل جبريل بالرسالة

"في غار شاهق يقع على الطريق ما بين السماء والأرض تم اللقاء بين محمد القادم من الأرض حاملاً ضراعتها، وبين جبريل القادم من السماء حاملاً رسالتها ودار الحوار:

الملك جبريل: اقرأ. النبي محمد: ما أنا بقارئ.

الملك جبريل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [العلق: ١-٥]

هذه الكلمات هي بسملة سعادة الإنسان، وهي الأشعة الأولى لأنوار القرآن، يا لها من براعة استهلال لمقاصد الرسالة..

من تحت سن القلم      أبصرتُ بعث الأمم  
 (اقرأ) تلاها المصطفى      فكان جيل الأرقم (٢)

ها هنا في قلب الغار اختُصر تاريخ الإنسان، فإياه من مكان عمر في جوفه

(١) الرحيق المختوم ص ٧٤

(٢) (أحبك ربي - نجاوي شعرية)



الزمان.

وقد تكون بعض الأحداث في التاريخ أكبر من التاريخ نفسه !! ويوم  
حراء أكبر وأخلد من التاريخ. وأكرم بيوم تم فيه اللقاء بين أمين الأرض وأمين  
السماء!<sup>(١)</sup>

وتحكي لنا أم المؤمنين عائشة ما دار بين أمين الأرض وأمين السماء، فقد  
روى البخاري في صحيحه (٣) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا  
بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا  
إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْحَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِعَارِ حِرَاءٍ  
فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ  
لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ  
حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ!

قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ!

قَالَ: فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ!

قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ!

فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ!

فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ!

فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي الثَّالِثَةَ: ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:

(١) مقدمة كتاب رحمت محمد ولم أخسر المسيح : د عبد المعطي الدالاتي



﴿أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَفْرَأُ وَرَبُّكَ  
الْأَكْرَمُ (٣)﴾ [العلق: ١-٣]

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي فَرَمَلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْغُ  
فَقَالَ لِحَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْحَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي  
فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ  
الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. (١)  
فَانطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ  
عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ  
فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ  
عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ  
فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟  
فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى

(١) (يرحف فؤاده) يخفق قلبه ويتحرك بشدة. (زملوني) لفوني وغطوني. (الروع) الفزع. (ما  
يخزيك) لا يذل ولا يضيعك. (لتصل الرحم) تكرم القرابة وتواسيهم. (تحمل الكل) تقو بشأن  
من لا يستقل بأمره ليتم وغيره وتتوسع بمن فيه ثقل وغلاظة. (تكسب المودم) تبرع بالمال لمن عدمه  
وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك. (تقري الضيف) تهجيء له القرى وهو ما يقدم للضيف من  
طعام وشراب. (نوائب الحق) النوائب جمع نائبة وهي ما ينزل بالإنسان من المهمات وأضيفت إلى  
الحق لأنها تكون في الحق والباطل. [انظر صحيح البخاري (٤/١) تعليق الدكتور مصطفى البغا]



فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْخْرِجِي هُمْ!!  
 قَالَ: نَعَمْ! لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ  
 أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُؤَيِّ وَفَتَرَ الْوَحْيِ.

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ  
 الْأَنْصَارِيَّ قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي  
 إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ  
 جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمَلُونِي  
 زَمَلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ  
 (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾ [المدثر: ١- ٥] فَحَمِيَ الْوَحْيِ  
 وَتَتَابَعَ.

ولا يحتاج الكلام إلى تعليق، فيه كل المعاني، وكل الدلالات، وكل العبر  
 والعظات، حدث هز سيد الأولين والآخرين ألا يهز الأرض والسماء  
 أجمعين!!! وقد قال سبحانه: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ  
 خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَصْرِبِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ  
 يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]

مهد أمين الله على وحيه جبريل الأمر لسيد الخلق بكلمة: اقرأ، ولم يدفع إليه



بكل الآيات مرة واحدة، وضمه في كل مرة، ليتحمل هذا القلب البشري هذا القرآن العظيم.

وحتى المنصفين من المستشرقين هالمهم هذا الحدث العظيم فيتحدث المستشرق الفرنسي جان توزنون كرو ( ١٨٦٧ – ١٩٢٤ ) في كتابه « العرب » عن مقدمات النبوة وبدء البعثة في مقدمة كتابه بقوله: ( أن الله اصطفى محمداً لإرشاد أمته، وعهد إليه هدم ديانتهم الكاذبة وإنارة أبصارهم بنور الحق، فأخذ من ذلك العهد ينادى باسم الواحد الأحد، بحسب ما أوحى إليه وبمقتضى عقيدته الراسخة ). إلى أن قال: ( وقذف في نفس محمد مجموع كتاب ملآن بالأسرار والإلهية، وأوحى إليه مجموعة حقائق تتجاز مسافة عقله الطبيعي، لذلك فإن الله علم الإنسان بالقلم « علمه ما لم يعلم، هذا هو سر الوحي، وهو مر الكلمة المكتوبة، وكانت الكلمة المكتوبة وحيّاً إلهياً<sup>(١)</sup> ).

أول من آمن به

وعلى الفور آمنت به السيدة العظيمة خديجة بعد أن أظهرت له كل النصره والولاء والتصديق

(١) جان توزنون كرو: العرب ، مقدمة الكتاب



### • ثالثاً: انقطاع الوحي

لم ينزل عليه جبريل مرة أخرى ليزداد شوق النبي ﷺ إليه، وحكمة من الله لعلها لاستعداد النبي ﷺ وتهيئته للمهمة الصعبة التي سوف يقوم بها، فليست المسألة نزول جبريل عليه بهذه الآيات وفقط؛ بل الأمر أثقل من هذا ولذا قال تعالى له: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [الزلزل: ٥]، ولا بد من الاستعداد له.

وقد اختلف أهل السير في مدة فترة الوحي، والراجح أنها أيام<sup>(١)</sup> وهنا وقفة:

فقد روى البخاري من رواية الليث بن سعد عقيل عن الزهري، ومن رواية عبد الرزاق عن معمر قال الزهري: وفيها:

حَتَّى حَزَنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَغْنَا حُزْنًا عَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكَلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِي مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِدَلِكْ جَأْشُهُ وَتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ عَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ.

وقد أثار المشككون في نبوة النبي ﷺ قديما وحديثا هذه الشبهة: كيف يكون نبيا وهو يريد الانتحار؟! وأستغلها آخرون في الطعن في صحيح البخاري

(١) انظر سبيل الهدى والرشاد (٢/٢٧٥، ٢٧٦) والرحيق المختوم ص٧٨، ونور اليقين ص٣٧



## الجواب عن ذلك:

١ . قد وردت قصة الوحي في أكثر من مرجع دون ذكر هذه القصة الأخيرة

قال الحافظ في فتح الباري:

وأخرجه أحمد ومسلم والإسماعيلي وغيرهم وأبو نعيم أيضا من طريق جمع من أصحاب الليث عن الليث بدونها. <sup>(١)</sup>

٢- أن الرواية من بلاغات الزهري فلم تثبت موصولة فهي من قبيل المنقطع والمنقطع من أنواع الضعيف ولعل البخاري ذكرها تبيها على أنها ليست على شرطه <sup>(٢)</sup>

قال الحافظ في فتح الباري:

ثم إن القائل فيما بلغنا هو الزهري ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ في هذه القصة وهو من بلاغات الزهري وليس موصولا وقال الكرمانى هذا هو الظاهر ويحتمل أن يكون بلغه بالإسناد المذكور ووقع عند بن مردويه في التفسير من طريق محمد بن كثير عن معمر بإسقاط قوله فيما بلغنا ولفظه فترة حزن النبي ﷺ منها حزنا غدا منه إلى آخره فصار كله مدرجا على رواية الزهري وعن عروة عن عائشة والأول هو المعتمد <sup>(٣)</sup>

(١) فتح الباري (٣٦١/١٢)

(٢) انظر السيرة النبوية للدكتور محمد أبو شهبه (٢١٨/١)

(٣) فتح الباري (٣٥٩/١٢)



٣- ورد الحديث عند البخاري (٤٥٤٥) وغيره من طريق الليث عَنْ عُقَيْلٍ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ قَالَ أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي قِبَلَ السَّمَاءِ فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ قَاعِدٍ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِئْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ إِلَى قَوْلِهِ فَاهْجُرْ﴾

قَالَ أَبُو سَلَمَةَ وَالرَّجَزَ الْأَوْثَانَ ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ.

ولم يرد فيه القصة المذكورة.

٤ . وعلى فرض صحة الخبر فقد قال الحافظ فتح الباري: وأما إرادته إلقاء نفسه من رؤوس الجبال بعد ما نبئ فلضعف قوته عن تحمل ما حمله من أعباء النبوة وخوفا مما يحصل له من القيام بها من مباينة الخلق جميعا كما يطلب الرجل الراحة من غم يناله في العاجل بما يكون فيه زواله عنه ولو أفضى إلى إهلاك نفسه عاجلا حتى إذا تفكر فيما فيه صبره على ذلك من العقبي المحمودة صبر واستقرت نفسه. (١)

(١) فتح الباري (٣٦١/١٢)



٥- النبي ﷺ في هذه الفترة لم يعلم بقضية أن الانتحار من الكبائر؛ فشرائع الإسلام لم تكن قد نزلت، ومع ذلك فقد عصمه الله تعالى من ذلك فلم يفعل.

### • رابعاً: ثم تتابع الوحي

وعلى ما تقدم في حديث جابر بينما النبي ﷺ يمشي إذ سمع صوتاً من السماء فرفع بصره فإذا هو جبريل الذي نزل عليه بحراء فرعب منه ورجع إلى خديجة قائلاً بها: دثروني دثروني<sup>(١)</sup> فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمُنُنْ تَسْتَكْبِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾ [المدثر: ١-٧]

كلمات من نور وتكليف حكيم يحمل معاني الرحمة والاستقامة  
قم فأنذر: الناس من عذاب الله تعالى إن هم خالفوا أمره ولم يدخلوا في دينه  
وربك فكبر: خصه بالتعظيم والتبجيل والتوحيد ولا تشرك به شيئاً  
وثيابك فطهر: دعوة إلى الطهارة والنقاء حتى فيما ظهر فضلاً عما بطن  
والرجز فاهجر: يشمل جميع المستقذرات باطنة من الشرك والوثنية والأحقاد  
والمعاصي وغيرها، وظاهرة من تجنب الوثنية والفواحش التي يرتع فيها أهل مكة.

(١) دثروني: أي غطوني



ولا تمنن تستكثر: دعوة إلى العطاء بلا حدود، دون انتظار جزاء من أحد، ودون ممن عليه أو طمع فيما عنده.

ولربك فاصبر: وهذا لأن صاحب هذه الرسالة لا بد من إلحاق الأذى به من شياطين الجن والأنس، فعليه بالصبر والاستمرار حتى يبلغ مراده. فقد تضمنت هذه الآيات ثلاث نقاط رئيسية:

الأولى: دعوة الناس إلى الحق الذي بعث به وهذه تختص بإنقاذ الناس من الظلمات إلى النور وهي كم خصائص الرسالة المحمدية والثانية: لنفسه، هو تطبيق شرع الله على نفسه ليكون قدوة والثالثة: الصبر على بلاء الناس، وهذه للناس وله، فمن غير صبر على الناس تقف الدعوة، ويحل الجزع

### • خامساً: أنواع الوحي

قال ابن القيم في زاد المعاد

وكمل الله له من مراتب الوحي مراتب عديدة:

إحداها: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه ﷺ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه، كما قال النبي ﷺ: (إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها،



فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته<sup>(١)</sup>.

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا.<sup>(٢)</sup>

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه، فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها. ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها.<sup>(٣)</sup>

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في [النجم: ٧، ١٣].

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٠ / ٢٧) عن أبي أمامة والبيهقي في شعب الإيمان (١٣ / ١٩) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٣ / ٢٢٧) والشهاب في مسنده (٢ / ١٨٥) عن ابن مسعود وصححه الألباني

(٢) جاء في مسند أحمد بن حنبل (٢ / ١٠٧) عن ابن عمر عن النبي ﷺ: (قال وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية) والمقصود به دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ

(٣) روى البخاري (١ / ٤) عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: ( أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول)

قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا



السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى بن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن، وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء.

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة، وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب، وهذا على مذهب من يقول: إنه ﷺ رأى ربه تبارك وتعالى، وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف، وإن كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمي إجماعاً للصحابة.<sup>(١)</sup>

#### • سادساً: الدعوة السرية

قام النبي ﷺ بالدعوة سرا إلى هذا الدين الذي كلفه به رب العزة تبارك وتعالى إذ ليس من الحكمة أن يجاهر بما بداية ويجابه صناديد الكفر، ويعرض نفسه وأصحابه للهلاك وخاصة أن قريشا قوم غلاظ، جفاة، ليس من السهل أن يتركوا ما ورثوه من دين آبائهم وأجدادهم وهم أصحاب الأنفة، فلا بد من وجود أتباع كثر يؤازروه في مشواره الطويل، فكان لابد من سرية الدعوة في هذه المرحلة، فكان أول من أسلم من النساء خديجة رضي الله عنها، ثم كان من الصبيان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ كان يقطن

(١) زاد المعاد (١/ ٧٧ - ٧٩)



مع النبي ﷺ في بيته وكان له من العمر عشر سنين، ثم نزل النبي ﷺ إلى صاحب الروح وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو: هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي. وقد ولد أبو بكر سنة ٥٧٣ م وهو أول الخلفاء وأمه أم سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهي ابنة عم أبي قحافة.

وكان أول من أسلم من الرجال ومن الموالى زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال بن رباح الحبشي.

وانطلق الصديق رضي الله عنه يدعو من يظن فيه الاستجابة سريعاً، وكان رجلاً يألفه قومه؛ لحسن سيرته ومعاملته، فكان من نتاج دعوته: عثمان بن عفان الأموي، والزيير بن العوام الأسدي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص الزهريان، وطلحة بن عبيد الله التيمي.

ثم تلا هؤلاء أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح من بني الحارث بن فهر، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وامرأته أم سلمة، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون الجُمَحِيّ وأخواه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث ابن المطلب بن عبد مناف، وسعيد بن زيد العدوي، وامرأته فاطمة بنت الخطاب العدوية أخت عمر بن الخطاب، وخباب بن الأرت التيمي، وجعفر بن أبي طالب، وامرأته أسماء بنت عُمَيْس، وخالد بن سعيد بن العاص الأموي، وامرأته أمينة بنت خلف، ثم أخوه عمرو بن سعيد



بن العاص، وحاطب بن الحارث الجمحي، وامرأته فاطمة بنت المَجَلَّل وأخوه الخطاب بن الحارث، وامرأته فُكَيْهَةَ بنت يسار، وأخوه معمر ابن الحارث، والمطلب بن أزهر الزهري، وامرأته رملة بنت أبي عوف، ونعيم بن عبد الله بن النحام العدوي، وهؤلاء كلهم قرشيون من بطون وأفخاذ شتى من قريش.

ومن السابقين الأولين إلى الإسلام من غير قريش: عبد الله بن مسعود الهذلي، ومسعود بن ربيعة القاري، وعبد الله بن جحش الأسدي وأخوه أبو أحمد بن جحش، وبلال بن رباح الحبشي، صُهَيْب بن سنان الرومي، وعمار بن ياسر العنسي، وأبوه ياسر، وأمّه سمية، وعامر بن فُهَيْرَة.<sup>(١)</sup>

فكان هؤلاء وغيرهم من السابقين الأولين الذين واجهوا فوهة البركان في بدايته

"وهكذا دخل هؤلاء الأشراف في دين الإسلام، ولم يكن مع رسول الله ﷺ سيف يضرب به أعناقهم حتى يطيعوه صاغرين، وليس معه ما يرغب فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم، وذوي الثروة منهم، ويتبعوا الرسول لياًكلوا من فضل ماله، بل كان الكثير منهم واسع الثروة أكثر منه عليه الصلاة والسلام كأبي بكر وعثمان وخالد بن سعيد وغيرهم، والذين اتبعوه من الموالي اختاروا الأذى والجوع والمشقات مع اتباع الرسول، بحيث لو اتبعوا سادتهم لكانوا في هذه الدنيا أهدأ بالاً وأنعم عيشة، اللهم ليس ذلك إلا من هداية الله وسطوع

(١) الرحيق المختوم ص ٨٦



أنوار الدين عليهم، حتى أدركوا ما هم عليه من الضلالة وما عليه رسول الله من الهدى<sup>(١)</sup>

واستمرت سرية الدعوة ثلاث سنوات، حتى بدأ يفوح أريجها، وينظر المشركين إلى هؤلاء القوم نظرة الغرابة والاستفسار، لكنهم فوجئوا بإعلان هذا الدين الجديد.

يقول المستشرق آتيين دينيه: ( هذه المجموعة الصغيرة من المؤمنين كانت تحيا حياة مليئة بالانفعالات والعواطف. حقاً ما أجمل اجتماعهم في عبادة الله مستخفين عن أعين الناس. لشد ما كانوا يأخذون حذرهم كيلا يشيروا انتباه المشركين. وفي هذه الظروف لا يمكن للدعوة الإسلامية أن تنشر إلا سراً، وبين الأصدقاء، ولهذا كان تقدم الإسلام في سنواته الثلاث الأولى بطيئاً جداً<sup>(٢)</sup>.

### ملخص أسباب سرية الدعوة

السبب الأول: الضعف البدني والمادي الذي كان فيه النبي ﷺ وأصحابه في هذه المرحلة وهو ما يعنيه كثير من الكتاب في الكلام عنها.

(١) نور اليقين ص ٤٥ ، ٤٦

(٢) آتيين دينيه: محمد رسول الله، ص ١١٧-١١٨.



السبب الثاني: الضعف العقلي الذي كان يزرع فيه أهل مكة ويتمثل في عدم قبول هذه الدعوة الجديدة التي تتعارض تماما مع معتقداتهم وأهم عاداتهم، وهذا ما لم يتطرق إليه كاتب وهذا له عدة أسباب منها:

- ١ . العصبية القبلية التي تتمتع بها مكة عن غيرها من القبائل العربية
  - ٢ . العصبية التي تتناحر عليها أهل مكة ذاتها في ما بينهم. فيصعب على غير الهاشميين قبول رياضة الهاشميين المطلقة. فيقع التناحر بين القبائل لأجل هذا الأمر
  - ٣ . الأحقاد بين الأقارب في القبيلة الواحدة أو الأسرة الواحدة.
- السبب الثالث: تهيئة المناخ الملائم لقبول هذه الدعوة حتى لا يحدث صد لها من بدايتها

### ● سابعاً: الجهر بالدعوة

بعد أن استقر الدين في نفوس الرعييل الأول ممن أسلم في المرحلة السرية، ورسخت العقيدة، واستعدوا لتحمل المشاق في سبيل نصرته هذا الدين جاءهم الأمر من الله تعالى حيث قال لنبيه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥]

وقال سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾



الْأَقْرَبِينَ ﴿ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فَهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبَطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرَجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو هَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَكُنتُمْ مُصَدِّقِي؟

قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا

قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ

فَقَالَ أَبُو هَبٍ: تَبَّأَ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا

فَنَزَلَتْ: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ

(٢) ﴾ [المسد: ١-٣] <sup>(١)</sup>

شهادة عظيمة لرسول الله ﷺ في هذا الموقف حين قالوا له: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، حتى أبو لهب كان ممن صدق بهذا ولكنه الجحود قد أعمى قلبه عن اتباع الحق

عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup>: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ

(١) البخاري (٤٣٩٧) ، وقوله تعالى: {تبت يدا أبي لهب} أي: خسرت وخابت، وضل عمله وسعيه، {وتب} أي: وقد تب تحقق خسارته وهلاكه. [تفسير ابن كثير (٨/ ٥١٥)]

(٢) أن ينذر عشيرته الأقربين، أي: الأذنين إليه، وأنه لا يخلص أحدا منهم إلا إيمانه بربه عز وجل، وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين. ومن عصاه من خلق الله كائنا من كان فليتبرأ منه

[تفسير ابن كثير (٦/ ١٦٦)]



اللَّهُ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا. (١)

وقف ﷺ هذا الموقف العظيم موقف الناصح الأمين، موقف المشفق على قومه من عذاب الله، موقف الرحمة

وهذه الصيحة العالمية غاية البلاغ، وغاية الإنذار، فقد أوضح ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأوضح أن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار، الذي جاء من عند الله تعالى، فقد دعا ﷺ قومه - في هذا الموقف العظيم - إلى الإسلام، ونهاهم عن عبادة الأوثان، ورغبتهم في الجنة، وحذرهم من النار، وقد ماجت مكة بالغرابة والاستنكار، واستعدت لحسم هذه الصرخة العظيمة التي ستزلزل عاداتها وتقاليدها وموروثاتها الجاهلية؛ ولكن الرسول الكريم ﷺ لم يضرب لصرخاتهم حسابًا؛ لأنه مرسل من الله - عز وجل -، ولا بد أن يبلغ البلاغ المبين عن رب العالمين، حتى ولو خالفه أو رد دعوته جميع العالمين، وقد فعل ﷺ (٢)

(١) مسلم (٣٠٥)

(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله لسعيد بن وهف القحطاني (ص ١٦١)



وسخرت منه قريش واستهزءوا به في مجالسهم فكان إذا مرَّ عليهم يقولون: هذا ابن أبي كبشة يُكَلِّمُ من السماء، وهذا غلام عبد المطلب يُكَلِّمُ من السماء لا يزيدون على ذلك، فلما عاب آلهتهم، وسَفَّهَ عقولهم وقال لهم: «والله يا قوم لقد خالفتم دين أبيكم إبراهيم»، ثارت في رؤوسهم حمية الجاهلية غَيْرَةً عَلَى تلك الآلهة التي كان يعبدها آباؤهم، فذهبوا إلى عمه أبي طالب سيد بني هاشم الذي أخذ على نفسه حمايته من أيدي أعدائه، فطلبوا منه أن يُخَلِّي بينهم وبينه أو يكفَّه عمًا يقول، فردَّهم ردًّا جميلاً فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله لما يريد لا يصدده عن مراده شيء، فتزايد الأمر، وأضمرت قريش الحقد والعداوة لرسول الله ﷺ، وحث بعضهم بعضاً على ذلك. ثم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى وقالوا له: إن لك سناً وشرفاً ومنزلة منّا، وإنّا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تَنْهَهُ عَمَّا، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه عقولنا، وعيب آلهتنا. فإنهم كانوا إذا احتجوا بالتقليد في استمرارهم على عدم اتباع الحق ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خُلقت له. قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]

وقال في سورة المائدة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ



شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿المائدة: ١٠٤﴾ وقال في سورة لقمان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١]<sup>(١)</sup>

ويتحدث المفكر الإنكليزي (توماس كارليل) عما لاقاه الرسول من عشيرته وعاناه في محاولته إقناع أفرادها بصحة ما يؤمن به، فقال: (وجعل يذكر رسالته لهذا ولذاك، فما كان يصادف إلا جحوداً وسخرية، حتى أنه لم يؤمن به في خلال ثلاثة أعوام إلا ثلاثة عشر رجلاً<sup>(٢)</sup>)، وذلك منتهى البطء، وبئس التشجيع، ولكنه المنتظر في مثل هذه الحال، وبعد هذه السنين الثلاث أدب مآدبة لأربعين من قرابته ثم قام بينهم خطيباً فذكر دعوته، وانه يريد أن يذيعها في سائر أنحاء الكون، وأنها المسألة الكبرى بل المسألة الوحيدة، فيهم يمد إليه يده ويأخذ بناصره؟ وبينما القوم صامتون حيرة ودهشة وثب على، وكان غلاماً في السادسة عشر، وكان قد أغاظه سكوت الجماعة فصاح في أشد لهجة أنه ذاك النصير والظهير. ولا يحتمل أن القوم كانوا منابذين محمداً ومعادينه وكلهم قرابته، وفيه أبو طالب عم محمد وأبو علي، ولكن رؤية رجل كهل أمني يعينه غلام في السادسة عشر، يقومان في وجه العالم بأجمعه كانت مما يدعو إلى العجب المضحك، فانفض القوم ضاحكين. .. ولكن الأمر لم

(١) نور اليقين ص ٤٨

(٢) خطأ وقع فيه الكاتب بل الذين أسلموا في هذه الفترة أكثر من ذلك بكثير



يك بالمضحك، بل كان نهاية في الجدل والخطر<sup>(١)</sup>.

### ○ جوهر دعوة النبي ﷺ هو التوحيد

فإن النبي ﷺ بعث على ما بعث به جميع الأنبياء وهو دعوة الناس إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، وهو التوحيد. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

وهي الغاية التي من أجلها خلق الخلق حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

وكل نبي بعث لقومه يقول لهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]

وهكذا كانت دعوة النبي في مكة إلى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله. عن طارق المحاربي قال: رأيت رسول الله - ﷺ - مر في سوق ذي المجاز، وعليه حلة حمراء، وهو يقول: "يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا" ورجل يتبعه يرميه بالحجارة، قد أدمى كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول: يا أيها الناس! لا تطيعوه فإنه كذاب. فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا غلام بني عبد المطلب. فقلت: من هذا الذي يتبعه يرميه بالحجارة؟ قالوا: هذا عبد العزى أبو لهب.<sup>(٢)</sup>

(١) توماس كارليل: الأبطال، ص ٧٢-٧٣. عن كتاب الرسول في الدراسات الاستشراقية

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ١١٩) بسند صحيح



وليس المقصود هنا هو توحيد الربوبية فقد كان أهل مكان يعرفون هذا التوحيد حيث قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢)﴾ [يونس: ٣١ ، ٣٢ ،

فهم يعلمون أن الله هو الخلق والرازق والحَي والمميت ومدبر الأمور ولا يملك الضر والنفع سواه، إلا أنهم كانوا يتوجهون بالعبادة من ذبح ونذر وقربان ودعاء وتبرك إلى أصنامهم التي صنعوها بأيديهم، فكانت دعوة النبي على أساس صرف هذه العبادة لله تعالى وهو معنى كلمة لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله.

فهي دعوة لتوحيد الأمة على كلمة واحدة وعقيدة واحدة، ودعوة لترك الشرك والوثنية التي يعيش فيها الناس في كل أنحاء الدنيا والتوجه إلى إله واحد خالق رازق مدبر للكون ومالك له سبحانه وتعالى.

### ● ثامناً: قريش تنتفض لمجابهة الدعوة

وثارت ثائرة قريش حين استمر النبي ﷺ في دعوته، وكل يوم يكثر الاتباع، وكلما ازدادت قريش سخرية ازداد اتساع دائرة الإسلام، فاغتاظ



صناديد الكفر في مكة، وشعروا بالخطر الذي بدأ يحيط بهم، فانتفضوا لمجابهة هذه الدعوة بشتى أنواع القسوة، وكان من أساليبهم:

### ١ . شكوى قريش إلى أبي طالب من النبي ﷺ

عَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يُؤْذِنَا فِي نَادِيَانَا وَفِي مَجْلِسِنَا فَانْهَهُ عَنْ إِبْدَائِنَا، فَقَالَ لِي: يَا عَقِيلُ أَنْتَ مُحَمَّدًا، فَأَنْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ كَيْسٍ . قَالَ طَلْحَةُ: بَيِّتْ صَغِيرًا . فَجَاءَ فِي الظُّهْرِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ فَجَعَلَ يَطْلُبُ الْفَيْءَ<sup>(١)</sup> يَمْشِي فِيهِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الرَّمْضَاءِ<sup>(٢)</sup>، فَأَتَيْنَاهُمْ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّ بَنِي عَمِّكَ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَفِي مَجْلِسِهِمْ، فَأَنْتَ عَنْ ذَلِكَ فَخَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: "مَا تَرَوْنَ هَذَا الشَّمْسَ؟" قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "مَا أَنَا بِأَقْدَرُ أَنْ أَدْعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَنْ تُشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً" قَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا كَذَبْنَا ابْنَ أَخِي قَطُّ فَارْجِعُوا.<sup>(٣)</sup>

### ٢ \_ الاتهامات الباطلة لصد الناس عنه من خلال إعلامهم الكاذب

وهي وسيلة من وسائل الإعلام الكاذب في كل عصر

(١) الفَيْءُ : الظل

(٢) حر الرمضاء : الرمل إذا استحرت الشمس عليه فصار ملتها

(٣) إسناده حسن: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٩٤٦) والبيهقي في دلائل النبوة (٤٩٤) وأبو يعلى في مسنده (٦٦٥٧) وأخرجه الطبراني أيضا في الأوسط ( ٨٧٩١ ) من حديث عبد الواحد بن زياد عن طلحة بن يحيى عن موسى بن طلحة به



. اتهموه بالجنون بعدما حدقوا فيه أعين الحقد والحسد

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١]

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]

وقد رد الله عليهم بقوله لنبيه في آية القلم: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٢]

. اتهموه بالسحر والكهانة برغم اعترافهم أن ما يقوله أبعد عن قول الكهان والسحرة

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

قال تعالى لنبيه: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩]

وقال ردا على المشركين: ﴿وَلَا يَقُولِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٢]

. اتهموه بالكذب برغم أنهم ما جربوا عليه كذبا قط

كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ

آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤]



- اتهموه بالإتيان بالأساطير لتشويه تعاليمه وإثارة الشبهات، وبث الدعاوي الكاذبة

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]

- وقالوا إن القرآن ليس من عند الله وإنما من عند البشر:

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]

### ٣ \_ السخرية والاستهزاء والضحك.

وقد أكثروا من السخرية والاستهزاء وزادوا من الطعن والتضحيك شيئاً فشيئاً حتى أثر ذلك في نفس رسول الله ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٧]، ثم ثبته الله وأمره بما يذهب بهذا الضيق فقال: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩]، وقد أخبره من قبل أنه يكفيه هؤلاء المستهزئين حيث قال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٥، ٩٦]، وأخبره أن فعلهم هذا سوف ينقلب وبالأعلى عليهم فقال: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١٠].<sup>(١)</sup>

(١) الرحيق المختوم ص ٩٤



عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية<sup>(١)</sup>

ولم كثر منهم اللغط وتكرار الاستهزاء أراد رسول الله ﷺ أن يذكرهم بما يخيفهم لكنهم أصروا على إيذائه فقد روى ابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمرو، قال: قلت: ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله ﷺ، فيما كانت تظهر من عداوته؟

قال: قد حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا، فبينما هم في ذلك، إذ طلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، فمر بهم طائفاً بالبيت، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض القول

قال: وعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى ﷺ، فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى ﷺ، فمر بهم الثالثة، غمزوه بمثلها،

(١) البخاري (٤٢٨١)



ثم قال: « أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتمكم بالذبح ». »

قال: فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا لكأنا على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وطأة قبل ذلك يتوقاه بأحسن ما يجيب من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشدا، فوالله ما كنت جهولا. فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكروهون تركتموه، وبيننا هم في ذلك، إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به، يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا - لما كان يبلغهم عنه من عيب آهتهم ودينهم؟ قال: « نعم، أنا الذي أقول ذلك ». قال: فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع رداءه، وقال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟، ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط<sup>(١)</sup>

وكان إذا جلس ﷺ وحوله المستضعفون من أصحابه استهزأوا بهم، لكن لما وصل الأمر خط لا يسمح لأهل قريش بتعديه فقد كان النبي ﷺ حازما في موقفه، وأظهر لهم شيء من الغضب ليكيف آذاهم عنه وعن أصحابه

(١) حسن: أخرجه ابن حبان (٦٦٨٧) ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤١٤٨)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده من طريق آخر عن ابن عمرو به، وابن أبي شيبه من نفس طريق أبي يعلى



٤ . التشويه عليه وصرف الناس عنه والحيلولة بينهم وبين سماع القرآن " كان المشركون بجنب إثارة هذه الشبهات يحولون بين الناس وبين سماعهم القرآن ودعوة الإسلام بكل طريق يمكن، فكانوا يطردون الناس ويشيرون الشغب والضوضاء ويتغنون ويلعبون، إذا رأوا أن النبي ﷺ يتهيأ للدعوة، أو إذا رأوه يصلى ويتلو القرآن. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] حتى إن النبي ﷺ لم يتمكن من تلاوة القرآن عليهم في مجامعهم ونواديهم إلا في أواخر السنة الخامسة من النبوة، وذلك أيضاً عن طريق المفاجأة، دون أن يشعروا بقصده قبل بداية التلاوة.<sup>(١)</sup>

#### ٥ . الإيذاء البدني

ولم يسلم النبي ﷺ من إيذاء قريش مثله مثل أصحابه فلقد ألقوا على ظهره وهو ساجد أمعاء الجمال سخرية منه وتقيصاً لشأنه كما جاء في صحيح البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذْ جَاءَ عُثْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى جَزُورٍ فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَأَخَذَتْ مِنْ ظَهْرِهِ وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ ذَلِكَ

(١) الرحيق المختوم ص ٩٥



فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَا مِنْ قُرَيْشٍ اللَّهُمَّ عَلَيْكَ أَبَا جَهْلٍ بَنَ هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بَنَ زَيْعَةَ وَشَيْبَةَ بَنَ زَيْعَةَ وَعُتْبَةَ بَنَ أَبِي مُعَيْطٍ وَأُمَيَّةَ بَنَ خَلْفٍ أَوْ أَبِي بَنَ خَلْفٍ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ فَأَلْفُوا فِي بَيْتِ غَيْرِ أُمَيَّةٍ أَوْ أَبِي فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا فَلَمَّا جَرَّوهُ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ قَبْلَ أَنْ يُلْتَمَى فِي الْبَيْتِ. (١)

واستمر النبي ﷺ يدعو إلى الله تعالى ليلاً نهاراً، وسراً وجهراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك راد، ولا يصدّه عن ذلك صاد، يتبع الناس في أنديةهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من حر وعبد، وضعيف وقوي، وغني وفقير، جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء.

وتسلط عليه وعلى من اتبعه من أحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية.

وكان أشد الناس عليه عمه أبو لهب، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب، وامراته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان.

وخالفه في ذلك عمه أبو طالب بن عبد المطلب، وكان رسول الله ﷺ أحب خلق الله إليه طبعاً، وكان يحنو عليه، ويحسن إليه، ويدافع عنه ويحامي،

(١) البخاري (٢٩٤٨)



ويخالف قومه في ذلك؛ مع أنه على دينهم وعلى خلتهم؛ إلا أن الله قد امتحن قلبه بحبه حباً طبيعياً لا شرعياً.<sup>(١)</sup> ومما يثير العجب أن أهل مكة اتهموا النبي ﷺ بكل تهمة عدا تهمة واحدة قد اخترعها أعداءه في العصر الحديث من الغربيين وأذناهم من العلمانيين ألا وهي اتهامه بالإرهاب، وهو اختراع حديث المقصود منه هو تشويه هذا الدين والصد عن السماع لمنهج النبي ﷺ الذي يخالف أطماع هؤلاء الحاقدين ومخططاتهم في إخضاع الشعوب لأهوائهم.

### • إيذاء الصحابة وصبرهم على الأذى

ولقد تعرض الصحابة لأنواع شتى من صنوف العذاب، وكأن يد الظالم واحدة في كل العصور، في شدة البطش والجبروت، ونزوع الرحمة من الصدور. وهذه أمثلة:

#### ١. بلال في بطحاء مكة

هو بلال بن رباح الحبشي مولى أمية بن خلف، أسلم وتبع النبي ﷺ فكان أمية يأخذه في بطحاء مكة ولهيب الحر على الصخر، ويضع الصخر على صدره، فتحتته صخور ملتهبة وفوقه صخور ملتهبة، ويطوفون به في شوارع مكة، وبلال لا يقول إلا: أحدٌ أحدٌ، فقد روى ابن ماجه في سننه (١٤٧)

(١) صحيح السيرة النبوية للألباني ص ٥٦



من حديث عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قال: كان أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أذراع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا؛ إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فحعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أخذ أحد<sup>(١)</sup>

حتى أشفق عليه الصديق رضي الله عنه فاشتراه من أمية بن خلف وأعتقه روى البخاري (٣٤٧١) جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان عمر يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالا.

"وكان الصديق إذا مر بأحد من العبيد يُعَدِّبُ اشْتَرَاهُ مِنْهُمْ وَأَعْتَقَهُ مِنْهُمْ بلال وعامر بن فهيرة وأم عبيس وزنيرة والتهدية وابنتها وحارية لبني عدي كان عمر يُعَدِّبُهَا عَلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ إِسْلَامِهِ وَقَالَ لَهُ أَبُوهُ يَا بُنَيَّ أَرَأَيْكَ تَعْتِقُ

(١) حسن : وقد أخرجه الأمام أحمد (٣٨٣٢) وابن حبان (٧٠٨٣) وحسنه الألباني والأرنؤوط ، وأخرجه الحاكم في مستدرکه (٥٢٣٩) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه . لكن عاصم ابن أبي النجود فيه مقال معروف



رَقَابًا ضِعْفًا فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَعْتَقْتَ قَوْمًا جَلْدًا يَمْتَعُونَكَ فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ إِيَّيْ أُرِيدُ مَا أُرِيدُ" (١)

وهذا الموقف تذكير للمسلمين في كل عصر وتنبية لهم على أن الصبر على البلاء والأذى من دعائم الإيمان، وأن طريق الحق مملوء بالأشواك، وليس مفروشا بالورود والرياحين، فمن سلك هذا الطريق فليوطن نفسه على الصبر، والتحمل، ويدرب نفسه على الثبات على الحق، ولا يستجرينه الشيطان فيغضب لنفسه فيقوم بعمل مخالف للشرع يلبسه ثوب الشرع كمن يخرجون على الحكام غضبا لأنفسهم أو طمعا في منصب أو شهرة أو مال فيدعون أن هذا طريق الحق الذي لا محيد عنه، وفي الحقيقة هم قوم استهواهم الشيطان وأوقعهم في شبابه، فأريقت من ورائهم دماء ودمرت بلاد وضيعت أموال وانتهكت أعراض ولم يعود بأي نفع على الإسلام ولا المسلمين.

## ٢ . صبرا آل ياسر

واشدد التعذيب بياسر وابنه عمار وزوجه سمية رضي الله عنهم حتى مرَّ عليهم النبي ﷺ وهم يعذبون وقال لهم: صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة. (٢)

(١) زاد المعاد لابن القيم (٢١/٣)

(٢) أخرجه الحاكم في مستدرکه (٥٦٨٧) والطبراني في الأوسط (١٥٦٦) والبيهقي في دلائل النبوة (٥٨٦) من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبد الله به ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠٢٢٥) من حديث عثمان بن عفان .



"وَلَمَّا اشْتَدَّ أذى الْمُشْرِكِينَ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَفَتِنَ مِنْهُمْ مَنْ فُتِنَ حَتَّى يَقُولُوا لِأَحَدِهِمُ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ إلهُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ وَحَتَّىٰ إِنَّ الْجُعَلَ لَيَمُرُّ بِهِمْ فَيَقُولُونَ وَهَذَا إلهُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ نَعَمْ وَمَرَّ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ بِسُمِيَّةَ أُمِّ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَهِيَ تُعَذِّبُ وَرَوْحُهَا وَابْنُهَا فَطَعَنَهَا بِحَرْبَةٍ فِي فَرْجِهَا حَتَّى قَتَلَهَا"<sup>(١)</sup>، وقتلت سمية وقتل ياسر وكانا أول شهيدين في الإسلام رضي الله عنهما.

ولم يتركوا عمار حتى سب النبي ﷺ، فذهب إلى رسول الله يبكي فقال له: كيف نجد قبلك؟ قال مطمئن، فقال له: فإن عادوا فعد. فنزل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦]

### ٣. خباب بن الأرت ينطفئ الحديد بشحم جسده

وكانت مولاة خباب تحمي له الحديد وتضعه على ظهره فينطفئ بشحم ظهره فشق عليه ما يجد ويجده أصحابه وكل يوم يشتد العذاب فقال: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَعُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُنَا أَلَا تَدْعُونَا فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ؛ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ

(١) زاد المعاد لابن القيم (٢٠/٣)



بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ؛ فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَسْتَمَنَّ  
هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ  
وَالذُّئْبَ عَلَى عَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ. <sup>(١)</sup>

درس من أعظم الدروس، وكان من الممكن أن يرفع يديه إلى السماء ويطلب  
من ربه ما يشاء، ولكنها التربية على تحمل المشاق، فلسعية الله غالية.  
هذه الأمثلة الثلاثة من عشرات الأمثلة التي حدثت في العهد المكي تبين  
مدى طغيان الإنسان حين يتخلى عن مروّته وإنسانيته، ويتوج بالمباديء  
الحيوانية الشرسة.

تاسعاً: قريش ومنهج المساومة وحوار مع النبي ﷺ

لم تفلح الأساليب التي قام بها أهل الكفر في مكة في ثني النبي ﷺ  
عن موقفه وترك ما يدعو إليه، وكذلك فشلوا مع صاحبه، فما كان لهم إلا  
أن يستخدموا وسيلة جديدة لعلهم يفلحوا، فكانت طريقة المساومة على  
الملك والجاه والمال.

عن جابر بن عبد الله قال: اجتمعت قريش يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم  
بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت  
أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه، فقالوا: ما نعلم أحداً غير  
عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة، فقال: يا محمد، أنت خير

<sup>١</sup> أخرجه البخاري (٦٤٣٠)



أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ، ثم قال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك؛ فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا، وأن في قريش كاهنا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحلبي أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفاني، أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا واحدا، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا، فقال رسول الله ﷺ : « فرغت؟ » قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حَمَّ \* تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ٢] حتى بلغ ﴿ فَإِنِ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣]

فقال عتبة: حسبك حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: لا، فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: ما تركت شيئا أرى أن تكلمونه ألا قد كلمته قالوا: فهل أجابك؟ قال: نعم قال: لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير أنه قال: (أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)، قالوا:



ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال: قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة<sup>(١)</sup>

### وقفات مع هذا الحوار والاستفادة منه

الوقفة الأولى: الحيرة والثبات

فإن الذي دعا صناديد قريش إلى دعوة النبي ﷺ إلى أن يكون ملكاً عليهم أو يجمعوا له الأموال ليكون أغناهم، أو يكون صاحب الرأي والمشورة فيه تحيرهم في ثنيه عن دعوته وتبليغ رسالة الله تعالى. وأمام هذا الإصرار العجيب الذي لم يروه من قبل رأوا أن يجربوا معه هذه الوسيلة، وهو نوع من الإغراء والمكر والخديعة.

الوقفة الثانية: حدة الذكاء التي كان يتميز بها أهل قريش

فإن الوليد لم يذم النبي ﷺ مباشرة ولا صرح بدمه؛ وإنما استعمل من الألفاظ التي توصل مفهوماً للسامع أنهم مظلومين وأنه الظالم بفعله وأنه هو المتعدي

(١) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١١٢٥) والحاكم في مستدركه (٢٩٥٧) وأبو يعلى في مسنده (١٧٧٧) من حديث الأجلح الكندي عن الذيال بن حرملة عن جابر به: وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

قلت: والأجلح فيه كلام وقد قال عنه الحافظ في التقریب: صدوق، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٠/٦): فيه الأجلح سنان وثقة ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات.

والقصة ذكر في السيرة الحلبية (٤٨٨/١) عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة وذكرها بإسنادها البيهقي في كتاب الاعتقاد ص ٢٦٧، وانظر صحيح السيرة للألباني



عليهم لما قال له: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيبة والمكان في النسب، وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به أهلتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم.

فبدأ بالمدح وانتهى بالذم. وهكذا يفعل أعداء الإسلام في كل عصر مع المسلمين وأصحاب المكانية فهم ينفرون منهم الناس فيقولون مثلاً: هم علماء أو عباد أو صالحين ولكن!! يتشددون ويغالون وا وا، وهذا ليس من الإسلام؛ فالإسلام دين يسر وسماحة!!!

هكذا يستطيع الشيطان الخبيث أن يستخدم من الشرع من يهدم به القائمين عليه وينفر الناس منهم وبالتالي من الشرع.

الوقفه الثالثة: الاستفادة من حوار النبي ﷺ مع عتبة بن ربيعة:

عند النظر إلى هذا الحوار نجد فيه كثير من الآداب التي يجب على المسلم التحلي بها عند حوار مع مخالفه منها:

١ . حسن الاستماع حتى يفرغ المخالف من كلامه نهائياً، فلربما أجمل كلامه في بدايته وسوف يفصل في نهايته، أو ربما لم يصرح بمراده في بداية الكلام، وسيكون ذلك في آخره، فحسن الاستماع يسهل كثيراً من الرد على المخالف وتقريب وجهات النظر.

وهذا واضح في إنصات النبي لعتبة حتى فرغ، ثم قال له: أفرغت يا أبا الوليد؟ وهذا دلالة على عدم مقاطعة النبي لعتبة في حديثه.



٢. حسن الأدب في المخاطبة ولو كان المتحدث كافرا، فحسن الأدب مخجلة للخصم عن أن يتناول بالكلام، أو يعاند في قبول الرد. ولذلك قال النبي ﷺ لعتبة: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمِعْ.

وكناهُ بذلك علامة على الرفق به ولين الجانب له. وكانت العرب تحب المناداة بالكنية فجاءه النبي من الجانب الذي يجبه حتى ولو علم النبي أن لن يؤوب ولن يرجع، لأن ذلك أصل في الدعوة إلى الله فقد أمر الله موسى وهارون باللين مع وقومه رغم أنه لن يؤوب ولن يتوب. وهذا أدب قد فقدته كثير من الشباب اليوم، وخاصة ممن ينتسب إلى طلب العلم، فيعامل خصمه أو مخالفه معاملة ما عامل بها النبي الكفار، تحت حجة: أن هؤلاء مبتدعة أو فسقة أو ما أشبه ذلك دون ضوابط في تحقيق المصلحة أو دفع المفسدة المترتبة على القول أو الفعل.

٣. حسن الاستماع وحسن الكلام دلالة على بشاشة الوجه، وهذا مما يؤلف قلب المخالف، ويهون من ثورته على الإنسان، ويهدئ من حدته.

٤. وكل هذه الثلاثة خصال تمنع شر الخصم أن كان يريد إضرار الشر قبل أن يتكلم، فهو باب من أبواب درأ المفسدة وجلب المصلحة.

٥. وبرغم أن عتبة بدأ كلامه لنا إلا أنه ضمنه سبا عنيفا للنبي ﷺ وتعييبا له عندما قال: وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم.



٦. النبي ﷺ لم يجادله في كلامه؛ بل تلا عليه من آيات الله ما يعرف النبي ﷺ أن لها وقع على قلب هذا الرجل. وترك جانب المماراة وفي هذا يقول ابن الوزير:

ألم تر أنّ المصطفى يوم جاءه أبو الوليد بقول الأحوزيّ المجادل  
تحنّب منهاج المرا وتلا له من السّجدة الآيات ذات الفواصل  
ولم يجعل القرآن غير مصدّق إذا لم تقدمه دروس الأوائل  
كذا فعل الطيّار يوم خطابه لأصحمة بين الخصوم المقاول  
تلا لهم آي الكتاب فأيقنوا بها بشهادات الدّموع الهواطل  
إلى ذاك صار الأذكياء من الورى وعادوا إليه بعد بُعد المراحل<sup>(١)</sup>  
وقال أبو عبد الرحمن عبد الرازق الغول:

هل رأيتم مثل عتبة عاقلا ضيع لبه  
ييم البيت بمكة باغيا غالب ربه  
يا محمد أنت منا لك فينا خير نسبه  
أنت سيّيت سواعا هبلا داومت سبّه  
وتنقصت حلوما فيك عن قومك رغبه  
إن ترم ملكا تجده فالمعالي بك أشبهه  
فاقبل التسويد أولا فالتمس علم الأطبه<sup>(١)</sup>

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم (١٤٧/٢)



## الأرقم بن أبي الأرقم يأوى الدعوة

وهو الأرقم بن أبي بن الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم كانت داره على الصفا بمكة وهي التي كان النبي يكون فيها في أول الإسلام وفيها دعي الناس إلى الإسلام فأسلم فيها خلق كثير<sup>(٢)</sup> وكان الأرقم غلام صغير في ذلك الوقت. لكنه كان من الأبطال الذين وقفوا في وجه الظلم والطغيان، ونال شرف إيواء الدعوة في بيته رضي الله عنه.

أسباب اتخاذ النبي ﷺ دار الأرقم خاصة<sup>(٣)</sup>:

"ولاختيار المكان المناسب أبلغ الأثر في نجاح الاجتماعات واللقاءات الدعوية؛ ولذا كانت أهميته في فترة الدعوة السرية بمكة واضحة؛ حيث كان الاختيار المناسب لمكان اللقاء برسول الله ﷺ هو دار الأرقم بن أبي الأرقم؛ وذلك لعدة أسباب منها:

- ١ - لأنه كان عزياً فلا يشق عليه ذلك، ولا يكون هناك تعرضاً لأهله بسوء
- ٢ - كما كان قريباً من الكعبة؛ فكان "لموقعها أسفل جبل الصفا، ميزة أخرى تضاف إلى الميزات الآنفة، فلو كانت في أعلاه، لأصبحت مكشوفة وسهلت

(١) فن الحوار لفصل بن عبده قائد حاشدي ص ٢٨، ٢٩. ط . دار الإيمان الإسكندرية مصر

(٢) مسائل الإمام أحمد ص ٩٢

(٣) هذه الأسباب هي استنتاجات وتحليلات وليست شيئاً منصوصاً عليه



مراقبتها " <sup>(١)</sup>. ولأن الأرقم لم يكن في ذلك الوقت معروفاً كغيره من أمثال أبي بكر وعثمان وسعد وغيرهم، كما أنه لم يكن معروفاً بإسلامه، فما كان يخطر ببال أحد أن يتم لقاء محمد ﷺ وأصحابه بداره.. " <sup>(٢)</sup>

٣- أن الأرقم بن الأرقم - رضي الله عنه - من بني مخزوم، وقبيلة بني مخزوم هي التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم. فلو كان الأرقم معروفاً بإسلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره؛ لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو.

٥- أن الأرقم بن أبي الأرقم كان فتى عند إسلامه، فلقد كان يقرب من السادسة عشرة من عمره، ويوم تفكر قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي، فلن يخطر في بالها أن تبحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد ﷺ بل يتجه نظرها ويبحثها إلى بيوت كبار أصحابه، أو بيته هو نفسه عليه الصلاة والسلام. <sup>(٣)</sup>

٦- الدار ليس فيها موضع، يمكن أن يستغله أعداء الدعوة، فيطلعوا من خلاله على ما يدور بداخلها، وهذا مما يجعل ما بداخلها بعيداً عن أعين الأعداء..

(١) في السيرة النبوية قراءة لجانب الحذر والحماية للدكتور إبراهيم علي محمد، الناشر كتاب الأمة (ص ٤٠)

(٢) مجلة البيان - عدد ١٣٦ / ص ٢٨ وانظر كتاب السيرة النبوية للصلاحي (١٣٨/١)

(٣) السيرة النبوية للصلاحي (١٣٨/١)



يضاف إلى ذلك، أن صاحبها الصحابي (الأرقم)، لا يمكن أن يسوح بسر إعطائه هذه الدار للمؤمنين، هذا بخلاف ما إذا كانت الدار لكافر وكان دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم في السنة السادسة من البعثة أي بعد إعلان الدعوة بثلاث سنوات. ورغم ذلك كان الاجتماع سرياً، وقد أتى ثماره وهو تجنب الصدام مع مخالفيه من أهل مكة، والنجاح في تربية جيل فريد يحمل هذه الدعوة ويتحمل أعبائها في سبيل تبليغها للناس.

### عاشراً: الهجرة الأولى إلى الحبشة

اشتد البلاء على أصحاب رسول الله ﷺ وجعل الكفار يجسونهم ويعذبونهم، بالضرب والجوع والعطش، ورمضاء مكة والنار؛ ليفتنوهم عن دينهم، فممنهم من يفتتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان، ومنهم من تصلب في دينه وعصمه الله منهم، فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل لكم فرجاً مما أنتم فيه»، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.<sup>(١)</sup>

قال الزهري في حديثه عن عروة قال: فلما كثر المسلمون وظهر الإيمان، فتحدث به المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم، يعذبونهم

(١) الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون، ص ٢٩٠.



ويسجنونهم، وأرادوا فتنتهم عن دينهم، قال: فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال للذين آمنوا به: تفرقوا في الأرض، قالوا: فأين نذهب يا رسول الله؟ قال: هاهنا، - وأشار بيده إلى أرض الحبشة، وكانت أحب الأرض إلى رسول الله ﷺ يهاجر قبلها - فهاجر ناس ذو عدد، منهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه، حتى قدموا أرض الحبشة.

قال الزهري: فخرج في الهجرة جعفر بن أبي طالب بامرأته أسماء بنت عميس الخثعمية، وعثمان بن عفان - رحمه الله - بامرأته رقية ابنة رسول الله ﷺ، وخرج فيها خالد بن سعيد بن العاص بامرأته أميمة ابنة خلف، وخرج فيها أبو سلمة بامرأته أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة، ورجل من قريش خرجوا بنسائهم، فولد بها عبد الله بن جعفر، وولدت بها أمة ابنة خالد بن سعيد، أم عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير، وولد بها الحارث بن حاطب في ناس من قريش ولدوا بها.<sup>(١)</sup>

### حادي عشر: أبو بكر الصديق وخروجه إلى الحبشة

قال الزهري: وأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار - بكرة وعشية - فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجرا قبل أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٨٥/٦)



القارة، فقال ابن الدغنة: أين تريد يا أبا بكر؟ ! فقال أبو بكر أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي، فقال ابن الدغنة: مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، فارجع فاعبد ربك ببلدك، فارتحل ابن الدغنة ورجع مع أبي بكر، فطاف ابن الدغنة في كفار قريش، فقال: إن أبا بكر خرج ولا يخرج مثله، أخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة، وأمّنوا أبا بكر، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، وليصل فيها ما شاء، ولا يؤذينا، ولا يستعلن بالصلاة والقراءة في غير داره، ففعل، ثم بدا لأبي بكر فبنى مسجداً بفاء داره، فكان يصلي فيه ويقراً، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناءهم، يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بَگَاءً، لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا: إنما أجرنا أبا بكر على أن يعبد الله في داره، وإنه قد جاوز ذلك، وبنى مسجداً بفاء داره، وأعلن الصلاة والقراءة، وإننا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فأتته فأمره، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد الله في داره فعل، وإن أبي إلا أن يعلن ذلك، فاسأله أن يرد عليك ذمتك، فإننا قد كرهنا خفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر بالاستعلان، قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة أبا بكر، فقال: يا أبا بكر قد علمت الذي عقدت لك، إما أن تقتصر على ذلك،



وإما أن ترجع إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أنني أخفرت في عهد رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله ورسوله. (١)

ويتحدث المستشرق الفرنسي (آتين دينيه)، عن مأساة المسلمين وآلام الرسول ﷺ لفتنتهم، وقراره الشجاع بهجرتهم إلى الحبشة، قائلاً: ( وامتلات نفس الرسول حزناً، أمام هذه المآسي التي كان يتحملها ضعاف المسلمين الذين لا يجدون من يحميهم. حقاً إن شجاعة المعذبين والشهداء في سبيل الله برهنت على إسلامهم العميق، ولكنه رأى أن من الخير ألا يستمر هذا البلاء، فنصح الضعفاء ومن لم تدعهم الضرورة إلى البقاء في مكة بالهجرة إلى الحبشة حيث المسيحيون، وحيث التسامح والعدل اللذان اشتهر بهما ملكها النجاشي) (٢)

وفي هجرة أبي بكر من الفوائد:

١. جواز الدخول في حماية غير المسلم إذا لحق بالمسلم الأذى من غير المسلم وقبول جواره.
٢. لا يكون الدخول في حماية غير المسلم على حساب دينه.

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٨٧/٦) وأخرجه البخاري (٣٩٠٦)

(٢) آتين دينيه : محمد رسول الله ، ص ١٤٥ . عن كتاب الرسول في الدراسات الاستشرافية



- ٣- جواز الهجرة من البلد التي يؤذى فيها المسلم إلى بلد يظن أن يقيم فيها شرع الله تعالى على نفسه.
- ٤- الهجرة هي من الأخذ بالأسباب، حتى لا يتوكل المسلم ويترك طاعة الله بحجة الضعف.
- ٥- كان العرب رغم كفرهم أصحاب مبادئ عالية في حماية من استجار بهم، والالتزام بما أخذوه من عهود على أنفسهم.
- ٦- الصبر على البلاء في سبيل إعلاء دين الله تعالى من صفات أهل الإيمان الذين آثروا الآخرة على الدنيا.

### خبر كاذب

وبلغ الخبر إلى مهاجري الحبشة، أن قريشاً أسلمت، فرجعوا إلى مكة في شوال من نفس السنة الخامسة التي هاجروا فيها، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار وعرفوا جليلة الأمر رجع منهم من رجع إلى الحبشة، ولم يدخل في مكة من سائرهم أحد إلا مستخفياً، أو في جوار رجل من قريش. ثم اشتد عليهم وعلى المسلمين البلاء والعذاب من قريش، وسطت بهم عشائرتهم، فقد كان صعب على قريش ما بلغها عن النجاشي من حسن الجوار، ولم ير رسول الله ﷺ بدا من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى.<sup>(١)</sup>

(١) أنظر الرحيق المختوم ص ١٠٦



يقول المستشرق الروماني (جيورجيو): (واستقر رأيه . أي النبي . أخيراً على ترحيل المسلمين إلى الحبشة، بينما يبقى هو في مكة، متحملاً كل الأخطار. ولم يقم أي من الأنبياء السابقين بمثل هذا التصميم)<sup>(١)</sup>

### ثاني عشر: الهجرة الثانية للحبشة ومكيدة قريش لهم

واستعد المسلمون للهجرة مرة أخرى، وعلى نطاق أوسع، ولكن كانت هذه الهجرة الثانية أشق من سابقتها، فقد تيقظت لها قريش وقررت إحباطها، بيد أن المسلمين كانوا أسرع، ويسر الله لهم السفر، فأنحازوا إلى نجاشي الحبشة قبل أن يدركوا. وفي هذه المرة هاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان فيهم عمار، فإنه يشك فيه، وثمانية عشرة أو تسعة عشرة امرأة.<sup>(٢)</sup>

لم يهنا لقريش بال عندما علموا برجوع المسلمين إلى الحبشة مرة أخرى فارين من بطشهم، فقرروا إرسال وفد خاص منهم إلى أرض الحبشة لإرجاعهم إليهم مرة أخرى.

عن أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة، زوج النبي ﷺ، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار، النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشا، ائتمروا أن يبعثوا إلى

(١) ك. جيورجيو ، ص ١١٧. المصدر السابق

(٢) الرحيق المختوم ص ١٠٨



النجاشي فينا رجلين جلدتين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، فجمعوا له أدما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقتة بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته، قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا للنجاشي هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا فقدمنا على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، وعند خير جار، فلم يبق من بطارقتة بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، ثم قالوا لكل بطريق منهم: إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرف قومهم لنردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فتشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهما: نعم

ثم إنهما قربا هداياهن إلى النجاشي فقبلها منهما، ثم كلماه، فقالا له: أيها الملك، إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك



فيهم أشرف قومهم من آبائهم، وأعمامهم وعشائريهم، لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم

فقالت بطارقتة حوله: صدقوا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى بلادهم وقومهم

قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لا ها الله، ايم الله إذن لا أسلمهم إليهما، ولا أكاد قوما جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم ماذا يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهن إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟

قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ، كائن في ذلك ما هو كائن. فلما جاءوه، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، سألمهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع



الأرحام، ونسيء الجوار يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، «فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام»

قال: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك

قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟  
قالت: فقال له جعفر: نعم،

فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من كهيعص  
قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والله



والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا، ولا أكاد

قالت أم سلمة: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لأنبئهم غدا عيبيهم عندهم، ثم أستأصل به خضراءهم  
قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أتقى الرجلين فينا -: لا تفعل فإن لهم أرحاما، وإن كانوا قد خالفونا.

قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد  
قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فأسألم عما يقولون فيه  
قالت: فأرسل إليهم يسألم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثله، فاجتمع القوم،

فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟  
قالوا: نقول والله فيه ما قال الله، وما جاء به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن،

فلما دخلوا عليه، قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟  
فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا: هو عبد الله ورسوله، وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول،

قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ منها عودا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقه حوله حين قال ما قال،  
فقال: وإن نخرتم والله اذهبوا، فأنتم سيوم بأرضي - والسيوم: الآمنون - من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فما أحب أن لي دبرا ذهبيا، وأني آذيت رجلا



منكم - والدبر بلسان الحبشة: الجبل - ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في، فأطيعهم فيه.

قالت: فخرجنا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

قالت: فوالله إنا على ذلك إذ نزل به - يعني من ينازعه في ملكه -

قال: فوالله ما علمنا حزنا قط كان أشد من حزن حزنائه عند ذلك، تخوفا أن يظهر ذلك على النجاشي، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه.

قالت: وسار النجاشي وبينهما عرض النيل

قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟

قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا

قالت: وكان من أحدث القوم سنا

قالت: فنفخوا له قربة، فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم.



قالت: ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه، والتمكين له في بلاده، واستوسق عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ، وهو بمكة<sup>(١)</sup>

( وحين عاد الوفد القرشي من الحبشة بخفي حنين تخطى غيظهم كل حد، لقد واصلوا اضطهادهم المسلمين في اِحتياج مضاعف. كانوا حتى ذلك الحين يشهدون صبر المسلمين على هذه المحن القاسية في دهش عظيم، ولكن الهجرة إلى الحبشة أعطتهم برهاناً قاطعاً على أن المسلمين مستعدون لمختلف ضروب المخاطر، ولتحمل كل لون من ألوان التعذيب في سبيل عقيدتهم، وعلى أنهم لن يجمعوا عن خوض غمار المخاطر كلها في سبيل الله. وفوق هذا، فعندما تسامع سائر المسلمين في مكة بالرعاية الكريمة التي أسبغها النجاشي على إخوانهم شخص عدد منهم في العام التالي إلى الحبشة. وتعرف هذه الهجرة بالهجرة الثانية إلى الحبشة. وبذل القرشيون قصارى جهدهم لكبح جماح هذه الهجرة، ولكن دونما طائل<sup>(٢)</sup>

وفي هذه الهجرة فوائد منها :

١. كل مهاجر في سبيل الله تعالى فليعلم أن الله ناصره ومخذل عدوه

(١) أخرجه أحمد (١٧٣٢) بسند صحيح وانظر صحيح السيرة للألباني ففيها تفصيل ذلك

(٢) مولانا محمد علي : حياة محمد و رسالته ، ص ٩١-٩٢ .



٢. مشروعية الهجرة إلى بلاد الكفار إذا كان المسلم لا يستطيع الظهور بدينه في بلده ويعرض للأذى بشرط أن تكون حال البلد التي يهاجر إليها أفضل من حال البلد التي يهاجر منها، وأن تكون إقامته فيها عائدة بالنفع في دينه ودنياه.

٣. كل من كاد لأهل الإيمان فمصيره الهزيمة والخذلان، فعلى المرء المسلم أن لا يسير إلا في الخير. وأن يوقن بنصر الله تعالى له

٤. النجاشي رضي الله عنه أسلم لكنه أخفى إسلامه مخافة بطش قومه، وفي هذا دليل لمن يخاف بطش قوم أن يجارهم في هديهم الظاهرة إذا لم يستطع التحول عنهم إلى مكان آخر

٥. عقيدة أهل الإسلام في عيسى بن مريم عليه السلام أنه عبد الله خلقه الله تعالى من مريم بدون أب بكلمة كن، وأنه سبحانه منزه عن الصاحبة والولد، روى البخاري عن عبادة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: ( من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)<sup>(١)</sup>

وقال سبحانه وتعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٢٦٧)



### ثالث عشر: إسلام حمزة وعمر بن الخطاب

خلال هذا الجو الملبد بغيوم الظلم والعدوان ظهر برق أضواء الطريق، وهو إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسلم في أواخر السنة السادسة من النبوة، والأغلب أنه أسلم في شهر ذي الحجة. وسبب إسلامه: أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ يوماً عند الصفا فأذاه ونال منه، ورسول الله ﷺ ساكت لا يكلمه، ثم ضربه أبو جهل بحجر في رأسه فَشَجَّهُ حتى نزف منه الدم، ثم انصرف عنه إلى نادى قريش عند الكعبة، فجلس معهم، وكانت مولاة لعبد الله بن جُدعان في مسكن لها على الصفا ترى ذلك، وأقبل حمزة من القنص مُتَوَشِّحًا قوسه، فأخبرته المولاة بما رأت من أبي جهل، فغضب حمزة - وكان أعز فتى في قريش وأشدّه شكيمة - فخرج يسعى، لم يقف لأحد؛ معدًا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل المسجد قام على رأسه، وقال له: يا مُصَفَّرَ اسْتَه، تشتم ابن أخي وأنا على دينه؟ ثم ضربه بالقوس فشجه شجة منكرة، فثار رجال من بني مخزوم - حي أبي جهل - وثار بنو هاشم - حي حمزة - فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا. وكان إسلام حمزة أول الأمر أنفة رجل، أبي أن



يهان مولاه، ثم شرح الله صدره فاستمسك بالعرورة الوثقى، واعتز به المسلمون  
أبما اعتزاز<sup>(١)</sup>

• وأما إسلام عمر

فقد " قال ابن إسحاق: ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي  
ربيعة على قريش، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وردهم  
النجاشي بما يكرهون، وأسلم عمر بن الخطاب، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام  
ما وراء ظهره؛ امتنع به أصحاب رسول الله وبجمزة؛ حتى غاظوا قريشاً.  
فكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة  
حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا  
معه.

قلت: وثبت في (صحيح البخاري) عن ابن مسعود أنه قال: ما زلنا أعزة منذ  
أسلم عمر بن الخطاب.

وقال زياد البكائي: حدثني مسعر بن كدام عن سعد بن إبراهيم قال: قال  
ابن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته  
كانت رحمة، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم  
عمر؛ قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه.

(١) الرجيق المختوم ص ١١٥



قال ابن إسحاق: وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة. (١)

### رابع عشر: حصار النبي ﷺ في شعب أبي طالب وميثاق الظلم

قال ابن القيم:

ثم أسلم حمزة عمه وجماعة كثيرون، وفشا الإسلام فلما رأت قريش أمر رسول الله ﷺ يعلو والأمور تتزايد، أجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب وبني عبد مناف، أن لا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة يقال: كتبها: منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم، ويقال: النضر بن الحارث، والصحيح: أنه بغيض بن عامر بن هاشم، فدعا عليه رسول الله ﷺ فشلت يده، فاحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب، فإنه ظاهر قريشا على رسول الله ﷺ وبني هاشم وبني المطلب، وحُيسَ رسول الله ﷺ ومن معه في الشَّعْبِ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة، وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة، وبقوا محبوسين ومحصورين مضيقا عليهم جدا مقطوعا عنهم الميرة والمادة نحو ثلاث سنين، حتى بلغهم الجهد وسمع أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، وهناك عمل أبو طالب قصيدته اللامية المشهورة، أولها:

(١) صحيح السير النبوية للألباني



جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا. .. عقوبة شر عاجلا غير آجل وكانت قريش في ذلك بين راض وكاره، فسعى في نقض الصحيفة من كان كارها لها، وكان القائم بذلك هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك، مشى في ذلك إلى المطعم بن عدي وجماعة من قريش فأجابوه إلى ذلك، ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم، وأنه أرسل عليها الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا ذكر الله عز وجل، فأخبر بذلك عمه، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن ابن أخيه قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذبا خلىنا بينكم وبينه، وإن كان صادقا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت، فأنزلوا الصحيفة، فلما رأوا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ ازدادوا كفرا إلى كفرهم، وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من الشعب. قال ابن عبد البر: بعد عشرة أعوام من المبعث، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، وقيل: غير ذلك..<sup>(١)</sup>

### خامس عشر: وتوالت الأحزان

#### • موت أبي طالب

هذا الرجل الذي وقف مواقف البطولة في حماية النبي ﷺ، ولم يخنع لضغط أهل مكة، وتحمل كل صعب في سبيل حماية النبي ﷺ من شر قريش إلا أنه أبا الدخول في دين الله تعالبرغم حرص النب ﷺ على إسلامه لما قام

(١) زاد المعاد لابن القيم (٢٦/٣ - ٢٨)



به من مواقف . عن ابن عباس قال: لما أن مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل قال: فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته ! فبعث إليه . أو قال جاء النبي ﷺ . فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب مجلس رجل، قال: فخشي أبو جهل إن جلس النبي ﷺ إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه فوثب في ذلك المجلس ولم يجد النبي ﷺ مجلسا قرب عمه إلا عند الباب، قال أبو طالب: أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول وتفعل وتفعل

قال: فأكثروا عليه من اللوم، قال: فتكلم النبي ﷺ فقال: يا عم إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية

قال: ففزعوا لكلمته ولقوله

قال: فقال القوم: كلمة واحدة !! نعم وأبيك وعشرا

قال: وما هي؟

قال أبو طالب: ونصف كلمة هي يا ابن أخي

قال: لا إله إلا الله



قال: فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥]

قال: وقرأ من هذا الموضع إلى قوله: ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ﴾ [ص: من الآية ٨] <sup>(١)</sup> برغم من كل ما وجده منهم ﷺ فهو يخاف عليهم من عذاب الله تعالى، ويعرض عليهم الملك والجاه والسلطان إن هم دخلوا في دين الله تعالى؛ لكن أبي القوم إلا الإعراض والكفر، وأراد النبي ﷺ من عمه وكله شوق إلى دخوله في دين الله تعالى بأن يقول كلمة التوحيد ويموت عليها لكن إرادة الله فوق كل شيء. فلا يملك هداية التوفيق إلا الله سبحانه وتعالى.

فعن سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنَ الْمُغِيرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَمُّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَنْزَعْبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنْهَ عَنْكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٢/٧) والمقدسي في الأحاديث المختارة (٤١٧)



﴿الْحَجِيم﴾ [التوبة: ١١٣]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:  
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ  
بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] (١)

وهكذا انتهت حياة أبي طالب، وحزن النبي ﷺ عليه، وفاء لما فعله معه، ومن رحمته ﷺ أنه أستغفر له ربه عسى أن يحظى بمغفرة الله عز وجل له؛ ولكن نهاه الله عن ذلك، ولو وقع لكان لكل كافر فرصة أن يحظى باستغفار الناس له . وهذا ضد ما جاء به الشرع. ولكن ما فعله أبوطالب بالنبي ﷺ خفف عنه العذاب فقد روى البخاري (٦٢٠٨) عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَعْضُبُ لَكَ! قَالَ: (نَعَمْ هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ). (٢)

وفيه دلالة على أن فعل المشرك الخير للإسلام وأهله يجازيه الله عليه يوم القيامة، هذا بخلاف مجازاته عليه في الدين، فلا يمنع كافر من عمل الخير إذا أراد ويشجع عليه بغية أن يكون سببا في إسلامه أو في تخفيف العذاب عنه قليلا يوم القيامة.

(١) البخاري (٤٧٧٢) ومسام (٢٤)

(٢) (ضحضاح) هو الموضع القريب القعر والمعنى أنه خفف عنه شيء من العذاب . (الدرك) طبق من أطباق جهنم وأسفل كل شيء ذي عمق ويقال لما انخفض درك كما يقال لما ارتفع درج



• ثم ماتت خديجة رضي الله عنها

وبعد موت عمه لحقت به أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، قبل الهجرة بثلاث سنوات. في رمضان من السنة العاشرة من البعثة، وكان قد بشرها النبي ﷺ ببشرى جبريل ببيت من قصب بعد سلام الله عليها كما جاء في صحيح البخاري (٣٨٢١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِئِي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ.<sup>(١)</sup>

وقد امتازت خديجة رضي الله عنها عن سائر نساءه

١. إنها أول نساءه ولم يتزوج وهي معه حتى ماتت.

٢. إنها أول من أسلم.

٤. أن الله أرسل لها مع جبريل السلام.

٥. أن جبريل بشرها ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

٦. أن الله رزقه منها الولد.

(١) قال الهروي في قوله "بيت من قصب" هو في هذا الحديث لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف. والصخب الصوت المرتفع، وأيضاً اختلاط الأصوات، والنصب المشقة والعناء والتعب. وفيه لغتان نصب ونصب مثل حزن وحزن. قال صاحب الأفعال: نصب الرجل يفتح النون وكسر الصاد أعيا من التعب [المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٢٥١) للمازري المالكي]



روى البخاري (٣٨١٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غَرِثُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غَرِثُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا دَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَغْضَاءً ثُمَّ يَبْعُثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةَ فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ.

٧. أنها من سيدات نساء العالمين روى أحمد (١١٩٨٣) عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَقَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ وَأَسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ. (١)

وكان ﷺ وفيها لها بعد موتها وكثير الشفاء عليها وإكرام أصحابها فقد روى البخاري (٦٠٠٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غَرِثُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرِثُ عَلَى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ هَلَكْتُ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثِ سِنِينَ لِمَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ يَذْكُرُهَا وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُشْرِكَهَا بِنَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يُهْدِي فِي خُلَّتِهَا مِنْهَا.

سادس عشر: الزواج بأُم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها

كانت حاجة النبي ﷺ إلى من يهتم بأولاده ونفسه جعلته يرغب في الزواج فعرضت عليه سودة بنت زمعة وكانت "ممن أسلم قديماً وهاجرت الهجرة الثانية إلى الحبشة، وكان زوجها السكران بن عمرو، وكان قد أسلم

(١) وأصله في الصحيحين (البخاري (٣٨١٥) ومسلم (٢٤٣٠))



وهاجر معها، فمات بأرض الحبشة، أو بعد الرجوع إلى مكة، فلما حلت خطبها رسول الله ﷺ وتزوجها، وكانت أول امرأة تزوجها بعد وفاة خديجة، وكانت قد وهبت نوبتها لعائشة رضي الله عنها أخيراً. <sup>(١)</sup> وكان ذلك في شوال من نفس العام الذي توفيت فيه خديجة.

### سابع عشر: الرحلة إلى الطائف

قال ابن القيم:

فلما نقضت الصحيفة، وافق موت أبي طالب وموت خديجة، وبينهما يسير، فاشتد البلاء على رسول الله ﷺ من سفهاء قومه، وتجرؤوا عليه، فكاشفوه بالأذى، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف رجاء أن يؤووه، وينصروه على قومه، ويمنعوه منهم، ودعاهم إلى الله عز وجل، فلم ير من يؤوي، ولم ير ناصراً، وأذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه، وكلمه، فقالوا: اخرج من بلدنا، وأغروا به سفهاءهم فوقفوا له سماًطين، وجعلوا يرمونه بالحجارة؛ حتى دميت قدماه، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه؛ حتى أصابه شجاج في رأسه، فانصرف راجعاً من الطائف إلى مكة محزوناً <sup>(٢)</sup>

(١) الرحيق المختوم ص ١٣٣

(٢) زاد المعاد (٢٨/٣)



روى مسلم عن عُرْوَةَ بِنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ فَقَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كِلَالٍ فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أُسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمْتَنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيْلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا زُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رُبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْشَبِينَ<sup>(١)</sup> فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)<sup>(٢)</sup>

وفي هذا الموقف تتجلى عظمة رحمة النبي ﷺ فبعد هذا العذاب الذي لاقاه، وهذا الصد الذي وجده من كل من حوله، وإذ بالفرصة تأتيه للخلاص من أعدائه الذين يترصبون به الدوائر، ورغم ذلك يرحمهم النبي ﷺ من عذاب الله الذي عرض عليه من رب العالمين مواساة له ﷺ.

(١) الأخشبين : جيلان يحيطان بمكة

(٢) مسلم (١٧٩٥)، وأخرجه البخاري (٣٢٣١)



وهذا لم يفعله بشر من قبله ﷺ ولا من بعده. وقد وجد من قومه بعد ذلك  
شدة وعناء حتى أكرمه الله بحادث الإسراء والمعراج



## الفصل الثالث

### بشائر الفرحة

وبعد العناء الذي لاقاه ﷺ من قومه، وبعد الأحزان التي توالى عليه وظهور عظمة النبي ﷺ في رحمته بقومه وصبره عليهم هلت بشائر الفرحة والخلاص من ظلم أهل مكة  
أولاً: زواجه من أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها

وكان ذلك في شهر شوال قبل الهجرة بستين، وبنى بها في شوال بعد الهجرة بسنة

روى أحمد عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قَالَتْ عَائِشَةُ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ بِمَكَّةَ مُتَوَفَّى خَدِيجَةَ وَدَخَلَ بِي وَأَنَا ابْنَةُ تِسْعِ سِنِينَ بِالْمَدِينَةِ. (١)

### شبهة الملحدين في زواج عائشة

وقد أثار المستشرقون وتبعهم المستغربون شبهة زواج النبي ﷺ من أم المؤمنين عائشة على وجهين:

الوجه الأول: اتهام النبي ﷺ بزواجه للقاصرات

(١) المسند (٢٤٣٤٦)، وأصله في الصحيحين: البخاري (٥١٣٤) ومسلم (١٤٢٢)



والثاني: تكذيب المستغربون للحديث للطعن في صحيح البخاري ومن ثم الطعن في السنة بحجة الدفاع عن النبي ﷺ. وسوف يأتي الرد على ذلك في مكانه إن شاء الله

### ثانيًا: قصة الإسراء والمعراج

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]<sup>(١)</sup>

(١) جاء في تفسير السعدي (ص: ٤٥٣) :

ينزه تعالى نفسه المقدسة ويعظمها لأن له الأفعال العظيمة والمنن الحسيمة التي من جملتها أن {أَسْرَى بِعَبْدِهِ} ورسوله محمد ﷺ {مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} الذي هو أجل المساجد على الإطلاق {إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} الذي هو من المساجد الفاضلة وهو محل الأنبياء.

فأسري به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جدا ورجع في ليلته، وأراه الله من آياته ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتا وفرقانا، وهذا من اعتنائه تعالى به ولطفه حيث يسره لليسرى في جميع أمورهم وخوله نعمًا فاق بها الأولين والآخرين، وظاهر الآية أن الإسراء كان في أول الليل وأنه من نفس المسجد الحرام، لكن ثبت في الصحيح أنه أسري به من بيت أم هانئ، فعلى هذا تكون الفضيلة في المسجد الحرام، لسائر الحرم، فكله تضاعف فيه العبادة كتضاعفها في نفس المسجد، وأن الإسراء بروحه وجسده معا وإلا لم يكن في ذلك آية كبرى ومنقبة عظيمة.

وقد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في الإسراء، وذكر تفاصيل ما رأى وأنه أسري به إلى بيت المقدس ثم عرج به من هناك إلى السماوات حتى وصل إلى ما فوق السماوات العلي ورأى الجنة والنار، والأنبياء على مراتبهم وفرض عليه الصلوات خمسين، ثم ما زال يراجع ربه بإشارة موسى الكليم حتى صارت خمسا بالفعل، وخمسين بالأجر والثواب، وحاز من المفاز تلك الليلة هو وأمتة ما لا يعلم مقداره إلا الله عز وجل.



كانت حادثة الإسراء والمعراج بمثابة زيادة التشبث والتمكين لرسول الله ﷺ وأصحابه، ومواساة له على ما فقدته في هذا العلم من موت زوجته ورفيقة دربه خديجة رضي الله عنها، وموت عمه أبي طالب الذي كان بينه وبين بطش قريش.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَيْتُ بِالْبُرَاقِ . وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَعْلِ يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ . فَرَكِبْتُهُ فَسَارَ بِي حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، فَرَبَطْتُ الدَّابَّةَ بِالْحُلُقَةِ الَّتِي يَرْتَبُ فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ دَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ قَالَ: جِبْرِيلُ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ

ثُمَّ عُرِّجَ بِنَاءً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: وَمَنْ أَنْتَ؟

قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، فُفْتَحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ

وذكره هنا وفي مقام الإنزال للقرآن ومقام التحدي بصفة العبودية لأنه نال هذه المقامات الكبار بتكميله لعبودية ربه.

وقوله: {الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} أي: بكثرة الأشجار والأنهار والخصب الدائم.

ومن بركته تفضيله على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام ومسجد المدينة، وأنه يطلب شد الرحل إليه للعبادة والصلاة فيه وأن الله اختصه محلا لكثير من أنبيائه وأصفيائه.



ثُمَّ عُرِجَ بَنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ فَقِيلَ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْحَالَةَ يَحْيَى وَعِيسَى فَرَحَبًا وَدَعَا لِي بِجَبْرِيلَ  
ثُمَّ عُرِجَ بَنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَبًا وَدَعَا لِي بِجَبْرِيلَ  
ثُمَّ عُرِجَ بَنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ الْبَابُ فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَبَ بِي وَدَعَا لِي بِجَبْرِيلَ، ثُمَّ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا )

ثُمَّ عُرِجَ بَنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيلُ، فَقِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ فَرَحَبًا وَدَعَا لِي بِجَبْرِيلَ  
ثُمَّ عُرِجَ بَنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَقِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَحَبًا وَدَعَا لِي بِجَبْرِيلَ  
ثُمَّ عُرِجَ بَنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ



إِلَيْهِ، فَمُتِّحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِذَا هُوَ مُسْتَتِدٌّ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يُعُودُونَ إِلَيْهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَفُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ وَإِذَا تَمَرَّهَا كَالْقَلَالِ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَهَا تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، وَفَرَضَ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسِينَ صَلَاةً فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ؛ وَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَّرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقُلْتُ: أَيُّ رَبِّ خَفَّفَ عَنِّي أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ قُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى، وَيَحْطُّ عَنِّي خَمْسًا خَمْسًا حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ هِيَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ حَسَنَةً؛ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَشْرًا وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا؛ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى لَقَدْ اسْتَحَيْتُ» هذه رواية الإمام أحمد في

مسند



وفي رواية البخاري:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:  
(فُرِجَ عَنِ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ  
زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُتَمَلِّئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَعَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ  
أَطْبَقَهُ. ..)

### ثالثا: المستفاد من واقعة الإسراء والمعراج

١. رعاية الله سبحانه لنبيه وحفظه له من كيد أهل الشرك الوثنية، فمألاً قلبه  
حكمة وإيمانا وثباتا على الحق، وإكرامه بمعجزة الإسراء والمعراج  
٢. أن الإسراء والمعراج كان بالجسد والروح يقظة لا مناما خلافا للبعث، قال  
الحافظ ابن حجر:

وقد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة فمنهم من ذهب إلى أن  
الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد  
المبعث وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين  
وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس  
في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل اهـ<sup>(١)</sup>

٣. أن الإسراء كان من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام، وهذا  
ما اتفق عليه المسلمون أجمعون، ولم يقل غير ذلك غير بعض الجهلة المعاصرين

(١) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٩٧)



قال الإمام عبد الغني المقدسي:

وأجمع القائلون بالأخبار، والمؤمنون بالآثار، أن رسول الله ﷺ أسري به إلى فوق سبع سماوات، ثم إلى سدرة المنتهى، أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، مسجد بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء بجسده وروحه جميعاً، ثم عاد من ليلته إلى مكة قبل الصبح اهـ<sup>(١)</sup>

٤. أن الإسراء كان ليلاً ولم يكن نهاراً كما ورد في الحديث وكان في ليلة واحدة ولم في ليلتين كما قال البعض

قال السفاريني:

الصحيح المعتمد أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، هذا الذي اعتمده أكثر أهل العلم، وقيل: كان الإسراء وحده في ليلة ثم كان هو والمعراج في ليلة أخرى، والأول هو الذي ذهب إليه أكثر أهل العلم من المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين اهـ<sup>(٢)</sup>

٥. المعراج كان من بيت المقدس إلى السماوات العلى

٦- حياة البرزخ تختلف عن حياة الدنيا، فرؤيا الأنبياء في بيت المقدس ثم رؤيتهم في السماوات كل في مكانه، ثم هم في قبورهم أحياء كل هذا غيب لا يعلمه إلا الله، ويجوز في الحياة الآخرة ما لا يقع في الدنيا

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص: ١٥٥)

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢٨٨)



٧. تكريم النبي ﷺ بإمامته للأنبيا في بيت المقدس  
 ٨. "عناية الله سبحانه وتعالى بنبِيِّه -صلى الله عليه وسلم- في جميع أموره، حيث هداه في هَذَا العرض التشريفيِّ إلى ما فيه الهداية، والصلاح، وجنبه ما يكون سببا للغواية والضلال، مع أن الكل كَانَ مباحًا له، ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]"<sup>(١)</sup>

٩. مشروعية الحمد عند حصول ما يُحمد، حيث قَالَ جرير عليه السلام لما فاز حبيبه -صلى الله عليه وسلم- بأعلى الوسام: "الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي هدانا له".<sup>(٢)</sup>

١٠- قال ابن أبي جمرة: الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إرادة إظهار الحق، لمعاندة من يريد إخماده؛ لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلًا إلى البيان والإيضاح. فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس، سأله عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس، كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رأها قبل ذلك، فلما أخبرهم بما حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره، فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن، وفي شقاء الجاحد والمعاندة.<sup>(٣)</sup>

(١) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢٥٧ / ٤٠) محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَوِي

(٢) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢٥٧ / ٤٠)

(٣) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (٦ / ٢٩٠) للحنكي الشنقيطي



١١- قيل: الحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الإسراء أنه عليه الصلاة والسلام لما عُرِّجَ له رأى في تلك الليلة تعبد الملائكة، وأن منهم القائم فلا يقعد، والراكع فلا يسجد، والساجد فلا يقعد فجمع الله له ولأمته تلك العبادات كلها في كل ركعة يصلِّيها العبد بشرائطها، من الطمأنينة والإخلاص. قاله ابن أبي جمرة أيضاً، وقال: وفي اختصاص فرضيتها بليلة الإسراء، إشارة إلى عظيم بيانها، ولذلك اختص فرضها بكونها بمير واسطة، بل بمراجعة. تعددت على ما يأتي بيانه. (١)

١٢- إكرام الله للأمة في زيادة العمل بعشر أضعافه، فالحسنة بعشر أمثالها

١٣- فرض الله الصلوات الخمسة بغير واسطة بينه وبين نبيه لكن كيفية الصلوات كانت عن طريق الوحي

١٤- الإسراء والمعراج من عقيدة المسلم، قال ابن قدامة:

الإيمان بكل ما أخبر به الرسول ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وضح به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق، وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا مناما فإن قريشا أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات اهـ (٢)

(١) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (٦/ ٢٩٠)

(٢) لمعة الاعتقاد (ص: ٢٨) لابن قدامة المقدسي



١٥- اختلف في الإسراء، في وقته في السنة والشهر: ذكر الحافظ ابن حجر عشرة أقوال، قال:

فإن في ذلك اختلافاً كثيراً يزيد على عشرة أقوال<sup>(١)</sup>.

ثم ذكر الحافظ هذه الأقوال وهي:

. قبل الهجرة بثمانية أشهر.

. قبل الهجرة بستة أشهر.

. قبل الهجرة بسنة.

. قبل الهجرة بأحد عشر شهراً.

. قبل الهجرة بسنة وشهرين.

. قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر.

. قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً.

. قبل الهجرة بثلاث سنوات.

. قبل الهجرة بخمس سنوات.

وكما أنهم اختلفوا في تحديد السنة التي حدثت فيها حادثة الإسراء والمعراج فكذلك اختلفوا في الشهر الذي وقعت فيه، فقيل: كان ذلك في السابع

(١) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٠٣)



والعشرين من رجب. وقيل في شهر رمضان. وقيل في شهر شوال. وقيل في شهر ربيع الأول. وقيل في شهر ربيع الثاني.

١٦- من هذه الأقوال فإن احتفال الناس بحادثة الإسراء والمعراج يوم السابع والعشرين من شهر رجب من كل عام هو بدعة لا أساس لها ولم يقع هذا في القرون الأولى

١٧- من قواعد هذا الدين التيسير وعدم التعسير، والتخفيف وعدم التثقل، ورفع الحرج، فإن موسى عليه السلام أدرك هذا وطلب من النبي ﷺ أن يسعى للتخفيف على الأمة حتى لا يكن الأمر عليهم شاق.

١٨-

رابعا: أحداث متفرقة وقعت ليلة الإسراء والمعراج ذكرت في أحاديث متفرقة:

١- موسى عليه السلام يصلي في قبره: روى مسلم عن سليمان التيمي، سمعت أنسا، يقول: قال رسول الله ﷺ: «مررت على موسى وهو يصلي في قبره»<sup>(١)</sup>

وكيفية صلاته في قبره لا يعلمها إلا الله فكما قلنا حياة البرزخ تختلف عن حياة الدنيا

٢- ماشطة فرعون:

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٨٤٥)



روى ابن حبان عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: ( مررت ليلة أسري بي برائحة طيبة فقلت: ما هذا يا جبريل؟ ) فقال: هذه ماشطة بنت فرعون كانت تمشطها فوق المشط من يدها فقالت: بسم الله فقالت بنت فرعون: أبي؟ قالت: ربي ورب أبيك قالت: أقول له؟ قالت: قولي فقالت فقال لها: ألك من رب غيري؟ قالت: ربي وربك الذي في السماء قالت: فأحمى لها نقرة من نحاس وقالت له: إن لي إليك حاجة

قال : وما حاجتك؟ قالت : حاجتي أن تجمع بين عظامي وبين عظام ولدي قال : ذلك لك لما لك علينا من الحق فألقى ولدها في النقرة واحدا فواحدا وكان آخرهم صبي فقال : يا أمتاه فإنك على الحق <sup>(١)</sup>

٣. حال من يأمر بالمعروف ولا يفعله ومن ينهى عن المنكر ويفعله روى ابن حبان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: " رأيت ليلة أسري بي رجلا تقرض شفاههم بمقاريض من النار ، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون" <sup>(٢)</sup>

٤. غراس الجنة ووصية إبراهيم عليه السلام لهذه الأمة:

(١) صحيح ابن حبان (٧/ ١٦٤) ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي

(٢) انظر موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان (١/ ١٤٢) وصححه الارناؤوط وحسين أسد



روى الترمذي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن عراسها سبحان الله والحمد لله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر<sup>(١)</sup>

٥- وصية الملائكة بالحجامة ، فروى ابن ماجه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: ( ما مررت ليلة أسري بي بملا من الملائكة إلا كلهم يقول لي عليك يا محمد بالحجامة )<sup>(٢)</sup> .

٦- حال أكل الربا، روى أحمد عن سمرة بن جندب قال: قال نبي الله ﷺ: ( رأيت ليلة أسرى بي رجلا يسبح في نهر ويلقم الحجارة فسألت ما هذا فقيل لي أكل الربا )<sup>(٣)</sup>

٧- النبي ﷺ يسمع صوت الأقلام

روى أبو يعلى عن ابن عباس وأبي حبة الأنصاري قالوا: قال رسول الله ﷺ: ( لما أسري بي ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقدام )<sup>(٤)</sup>

٨- قريش تكذب النبي ﷺ بالإسراء

(١) انظر سنن الترمذي (٥ / ٥١٠) وحسنه الألباني

(٢) أنظر سنن ابن ماجه (٢ / ١١٥١) وصححه الألباني بطرقه

(٣) انظر مسند أحمد بن حنبل (٥ / ١٠)، وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد قوي

رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الوهاب بن عطاء الخفاف فمن رجال مسلم

(٤) انظر مسند أبي يعلى (٤ / ٤١١)، وقال حسين أسد: إسناده صحيح



روى أحمد عن بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لما كان ليلة أسرى بي وأصبحت بمكة فظعت بأمرى وعرفت أن الناس مكذبي فقعده معتزلاً حزينا قال: فمر عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟! فقال رسول الله ﷺ: نعم

قال: ما هو؟!!

قال: انه أسرى به الليلة

قال: إلى أين؟

قال: إلى بيت المقدس

قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟

قال: نعم

قال: فلم ير انه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه، قال: أرايت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟

فقال رسول الله ﷺ: نعم

فقال: هيا معشر بني كعب بن لؤي، حتى قال: فانتفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما

قال: حدث قومك بما حدثتني

فقال رسول الله ﷺ: إني أسرى بي الليلة

قالوا: إلى أين؟

قلت: إلى بيت المقدس



قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟

قال: نعم

قال: فمن بين مصفق ومن بين واضح يده على رأسه متعجبا للكذب زعم قالوا: وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد (وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد) فقال رسول الله ﷺ: فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت، قال: فجيء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقال أو عقيل فنعتته وأنا أنظر إليه، قال: وكان مع هذا نعت لم أحفظه

قال: فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب<sup>(١)</sup>

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه)<sup>(٢)</sup>

٩. هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج:

هذه مسألة اختلف فيها الصحابة ومن بعدهم

روى البخاري عن مسروق، قال: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتُ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ،

(١) انظر مسند أحمد بن حنبل (١/ ٣٠٩) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط

الشيخين

(٢) انظر صحيح البخاري (٤/ ١٧٤٣)



مَنْ حَدَّثَكُمْهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]. وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي عَدِيٍّ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تُدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تُكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]. وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الْآيَةَ وَلَكِنَّهُ «رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ»<sup>(١)</sup> وروى مسلم عن عبد الله، قال: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١]، قال: «رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح»<sup>(٢)</sup> وروى مسلم عن أبي هريرة، ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [النجم: ١٣]، قال: «رأى جبريل»<sup>(٣)</sup> وروى مسلم عن ابن عباس، قال: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١] ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [النجم: ١٣]، قال: «رآه بفؤاده مرتين»<sup>(٤)</sup> وروى مسلم عن أبي ذرٍّ، قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، هَلْ رَأَيْتَ رَبِّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَيْ أَرَاهُ»<sup>(١)</sup>

(١) انظر صحيح البخاري (١٤٠ / ٦)

(٢) انظر صحيح مسلم (١٥٨ / ١)

(٣) انظر صحيح مسلم (١٥٨ / ١)

(٤) صحيح مسلم (١٥٨ / ١)



وفي رواية : فَقَالَ : «رَأَيْتُ نُورًا»<sup>(١)</sup>

ورى أحمد عن ابن عباس، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «رَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى»<sup>(٣)</sup>

وروى الحاكم عن ابن عباس قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ.

فوقع الخلاف في كلام ابن عباس رضي الله عنه هل كانت الرؤيا رؤيا عين أم رؤيا قلب

وكما وقع الخلاف بين الصحابة في مسائل أخر وقع في هذه المسألة، وفي هذا دليل على أن الخلاف بين الأمة واقع في العقائد كما هو واقع في الفقه، ولكن الخلاف المذموم ما خالف نضا صريحا وترتب عليه فرقة بين المسلمين. ومن اجتهد سواء كان اجتهاده في العقائد أو العبادات وكان من أهل الاجتهاد فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر ومغفور له خطأه، ومن فرق بين مسائل الفقه والاعتقاد فقد سلك مسلك أهل البدع والضلال.

### خامسا: بيعة العقبة الأولى

في عام ١١ من البعثة النبوية تقابل النبي ﷺ بستة نفر من أهل المدينة وقد واعدوا رسول الله ﷺ بإبلاغ قومهم.

(١) صحيح مسلم (١/ ١٦١)

(٢) صحيح مسلم (١/ ١٦١)

(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٤/ ٣٥١) وقال شعيب الارناؤوط : صحيح موقوف



وقد صدقوا في ذلك فعادوا في العام الثاني " . موسم الحج سنة ١٢ من النبوة، يوليو سنة ٦٢١ م . اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد التقوا برسول الله ﷺ في العام السابق . والسادس الذي لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رثاب . وسبعة سواهم، وهم:

١ . معاذ بن الحارث، ابن عفراء من بني النجار [من الخزرج]

٢ . ذُكْوَان بن عبد القيس من بني زُرَيْق . [من الخزرج]

٣ . عبادة بن الصامت من بني غَنَم [من الخزرج]

٤ . يزيد بن ثعلبة من حلفاء بني غنم [من الخزرج]

٥ . العباس بن عُبَادَة بن نَضْلَة من بني سالم [من الخزرج]

٦ . أَبُو الْهَيْثَم بن التَّيَّهَان من بني عبد الأشهل [من الأوس].

٧ . عُوثِم بن ساعدة من بني عمرو بن عَوْف [من الأوس].

الأخيران من الأوس، والبقية كلهم من الخزرج.

التقى هؤلاء برسول الله ﷺ عند العقبة بمنى فبايعوه بيعة النساء، أي وفق بيعتهن التي نزلت بعد الحديبية.

روى البخاري عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: (تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا، فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله، فأمره إلى الله؛ إن شاء



عاقبه، وإن شاء عفا عنه). قال: فبايعته . وفي نسخة: (فبايعناه على ذلك).

### سفير الإسلام في المدينة

وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم بعث النبي ﷺ مع هؤلاء المبايعين أول سفير في يثرب؛ ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم في الدين، وليقوم بنشر الإسلام بين الذين لم يزالوا على الشرك، واختار لهذه السفارة شابًا من شباب الإسلام من السابقين الأولين، وهو مُصْعَب بن عُمَيْر العبدري رضي الله عنه. <sup>(١)</sup>

### سادسا: بيعة العقبة الثانية

وفي العام الثاني جاء من المدينة سبعون رجلا بايعوا النبي ﷺ على

الإسلام

عَنْ عَامِرٍ قَالَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ الْعَبَّاسُ عُمُهُ إِلَى السَّبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ عِنْدَ الْعُقْبَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَقَالَ: لَيْتَكُلَّمُ مُتَكَلَّمِكُمْ وَلَا يُطِيلُ الْخُطْبَةَ فَإِنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَيْنًا وَإِنْ يَعْلَمُوا بِكُمْ يَفْضَحُواكُمْ

(١) الرحيق المختوم ص ١٦١



فَقَالَ قَائِلُهُمْ . وَهُوَ أَبُو أَمَامَةَ . : سَلْ يَا مُحَمَّدُ لِرَبِّكَ مَا شِئْتَ ثُمَّ سَلْ لِنَفْسِكَ  
وَلِأَصْحَابِكَ مَا شِئْتَ ثُمَّ أَخْبِرْنَا مَا لَنَا مِنَ الثَّوَابِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَيْكُمْ  
إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ

قَالَ فَقَالَ : أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَسْأَلُكُمْ  
لِنَفْسِي وَلِأَصْحَابِي أَنْ تُؤْوُونَا وَتَنْصُرُونَا وَتَمْنَعُونَا مِمَّا مَنَعْتُمْ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ قَالُوا  
فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ قَالَ لَكُمْ الْجَنَّةُ قَالُوا فَلَكَ ذَلِكَ

وقال جابر بن عبد الله: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ  
يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَبِحَنَّةٍ وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمَيِّ يَقُولُ مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ  
يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ أَوْ مِنْ  
مُضَرَ كَذَا قَالَ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ احْذَرِ غُلَامَ فُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ وَيَمْشِي بَيْنَ  
رِجَالِهِمْ وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ حَتَّى بَعَثْنَا اللَّهَ إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ فَأَوَيْنَاهُ  
وَصَدَّقْنَاهُ فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِمَّا فَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُفَرِّقُهُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ  
فَيُسَلِّمُونَ بِإِسْلَامِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَهْطٌ مِنْ  
الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ ثُمَّ اتَّمَرُوا جَمِيعًا فَقُلْنَا حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ  
ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلًا حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ  
فِي الْمَوْسِمِ فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ حَتَّى  
تَوَافَيْنَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ تُبَايِعُكَ قَالَ تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي  
النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَالتَّفَقُّةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْيِ عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي



فَتَمْتَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْتَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ  
وَلَكُمْ الْجَنَّةُ قَالَ فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَهُوَ مِنْ  
أَصْغَرِهِمْ فَقَالَ زُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَّا وَخَحْنُ نَعْلِمُ  
أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً وَقَتْلُ حَيَارِكُمْ وَأَنْ  
تَعَضَّكُمْ السُّيُوفُ فِيمَا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَأَجْرَكُمْ عَلَى اللَّهِ وَإِنَّمَا  
أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً فَبَيَّنُّوا ذَلِكَ فَهُوَ عُذْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ قَالُوا  
أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ فَوَاللَّهِ لَا نَدْعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا وَلَا نَسْلُبُهَا أَبَدًا قَالَ فَقُمْنَا  
إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ<sup>(١)</sup>.

### أسباب اختيار المكان في بيعة العقبة

وفي العقبة كان لاختيار المكان أبلغ الأثر في إنجاح هذا الاجتماع

التاريخي العظيم، وبيان ذلك على النحو الآتي:

- ١- كان مكان اللقاء في الشعب من منى والشعب هو: ما انفرج بين جبلين  
أي إن المكان كان محاطاً من ثلاث جهات أو من جهتين على الأقل.  
قال كعب: فاجتمعنا في (الشَّعْبِ) ننتظر رسول الله.

(١) أخرجه أحمد (٣ / ٣٢٢ - ٣٢٣، ٣٣٩ - ٣٤٠) بإسناد حسن كما قال في فتح الباري (٧ / ٢٢٢)، والبزار في كشف الأستار (٢ / ٣٠٧)، وابن حبان في الموارد (ص: ٤٠٨)، والبيهقي في الدلائل (٢ / ٤٢٢)، والسنن (٩ / ٩)، والحاكم (٢ / ٦٢٤) وأقره الذهبي، وأخبار مكة للأزرقي = (٢ / ٢٠٥)، وأخبار مكة للفاكهي (٤ / ٢٣١)، وكشف الأستار (٢ / ٣٠٧)، وشرح أصول الاعتقاد (٤ / ٧٦٣)، وقال ابن كثير: (إسناده جيد على شرط مسلم) سيرة ابن كثير (٢ / ١٩٦)،



٢- حُدّد لهم مكان اللقاء مسبقاً، فخرجوا جميعاً صوبه مباشرة، بخلاف ما لو كان اللقاء في مكان آخر ثم كان التحرك منه للمكان المقصود بهذا العدد الضخم!

٣- كان لدى جميع الأفراد علم تام بالمكان؛ فلم يكن يَمنّ داع لتحركهم جماعات صوبه

٤- لم يكن المكان المرشح للقاء بعيداً عنهم؛ لأن ذلك ربما أدى إلى كشف اللقاء برمته عن التحرك إليه أو أثناء الرجوع منه؛ بل كان قريباً منهم بجانب الجمرات التي يجاورونها. وتذكر أهمية ذلك عندما نعلم أن الانطلاق للمكان ذاته لا ريبة فيه؛ لأن الرجل والرجلين ربما ذهباً هناك لقضاء الحاجة. . وهو أمر متعارف عليه ما دام في حدود منى.

٥- وعلى الرغم من وجود شعاب أخرى في منى جهة مزدلفة وفي جميع الجهات الأخرى إلا أن اختيار شعب العقبة ينم على مقدرة فائقة في حسن الاختيار؛ ذلك أنه كان الأقرب للأفراد من جهة منى والأقرب لرسول الله ﷺ من جهة مكة؛ فهو بعيد عن أنظار الحجاج من أهل منى، كما أنه الأبعد عن أنظار المشركين من قريش؛ أضف إلى ذلك المجازفة التي ربما أفسدت الاجتماع لو كان هذا الشعب من جهة المزدلفة مثلاً! (١)

(١) مجلة البيان - عدد ١٣٦ / ص ٢٨



سابعاً: هجرة النبي ﷺ إلى المدينة

• بشائر الهجرة

وقبل الهجرة صرح النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إليها وبقي هو وعلى بن أبي طالب وأبي بكر في مكة، وكان ذلك علامة على الشجاعة العظيمة التي كان يتصف بها ﷺ

" ويحلل الباحث الإنكليزي غلوب باشا الوضع العام الناشئ عن الهجرة الإسلامية من مكة إلى يثرب لتلك الفئة التي غالبيتها من الفقراء والمسحوقين والتي اضطرت أن تقطع ٢٥٠ ميلاً ميلاً على الأقدام في ظروف قاسية جداً، ومن ثم يخلص إلى القول: ( ولم تنقض سبعة أسابيع أو ثمانية حتى كان جميع المسلمين قد هاجروا من مكة باستثناء النبي نفسه وابن عمه علي بن أبي طالب وولده بالتبني زيد بن حارثة ورفيقه الأمين أبو بكر الصديق. وارتد عن الإسلام نفر خوفاً من أهلهم بينما حال هؤلاء دون هجرة نفر آخر، وجدير بنا أن نعترف هنا بأن محمداً أبدى جرأة منقطعة النظير ببقائه في مكة حيث لم يعد يحظى بحماية عمه أبو طالب كبير بني هاشم.

وأدركت قريش خطورة ما وقع من تطور وهالهم أن المسلمين أخذوا يقيمون الآن في يثرب مجتمعاً متلاحم الوشائج<sup>(١)</sup> خارجاً على نفوذهم وبعيداً عن متناول أيديهم، وأنهم شرعوا يكسبون أنصاراً إلى جانبهم من أبناء القبائل

(١) الوشائج: جمع الوشيج، وهو (اشتباك القرابة) والتفافها. [تاج العروس (٦/ ٢٦٠)]



الأخرى الذين قد يتحولون إلى معاداة قريش. واجتمع كبار القوم في دار الندوة يتشاورون في أمر محمد ورأى بعضهم أن محمداً هو سبب كل ما يواجهونه من متاعب، وإن من الخير لهم لو تخلصوا منه في أسرع وقت ممكن قبل أن يتمكن من اللحاق بأصحابه في يثرب<sup>(١)</sup>.

ثامنا: مؤامرة أهل مكة على النبي ﷺ

" بعد أن منيت قريش بالفشل في منع الصحابة -رضي الله عنهم- من الهجرة إلى المدينة، على الرغم من أساليبهم الشنيعة والقييحة، فقد أدركت قريش خطورة الموقف، وخافوا على مصالحهم الاقتصادية، وكيانهم الاجتماعي القائم بين قبائل العرب؛ لذلك اجتمعت قيادة قريش في دار الندوة للتشاور في أمر القضاء على قائد الدعوة، وقد تحدث ابن عباس في تفسيره لقلوبه تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] فقال: فتشاورت قريش بمكة فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبته بالوثائق، يريدون النبي ﷺ، وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: أن أخرجوه، فاطلع الله نبيه على ذلك فبات عليّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة<sup>(٢)</sup>، وخرج النبي ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا عليّاً رد الله كيدهم، فقالوا أين صاحبك هذا؟

(١) جان باغوت غلوب: الفتوحات العربية الكبرى، ص ٨٠-٨١، عن كتاب: الرسول في

الدراسات الاستشراقية

(٢) انظر: السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، ص ١٣٥.



قال: لا أدري، فاقتفوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم الأمر، فصعدوا الجبل فمروا بالغار فأروا على بابه نسيج العنكبوت، فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن ينسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاثاً<sup>(١)</sup>

وبحث المستشرق الفرنسي سيديو في كتابه: " خلاصة تاريخ العرب " مسألة خلاص النبي محاطاً بالعبادة الإلهية، من مكيدة القرشيين، بقوله: (فدفع الله شرهم، وهو أولى أن يحفظ نبيه القائم بالدعوة له، وأحق أن يجعل كيدهم في نحورهم وما زال آخذاً يمينه، حتى غني له الزمن، وصفق له الدهر)<sup>(٢)</sup>. وكانت الهجرة الإسلامية إيذاناً بعهد جديد، ومرحلة عديدة في مسيرة الدعوة الإسلامية وجاءت تأكيداً على الهوية الشمولية لدعوة التي لم تكن قاصرة على قريش وإنما جاءت لتغير واقع المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية، وصهرها في بوتقة الإسلام، ومن ثم لتؤكد أنها رسالة عالمية للناس كافة.<sup>(٣)</sup>

### تاسعا: قصة الهجرة

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: .. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هَجْرَتِكُمْ دَاتٍ مَحْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَةٌ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/١٨١)، وابن حجر في الفتح وحسن إسناده، فتح الباري (٧/٢٣٦).

(٢) سيديو : خلاصة تاريخ العرب ص ٥٤.

(٣) الرسول في الدراسات الاستشراقية ص ٤٩



الْحَبَشَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :  
 عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَدَّنَ لِي  
 فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ؟  
 قَالَ: نَعَمْ، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ  
 راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط<sup>(١)</sup> أربعة أشهر  
 قالت عائشة: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهَيْرَةِ<sup>(٢)</sup>  
 قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنَّعًا<sup>(٣)</sup> فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا  
 فِيهَا !

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءُ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ  
 قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ  
 فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ  
 فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ<sup>(٤)</sup> بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ  
 قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ  
 فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ<sup>(٥)</sup>

(١) (الخبط) ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر

(٢) (نحر الظهيرة) أول الزوال عند شدة الحر

(٣) (متقنعا) مغطيا رأسه

(٤) (أهلك) أي لا يوجد أحد يشك فيه إنما هي زوجتك عائشة وأختها أسماء رضي الله عنهما

(٥) (الصحابة) أي أريد مصاحبتك



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ  
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ  
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِالثَّمَنِ  
 قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَا هُمَا أَحْتَّ الْجِهَازِ<sup>(١)</sup> وَصَنَعْنَا لَهُمَا سَفْرَةً<sup>(٢)</sup> فِي جِرَابٍ<sup>(٣)</sup>  
 فَقَطَعْتَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطْتَ بِهِ عَلَيَّ فَمِ الْجِرَابِ،  
 فَبَدَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتُ النَّطَاقَيْنِ  
 قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بَعَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ  
 لَيَالٍ<sup>(٤)</sup> يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ<sup>(٥)</sup>،  
 فَيُدَلِّجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ<sup>(٦)</sup>، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كِبَائِتٍ فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا  
 يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ<sup>(٧)</sup>، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَجْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرَعَى  
 عَلَيْهِمَا غَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا<sup>(٨)</sup> عَلَيْهِمَا حِينَ

(١) أحث الجهاز: أسرع الجهاز، أي جهزنا سفرهما بأسرع شيء

(٢) سفرة: الزاد الذي يصنع للمسافر

(٣) جراب: وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه مثل الحقيبة لكنها من قماش

(٤) كمنا: أي مكثنا فيه مختفين ثلاثة أيام، ومن يطلق على الكمين

(٥) ثقف: حاذق فطن وهو الذكي الحذر. (لقن) سريع الفهم حسن التلقي لما يسمعه ويعلمه

(٦) فیدلج: يخرج وقت السحر منصرفاً إلى مكة، والسحر قبيل الفجر

(٧) يكتادان به: يدبر بشأئهما ويمكر به لهما ويسبب لهما الشر والأذى. (وعاه) حفظه

(٨) منحة: الناقة أو الشاة يعطى لبنها ثم جعلت كل عطية منحة وكذلك تطلق على كل شاة، (يريحها) من الرواح وهو السير في العشي



تَذَهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَيَسْتَأْنِ فِي رِسْلِ (١). وَهُوَ لَبَنٌ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا (٢) وَرَضِيفِهِمَا (٣). حَتَّى يَنْعَقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بَعْلَسٍ (٤)، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ، وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّلِيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَبْدِ هَادِيًا حَرِيَّتًا. وَالْحَرِيْتُ الْمَاهِرُ بِالْهُدَايَةِ. قَدْ غَمَسَ حَلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمَنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا، صَبَحَ ثَلَاثٍ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالِدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاكِحِ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكِ الْمُدَلِّجِيُّ. وَهُوَ ابْنُ أُخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ: أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشَمٍ يَقُولُ: جَاءَنَا رَسُولُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَيُّ بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِّجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ: يَا سُرَاقَةَ إِيَّيَّ قَدْ رَأَيْتُ أَنْفًا أَسْوَدَةً (٤) بِالسَّاحِلِ أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ

(١) الرسل: هو اللبن الطري

(٢) رضيفهما: هو اللبن الذي جعل فيه الرضفة وهي الحجارة المحمأة لتذهب وخامته وثقله وقيل

الرضيف الناقة المحلوبة

(٣) ينقع بعلس: أي يكون في غنمة ليلا حين يختلط ظلام الليل بطلوع الفجر

(٤) أسودة: أي كناية عن خيال رجال تمشي



قَالَ سُرَاقَةٌ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ؛ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ  
فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ  
فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةٍ<sup>(١)</sup> فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ،  
وَأَخَذْتُ رُجْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ<sup>(٢)</sup> فَحَطَطْتُ بِرُجْحِهِ الْأَرْضَ<sup>(٣)</sup>،  
وَحَفَضْتُ عَالِيَهُ<sup>(٤)</sup> حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا<sup>(٥)</sup> تُقَرَّبُ بِي<sup>(٦)</sup> حَتَّى  
دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي فَخَرَزْتُ عَنْهَا<sup>(٧)</sup>، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى  
كِنَانَتِي فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ<sup>(٨)</sup> بِهَا أَضْرَهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ  
الَّذِي أَكْرَهُ فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرَّبُ بِي، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الْإِلْتِقَاتِ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي

(١) أكمة: مكانا مرتفعا عن الأرض

(٢) من ظهر البيت : أي من خلفه

(٣) فحططت بزجه : نكست أسفله وفي نسخة ( فحططت ) والزوج الحديدية التي تكون في أسفل  
الرمح

(٤) حفضت. أعلاه وجرت زجه على الأرض فحططتها به من غير قصد

(٥) رفعتها : أسرعت بما السير

(٦) ( تقرب بي ) من التقريب وهو نوع من السير دون العدو فوق العادة وقيل هو أن ترفع يديها معا  
وتضعهما معا .

(٧) فعثرت بي فرسي : تعثرت في الأرض فسقطت على وجهها ، فخرزت عنها : أي وقعت

(٨) الأزلام : سهام لا ريش لها ولا نصل مكتوب عليها لا نعم فكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمرا ضربوا  
بها فإن خرج ( لا ) تركوا وإن خرج ( نعم ) فعلوا ، استقسمت : من الاستقسام وهو طلب معرفة ما



الأرض<sup>(١)</sup>، حتى بلغنا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَزْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ<sup>(٢)</sup> فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقَيْتُ مَا لَقَيْتُ مِنْ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَزْرَأْنِي<sup>(٣)</sup> وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: أَخْفِ عَنَّا فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فُكْتُبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: فَأَخْبَرَنِي عَزْرَةُ بِنْتُ الزُّبَيْرِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَعْدُونَ كُلَّ عِدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حُرَّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوْوَأَ إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ

(١) ساخت يدي فرسي في الأرض : غاصت مقدمة الفرس في الأرض

(٢) عثان : الدخان من غير نار وفي نسخة ( غبار ) . ( ساطع ) منتشر

(٣) لم يزرأني : لم يأخذني شيئا ولم ينقصا مالي

(٤) اديم : جلد



يَهُودَ عَلَى أَطْمٍ<sup>(١)</sup> مِنْ أَطَامِهِمْ لِأَمْرِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبْيَضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ<sup>(٢)</sup>، فَلَمْ يَمَلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ<sup>(٣)</sup> الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَتَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّلَاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَيْعِ الْأَوَّلِ<sup>(٤)</sup>.

فكانت الهجرة أكبر حدث في التاريخ فلقد غيرت معالم الكون بأثره، ومسار دعوة الإسلام، وصار للمسلمين مأوى وقوة ومنعة.

حتى جعل بعض المستشرقين يعتبرها حدثاً إيمانياً فريداً فقال المستشرق الفرنسي مارسيل بوازار في كتابه «إنسانية الإسلام»: (وما إن شعر محمد بالخطر حتى أوعز لفئة قليلة ممن آمنوا بدعوته، وكانوا مهتدين بشكل خاص، على الهجرة إلى الحبشة. ثم ما لبث أن نظم هجرة أتباعه بالتدرج إلى يثرب التي عرفت فيما بعد باسم (المدينة). وائتمر المكيون لقتل النبي، وعلم بالأمر، وتمكن من النجاة بشبه معجزة بمساعدة شجاعة من ابن عمه علي، كما تقول كتب السيرة. وفي المدينة استقبل محمد بالتهليل في شهر تموز عام

(١) (أطم) بناء من حجر كالقصر وقيل هو الحصن .

(٢) (مبيضين) عليهم ثياب بيض . (نزول بهم السراب) هو ما يرى في شدة الحر من بعد كآنة ماء والمعنى يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له أو يظهرون فيه تارة ويخفون أخرى

(٣) (جدكم) حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعون مجيئه

(٤) البخاري (٣٩٠٦)



٦٢٢م، وكانت «الهجرة» التي يحدد بها المسلمون مطلع سنتهم، والتي تعتبر بداية التاريخ الإسلامي. وتعني اللفظة حرفياً ترك البلاد إلى أخرى، والمنفى، والنجاة بالنفس. أما الدين فقد أضفى عليها معنى خاصاً هو الخلاص من الجهل، ورفض الشر، وإطراح الكفر، وبكلمة تكون الهجرة فعل إيمان. ومن المفيد التذكير بأن الهجرة (ابتعاد طوعي وإن يكن محدداً بأسباب لا إرادية) يتحدد بلا انقطاع إذا حدث إذلال أو اضطهاد. وعلى المسلم أن (يهاجر إذا اقتضى الأمر ليجاهد في سبيل الله حتى يزول كل ظلم)<sup>(١)</sup>.

#### عاشراً: بعض الدروس المستفادة من الهجرة النبوية إلى المدينة

١. إثبات معية الله لأوليائه المؤمنين ونصرته لهم، ويظهر هذا في حفظ رسول الله ﷺ في الغار من أن يراه المشركون أو تصل إليه أيديهم، ثم نجاته من سراقه بن مالك وهو فارس شجاع ولديه حافز المال.

٢. التوكل على الله تعالى، وذلك باعتماد القلب وثقته بالله ثم الأخذ

بالأسباب الظاهرة

فيستخفي بالظهيرة ثم بسواد الليل ثم بتجويف الغار، ويسلك طريقاً غير معتادة، وينطلق جهة الجنوب ومقصده الشمال، ويستعين بكافر قد أمنه.

فيأخذ الإنسان بأسباب الحيطة والحذر والوقاية

٣. ثقة الإنسان بالله تعالى وأنه لا يملك النفع والضرر غيره وإنه ناصر

(١) مارسيل بوازار: إنسانية الإسلام، ص ٤٤، ٤٥.



عبدہ المؤمن

وهذا ظاهر في قوله ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، ثم في عدم التفاته إلى سراقه بن مالك حين لحق به، وكأن الأمر لا يعنيه ﷺ، ثم في إعطائه ﷺ سراقه كتاب أمان، وهو الذي يخرج من بلده مهاجراً، لكنه كان يرى نصر الله له ويرقبه ويتيقنه كما يتيقن الشمس في رابعة النهار.

٤. استخدام المعارض في دفع الشر والبلاء يحتاج إليه الإنسان أحيانا كما صنع الصديق حين كان يخبر من قابله في طريق الهجرة بأن النبي ﷺ دليله في الطريق، فيفهم المخاطب أنه طريق السفر، وهو يقصد الطريق إلى الجنة.

قال النووي في شرح مسلم: "استعمال المعارض عند الحاجة... وشرط المعارض المباحة ألا يضيع بها حق أحد"

وقال ابن حجر في الفتح: "ومحلّ الجواز فيما يخلص من الظلم أو يحصل الحق، وأما استعمالها في عكس ذلك من إبطال الحق أو تحصيل الباطل فلا يجوز"

٥. جواز الاستعانة بالمشرك إذا أمن شره ومكره، فقد استعان النبي ﷺ بعبد الله بن أرقط فكان دليله في سفره وكان (هادياً خريّتاً - والخريت الماهر بالهداية - قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش فأمنه)

٦. الاستفادة من الطاقات المختلفة، وكل حسب نوعه وسنه، فقد كان الصديق بحكمته خير رفيق للرسول ﷺ، فيما تولى الشاب عبد الله بن أبي



بكر مهمة تحسس أخبار قريش، وتولى عامر بن فهيرة الخدمة، وتولت أسماء إعداد الجهاز والطعام لهذا الركب.

٧. فضل الصديق وشدة محبته للنبي ﷺ، فقد كان له أنيساً وصاحباً في الهجرة وخادماً، فقد كان يحرسه ويخاف عليه ويبرد له اللبن ويؤثره على نفسه ويظله إذا قامت الشمس.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "نطقت بفضله الآيات والأخبار، واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار، فيا مبغضيه في قلوبكم من ذكره نار، كلما تليت فضائله علا عليهم الصغار، أترى لم يسمع الروافض الكفار: ﴿ثَانِيًا﴾ ائْتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ ﴿﴾

٨. تأييد الله تعالى لنبيه واکرامه بذكر ما حدث ما حدث في كتابه فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا﴾ ائْتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿التوبة: ٤٠﴾

٩. الاعتصام بالله تعالى: فالاعتصام بالله هو الفرج والمخرج فرسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من بيته المحاصر بأربعين رجل لقتلة وهو يقرأ القرآن: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]



١٠. "التخطيط الجيد والعمل المنظم: وتمثل هذا في الآتي:-

١- تأمين حياة أفراد الأمة: فتأخير هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأمر بخروج الأفراد سرًا وفرادي حتى لا يعلم أحد مقصودهم الجديد فينقضوا عليهم جميعا فيه تأمين لخروجهم

٢- خروج الرسول ﷺ في وقت غير معهود الخروج فيه: وقت الظهيرة واشتداد الحر في رمضاء مكة

٣- استئجار خبير في الطبوغرافيا (عبد الله بن أريقط): حتى لا يسير في طريق معهود فيسهل الإمساك بهم

٤- استخدام الإخفاء والتمويه: وهو أحد وسائل الحرب الحديثة وتمثل في الآتي:-

أ- مبيت سيدنا على مكان الرسول حتى يظلوا ينتظرون خروجه وذلك في المرحلة الأولى حتى يتمكن من الخروج من مكة

ب- عامر بن فهيرة يسير بقطع من الغنم خلفهم لتغطية الآثار حتى لا يستطيع أحد أن يقتفى أثرهم

ج- البقاء في الغار ثلاثة أيام في الوقت الذي تنتشر فيه قوى الشر في كل مكان للبحث عنهم

د- تغيير اتجاه المسير فبدلا من الانطلاق في اتجاه الشمال وهو التفكير المنطقي لمن يريد الملاحقة يتجهون إلى الجنوب أولاً حيث لا يخطر ذلك ببال

أحد



١١. توزيع الأدوار:

أ - الكبار يوفرون الدعم المادي للمساندة والصحة

ب- الشباب والفتيان يقومون بالأعمال الفدائية والاستخباراتية

ج- المرأة تقوم بالدعم اللوجستي

د- باقي الأفراد يهيئون الدولة والأرض الجديدة ويرتبون احتفالية

الاستقلال: (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع)"<sup>(١)</sup>

وللهجرة دروس كثير عظيمة وقد كتب فيها كثير من العلماء والأدباء

والكتاب

(١) مقال لدكتور رشاد لاشين عن الهجرة احتفالية التغيير



## الفصل الرابع

### العهد المدني أحداث وغزوات

هذا الفصل نبين فيه الأحداث والمواقف والغزوات التي تعرض لها النبي ﷺ في المدينة ، دون العروج كثيرا على حياة المدينة المدنية؛ فهذا له بحث آخر بإذن الله تعالى نتكلم فيه عن حياة النبي ﷺ وسط أصحابه.

#### المبحث الأول

##### بناء المجتمع المدني

أولاً: النبي ﷺ في بني عمرو بن عوف من بني النجار

قال عروة بن الزبير: فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحْيِي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتْ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بَرْدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرٍو بِنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً. (١)

(١) البخاري (٣٩٠٦)



وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً<sup>(١)</sup> وهنا تظهر عظمة النبي ﷺ في عدم تمييزه عن الناس بلباس ولا في مظهره، وفطنة أبي بكر رضي الله عنه، ومدى حبه لرسول الله ﷺ، فقام أمام الناس، وحماه من حر الشمس حين ظلل عليه. وليعرفه الناس حين اختلط عنهم النبي به.

### ثانيا: النبي وبناء المسجد

قبل أي شيء أراد النبي ﷺ أن يشيد المكان الذي سوف يجمع كل الناس لا فرق بين صغير وكبير، ولا بين فقير وغني، ولا بين عبد وحر. فالكل سوف يأتي لرسول ولن يحجب عن أحد. ولم يكن لرسول الله أن يبني المسجد في أرض عنوة، أو يأخذها بوجهه حين عرضها عليه؛ بل حتى لا يكون هذا الأمر شرعة عند الناس اشترى الأرض كما اشترط على أبي بكر أن يعطيه ثمن الراحلة التي أعدها له. ولا يترك ﷺ الصحابة يعملون في بناء المسجد وهو في عريش له يأمر وينهى؛ بل كان يشارك معهم في البناء بيده الشريفة ﷺ.

قال أنس بن مالك: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ<sup>(١)</sup>، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رَدْفُهُ وَمَلَأَ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ،

(١) البخاري (٤٢٨)



حَتَّى أَلْقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ . وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ .  
وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْعَنَمِ وَأَنَّهُ أَمَرَ بِنِيبَاءِ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي  
النَّجَّارِ فَقَالَ: يَا بَنِي النَّجَّارِ تَأْمِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا  
قَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ تَمَنُّهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ

فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورَ الْمُشْرِكِينَ، وَفِيهِ حَرْبٌ، وَفِيهِ نَخْلٌ،  
فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فُنِشَتْ، ثُمَّ بِالْحَرْبِ (٢) فَسُوِّتَ وَبِالنَّخْلِ  
فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتِيهِ الْحِجَارَةَ (٣)، وَجَعَلُوا  
يَنْقَلُونَ الصَّخَرَ وَهُمْ يَرْجُزُونَ (٤) وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرِ الْآخِرَةِ فَأَغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ (٥)

وقال عروة بن الزبير: وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى وَصَلَّى فِيهِ  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكْتَ عِنْدَ مَسْجِدِ  
الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ مَرِيدًا  
لِلتَّمْرِ لِسَهْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجَرٍ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ

(١) متقلدي السيف: جعلوا حمائلها في أعناقهم كالقلائد خوفا من اليهود عليه وليروه استعدادهم  
لنصرته ﷺ

(٢) الحرب: هي البيوت المهذمة المهجورة

(٣) عضادتيه: منى عضادة وهما الخشبستان المنصوبتان على يمين الداخل منه وشماله وأعضاد كل شيء ما  
يشده حوالبه من البناء

(٤) يرجزون: يقولون الرجز وهو نوع من الكلام الموزون يشبه الشعر

(٥) البخاري (٤٢٨)



فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتُهُ: هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ  
 ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعُلَامِيْنَ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمَرْيَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا  
 فَقَالَا: لَا بَلَنْ نَهْبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ  
 فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً؛ حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا؛ ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا  
 وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّيْلَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّيْلَ:  
 هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبِرَ هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطَهْرُ  
 وَيُقُولُ:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ الْأَخْرَى فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

فَتَمَثَّلَ بِشَعْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي  
 قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ  
 شَعْرِ تَامٍّ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ. (١)

وجعل قبلته إلى بيت المقدس وجعل له ثلاث أبواب بابا في مؤخره وبابا يقال  
 له باب الرحمة والباب الذي يدخل منه رسول الله وجعل عمده الجذوع  
 وسقفه بالجريد وقيل له ألا تسقفه فقال لا عريش كعريش موسى وبنى إلى  
 جنبه بيوت أزواجه باللبن وسقفها بالجريد والجذوع فلما فرغ من البناء بنى

(١) البخاري (٣٩٠٦)



بعائشة في البيت الذي بناه لها شرقي المسجد قبله وهو مكان حجرته اليوم وجعل لسودة بنت زمعة بيتا آخر<sup>(١)</sup>

### ثالثا: النبي يخبر عمار عن مصيره

وهنا معجزة من معجزات النبي ﷺ أن يخبر عن أمر سيقع بعد أكثر من عشرين سنة من بناء المسجد، وهو مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه. قال أبو سعيد الخدري: كُنَّا نَحْمِلُ لَبَنَةً لَبَنَةً وَعَمَّارٌ لَبِتَيْنِ لَبِتَيْنِ فَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ وَيَحْ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ قَالَ يَقُولُ عَمَّارٌ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ<sup>(٢)</sup>

وكان عمار رضي الله عنه قتل في صغين وهو يؤازر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في حربه ضد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه حين وقعت الفتنة، وهذا لأن عليا اجتهد فأصاب ومعاوية اجتهد فأخطأ ولكل منهما أجر على اجتهاده.

### رابعا: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

وحيث كان الناس حديث عهد بجاهلية فكانت العصبية لا زالت موجودة حتى ولو خفتت قليلا، ولكن لا بد من علاج ناجع لهذا الداء

(١) زاد المعاد لابن القيم (٦٣/٣) وانظر طبقات ابن سعد (٢٤٠/١)

(٢) البخاري (٤٤٧) من حديث ابن عباس



العضال الذي يفتك بأي مجتمع متماسك فيحوّله إلى شذر مذر. فقام النبي بعقد إخاء بين المهاجرين والأنصار والتناصر على البر والتقوى والحب والإيثار وكرّم الأخلاق. وهذه المؤاخاة من رحمة النبي ﷺ بأمته حتى لا ينزغ الشيطان

بينهم

قال ابن القيم:

ثم آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الأنفال: 7٥] رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة<sup>(١)</sup>

ومن عجائب هذه المؤاخاة

١. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَأَنْظُرُ أَيَّ زَوْجِيَّ هَوَيْتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَلْتُ تَزَوَّجْتَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سُوْقٍ فِيهِ بَحَارَةٌ؟ قَالَ: سُوْقٌ قَيْنُقَاعٍ

(١) زاد المعاد (٦٣/٣)



فَعَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الْعُدُوَّ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَزَوَّجْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَنْ؟ قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: كَمْ سُقْتِ؟

قَالَ: زِنَةٌ نَوَاهٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاهٍ مِنْ ذَهَبٍ  
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَوْمٌ وَلَوْ بِشَاةٍ. (١)

٢- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي) قَالَ: وَرَثَةٌ، (وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ): كَانَ الْمُهَاجِرُونَ لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَرِثُ الْمُهَاجِرِيُّ الْأَنْصَارِيَّ ذُونَ ذَوِي رَحْمَةٍ لِلأُخُوَّةِ الَّتِي آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: (وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي) نُسِخَتْ ثُمَّ قَالَ: (وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ) مِنْ النَّصْرِ وَالرَّفَادَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَقَدْ ذَهَبَ الْمِيرَاثُ وَيُوصِي لَهُ سَمِعَ أَبُو أُسَامَةَ إِدْرِيسَ وَسَمِعَ إِدْرِيسُ طَلْحَةَ (٢)

### خامسا: المعاهدة مع الكفار واليهود

ولأجل تأمين المدينة من الغدر الذي قد يلحق بها من داخلها كان لا بد من تأمين حصونها الداخلية ممن لم يدخلوا في الإسلام من اليهود وغيرهم فكان النبي ﷺ بعقد معاهدة صلح معهم.

(١) البخاري (٢٠٤٨)

(٢) البخاري (٤٥٨٠)



قال ابن القيم:

ولما قدم النبي المدينة صار الكفار معه ثلاثة أقسام:

قسم: صالحهم ووادعهم على ألا يحاربوه ولا يظاهروا عليه، ولا يوالوا عليه عدوه، وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم.

وقسم: حاربوه ونصبوا له العداوة

وقسم: تاركوه فلم يصالحوه ولم يحاربوه؛ بل انتظروا ما يؤول إليه أمره وأمر أعدائه.

ثم من هؤلاء من كان يجب ظهوره وانتصاره في الباطن، ومنهم من كان يجب ظهور عدوه عليه وانتصارهم، ومنهم من دخل معه في الظاهر وهو مع عدوه في الباطن ليأمن الفريقين وهؤلاء هم المنافقون، فعامل كل طائفة من هذه الطوائف بما أمره به ربه تبارك وتعالى؛ فصالح يهود المدينة وكتب بينهم وبينه كتاب أمن وكانوا ثلاث طوائف حول المدينة: بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة<sup>(١)</sup>

وبهذا ظهرت شخصية الرسول ﷺ كقائد عظيم ورسول كريم " يتمتع من الصفات المعنوية والظاهرة، ومن الكمالات المواهب، والأجماد والفضائل، ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال بما جعلته تحوى إليه الأفتدة، وتتفانى عليه النفوس، فما يتكلم بكلمة إلا ويبادر صحابته رضي الله عنهم إلى امتثالها،

(١) زاد المعاد (٣/١٢٦)



وما يصدر من إرشاد أو توجيه إلا ويتسابقون إلى العمل به. بمثل هذا استطاع النبي ﷺ أن يبني في المدينة مجتمعاً جديداً أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، وأن يضع لمشاكل هذا المجتمع حلاً تنفست له الإنسانية الصعداء، بعد أن كانت قد تعبت في غياهب الزمان ودياجير الظلمات. وبمثل هذه المعنويات الشائخة تكاملت عناصر المجتمع الجديد الذي واجه كل تيارات الزمان حتى صرف وجهتها، وحول مجرى التاريخ والأيام.<sup>(١)</sup>

وبهذا الدستور الإنساني العظيم وهو الإخاء بين المسلمين والمعاهدة بين المسلمين وغيرهم على المعاشية السلمية استطاع النبي ﷺ أن يحقق ما لم يحققه أحد من البشر قبله في مثل هذا المجتمع المتناقض، حتى قال أحد المستشرقين وهو المستشرق الروماني جيورجيو: (وقد حوى هذا الدستور اثنين وخمسين بنداً، كلها من رأي رسول الله. خمسة وعشرون منها خاصة بأمور المسلمين وسبعة وعشرون مرتبطة بالعلاقة بين المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى، ولاسيما اليهود وعبدة الأوثان. وقد دون هذا الدستور بشكل يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش مع المسلمين بحرية، ولهم أن يقيموا شعائرتهم حسب رغبتهم، ومن غير أن يتضايق أحد الفرقاء. وضع هذا الدستور في السنة الأولى للهجرة، أي عام ٦٢٣م. ولكن في حال مهاجمة

(١) الرجيق المختوم ص ٢١٢



المدينة من قبل عدو عليهم أن يتحدوا لمجأته وطرده<sup>(١)</sup>.

فإن الشريعة الإسلامية تحرص تمام الحرص على التعايش السلمي بين البشر، والتعاون على البر والتقوى والإصلاح، ولا يميز الإسلام في هذا التعايش بين مسلم وغير مسلم كما فعل النبي ﷺ، إلا في ما يتعلق بأحوالهم الدينية فهم يمارسونها كما شاؤوا دون إلحاق ضرر بالمسلمين، وكذلك في قضاياهم التي تتعلق بشريعتهم إلا إذا تحاكموا إلى الإسلام فهنا تطبق عليهم أحكام الإسلام لأنهم هم من طلبوا ذلك.

ففي المجال البيع والشراء والإجارة والمراهنة والشراكة والمزارعة ونحو ذلك الأمر فيه لا إشكال ولا تفرقة.

وفي مجال الجوار قد حرص الإسلام على حق الجار مهما كان دينه، فلا يتعرض له في ماله ولا في عرضه ولا في نفسه، وأن يطعمه إذا جاع ويسقيه إذا عطش، ويجيره إذا استجار به ولو من مسلم، وينصره إذا كان مظلوماً، ولا يمنع عنه معروفه ولا يؤذيه بيده ولا بلسانه. وقد قال النبي ﷺ: كَمِ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ يَا رَبِّ هَذَا أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي فَمَنْعَ مَعْرُوفَهُ<sup>(٢)</sup>

وقال ﷺ: ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه<sup>(٣)</sup>

(١) ك. جيورجيو : نظرة جديدة في سيرة رسول الله ، ص ١٩٢ .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٢٥) عن ابن عمر وحسنه الألباني

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/٥٢ ، رقم ١١٢) عن ابن عباس، وأبو يعلى (٥/٩٢ ، رقم ٢٦٩٩) ، والطبراني (١٢/١٥٤ ، رقم ١٢٧٤١) ، قال الهيثمي (٨/١٦٧) : رجاله ثقات . والحاكم



وعن عبد الله بن عمرو أنه ذبحت له شاة فجعل يقول لغلامه أهديت  
لجارنا اليهودي أهديت لجارنا اليهودي سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما زال  
جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه<sup>(١)</sup>  
والمجتمع ما هو إلا جوار كل بجوار الآخر فلو كل إنسان حرص على  
جاره لكان الأمان في المجتمع كله

(٤/١٨٤ ، رقم ٧٣٠٧) ، وقال : صحيح الإسناد .

(١) اخرجه البخاري ففي الأدب المفرد (ص : ٥٠) وأصله في الصحيحين



## المبحث الثاني الدخول في مرحلة القتال

أولاً: تحرش أهل مكة بالنبي ﷺ

بعدما نزل النبي ﷺ بالمدينة وعمل على استقرار الحياة فيها على الأمر الجديد الذي لم يكن معهوداً عندهم، اغتاز أهل مكة من انتشار الإسلام وخروج النبي ﷺ من بين أيديهم سالماً من غير أن يصاب بأذى كما كانوا يدبرون له.

فقام "كُفَّارٌ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى ابْنِ أَبِيٍّ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مَعَهُ الْأَوْثَانَ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ وَقَعَةِ بَدْرٍ: إِنَّكُمْ أَوَيْتُمْ صَاحِبَنَا، وَإِنَّا نُنْفِسُ بِاللَّهِ لَتُقَاتِلَنَّهُ أَوْ لَتُخْرِجَنَّهُ أَوْ لَنَسِيرَنَّ إِلَيْكُمْ بِأَجْمَعِنَا حَتَّى، نَقْتُلَ مُقَاتِلَتِكُمْ، وَنَسْتَبِيحَ نِسَاءَكُمْ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيٍّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عَبْدِ الْأَوْثَانِ اجْتَمَعُوا لِقِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيِّ ﷺ لَقِيَهُمْ فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ وَعَيْدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمْ الْمَبَالِغَ مَا كَانَتْ تَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرِ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تَكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ تَفَرَّقُوا (١)

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٠٤) بسند صحيح



وفشلت خطة قريش في تحريش أهل المدينة بالنبي ﷺ وأصحابه فعمدوا إلى

الصد عن البيت الحرام

فَعَنْ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ صَدِيقًا لِأُمِّيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَكَانَ أُمِّيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدٍ، وَكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمِّيَّةَ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا، فَنَزَلَ عَلَى أُمِّيَّةَ بِمَكَّةَ فَقَالَ لِأُمِّيَّةَ:

انظُرْ لِي سَاعَةَ خَلْوَةٍ لَعَلِّي أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ

فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: يَا أَبَا صَفْوَانَ مَنْ هَذَا مَعَكَ؟

فَقَالَ: هَذَا سَعْدٌ

فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: أَلَا أَرَأَيْكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ أَمِنًا وَقَدْ أُوَيْتُمْ الصُّبَاةَ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ مَعَ أَبِي صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَيَّ أَهْلِكَ سَالِمًا

فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ مَنَعْتَنِي هَذَا لِأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ؛ طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ

فَقَالَ لَهُ أُمِّيَّةُ: لَا تَرْفَعِ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِي الْحَكَمِ سَيِّدِ أَهْلِ الْوَادِي  
فَقَالَ سَعْدٌ: دَعْنَا عَنكَ يَا أُمِّيَّةُ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ

قَالَ: بِمَكَّةَ؟

قَالَ: لَا أَدْرِي



فَفَزَعَ لِدَلِّكَ أُمَّيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا (١)

بعد ذلك لجأت قريش إلى تهديد المهاجرين ومعهم النبي ﷺ، وكانوا جادين في ذلك، ومن أجل ذلك كلن النبي ﷺ يأخذ حذره. فكان يجعل له حرسا بلبيل أحيانا.

### ثانيا: الإذن بالقتال

رغم هذه المدة الطويلة التي قضاها النبي ﷺ في مكة وعند مقدمه للمدينة لم يكن مأذونا له في قتال أحد واستعمال سلاح، حتى اشتد الأمر على المسلمين وبدأ الأعداء يتخذون الحرب طريقا في محاربة أهل المدينة، فهنا أذن الله تعالى بالقتال.

قال تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

عَزِيزٌ (٤٠)﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " لما خرج رسول الله ﷺ من مكة، قال أبو بكر: ( إنا لله وإنا إليه راجعون) أخرج رسول الله ﷺ ليهلكن، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ

(١) البخاري (٣٩٥٠)



لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، عرف أبو بكر أنه سيكون قتال" (١)

ومن هذا المنطلق الفكري يتحدث المستشرق الفرنسي جان بروا في كتابه: "محمد نابليون السماء" بقوله: (إن إبلاغ الرسالة إلى العالم هو الهدف الأول والأخير للنبي محمد، ولم تكن مشاغل الأسرة والحياة لتحول بينه وبين أدائها أبداً، وإنك إذا نظرت إلى عنف قريش ومؤامراتها الدموية وربط جأثسها على اغتياله مراراً، بل إذا نظرت إلى كل القبائل العربية حينذاك، ألفت الغزو جل عملها، ولم يكن النبي إلى ذلك الوقت - وإن كثر حوله الرجال - قد - أذن له في النضال ودفع العدوان بالعدوان، ولكن بعد كل تلك الاعتداءات جاء الوحي الإلهي يبيح له حرب المعتدين ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدَّامَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، وجاء أيضاً ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] (٢).

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (٤٢٤٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

والترمذي (٣١٧١) وأحمد (١٨٦٨)

(٢) جان بروا: محمد نابليون السماء (ترجمة محمد بنداق)، ص ٥٢.



وكان الإذن مقتصرًا على قتال قريش، ثم تطور فيما بعد مع تغير الظروف حتى وصل إلى مرحلة الوجوب، وجاوز قريشاً إلى غيرهم، ولا بأس أن نذكر تلك المراحل بإيجاز قبل أن ندخل في ذكر الأحداث:

١- اعتبار مشركي قريش محاربين؛ لأنهم بدأوا بالعدوان، فحق للمسلمين أن يقاتلوهم ويصادروا أموالهم دون غيرهم من بقية مشركي العرب.

٢- قتال كل من تمألاً من مشركي العرب مع قريش واتحد معهم، وكذلك كل من تفرد بالاعتداء على المسلمين من غير قريش.

٣- قتال من خان أو تحيز للمشركين من اليهود الذين كان لهم عقد وميثاق مع رسول الله ﷺ، ونبذ ميثاقهم إليهم على سواء.

٤- قتال من بدأ بعداوة المسلمين من أهل الكتاب، كالنصارى، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

٥- الكف عن من دخل في الإسلام، مشركاً كان أو يهودياً أو نصرانياً أو غير ذلك، فلا يتعرض لنفسه وماله إلا بحق الإسلام، وحسابه على الله.

"ولما نزل الإذن بالقتال رأى رسول الله ﷺ أن ييسط سيطرته على الطريق الرئيس الذي تسلكه قريش من مكة إلى الشام في تجارتهم، واختار لذلك خطتين:

الأولى: عقد معاهدات الحلف أو عدم الاعتداء مع القبائل التي كانت مجاورة لهذا الطريق، أو كانت تقطن ما بين هذا الطريق وما بين المدينة، وقد عقد ﷺ معاهدة مع جهينة قبل الأخذ في النشاط العسكري، وكانت مساكنهم على



ثلاث مراحل من المدينة، كما عقد معاهدات أخرى أثناء دورياته العسكرية، وسيأتي ذكرها.

الثانية: إرسال البعوث واحدة تلو الأخرى إلى هذا الطريق.<sup>(١)</sup>

ثالثاً: هل بعث النبي ﷺ لغاية القتال؟ أم بعث لنشر الإسلام؟

عند النظر في سيرة النبي ﷺ نجد أن القتال لم يبدأ عند بداية البعثة؛

وإنما بدأ في مراحل متأخرة منها، بعدما مر أكثر نصف البعثة بكثير. وذلك

لأن النبي ﷺ لم يكن هدفه الأول هو الحرب؛ وإنما الهدف الأول هو تبليغ

دعوة الله تعالى للبشر، لنبذ الشرك والدخول في توحيد الله تعالى، وهي مهمة

كل الرسل كما جاء في القرآن: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]

والطاغوت: يشمل كل من عبد من دون الله تعالى

فهذه هي الغاية من إرسال الرسل، ولم تكن الغاية هي القتال والحرب كما

يتصور كثير ممن يجهل شرائع الإسلام أو ممن يكن حقدا عليه.

(١) الرحيق المختوم ص ٢١٨



ولذلك تحمل النبي ﷺ هو وأصحابه في المرحلة المكية شتى صنوف القهر والظلم والتعذيب، ومع ذلك كان دائما ما يأمر أصحابه بالصبر، فقد كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال: ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي (١)

• ونقتطف من السيرة بعض المواقف:

**الموقف الأول: موقف أبو لهب مع النبي ﷺ**

روى مسلم عن ابن عباس قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَأَنْذِرْ

عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾

وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ:

يَا صَبَاحَاهُ فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟

قَالُوا: مُحَمَّدٌ

فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي فُلَانٍ! يَا بَنِي عَبْدِ

مَنَافٍ! يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ

خَيْلًا تَخْرُجُ بِسُفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟

قَالُوا: مَا جَرَّئْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا

قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ

(١) صحيح : أخرجه أبو داود ( ٤٧٣٤ ) والبخاري في الأدب المفرد ص ٧٧ من جابر بن عبد الله

وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (١٩٤٧)



قَالَ: فَقَالَ أَبُو هَبٍ: تَبَّ لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟!!

ثُمَّ قَامَ فَتَرَكْتَ هَذِهِ السُّورَةَ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَفَتَّ﴾<sup>(١)</sup>

الموقف الثاني: موقف عقبة بن أبي معيط مع النبي ﷺ

روى البخاري عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ

الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ

فَأَخَذَ بِمَنْكَبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا،

فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكَبِهِ وَدَفَعَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: " أَنْتُمْ تُلُونَ رَجُلًا

أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ " <sup>(٢)</sup>

ولم يعلن النبي ﷺ الحرب ولا حدث أصحابه بذلك قط في تلك الفترة، ولم

يقل لهم عندما تكون لنا شوكة أو قوة سوف نقاتلهم.

(١) مسلم (٣٠٧)

(٢) البخاري (٤٤٤١)



### الموقف الثالث: موقف آل ياسر

كان بنو مخزوم يعذبون ياسر وزوجته سمية وابنهما عمار في رمضان مكة حتى يرجعوا عن دينهم، وقد صبروا على ذلك حتى مر بهم النبي ﷺ، ولم يعلن حرباً ولم يأمر بقتال وإنما قال: صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة<sup>(١)</sup>

### الموقف الرابع: موقف خباب بن الأرت

كان خباب بن الأرت يعذب تعذيباً شديداً فقد كان يؤتى له بالحديد المحمي ويوضع على ظهره فينطفئ بشحم ظهره فاستغاث بالنبي ﷺ كما جاء في صحيح البخاري حيث يقول: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلَا تَدْعُو اللَّهَ؟!

فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِيُمَشِّطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَاؤُ عَلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَيَسْتَقُ بِأَثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَكَيْتَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّئْبَ عَلَى عَنَمِهِ»<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح : وقد أخرجه الحاكم في مستدركه (٥٦٨٧) من حديث جابر ، وأخرجه الطبراني في

المعجم الكبير (٢٠٢٢٥) من حديث عثمان بن عفان ، وصححه الألباني كما في صحيح السيرة

النبية ، وفقه السير (١٠٣)

(٢) البخاري (٣٥٦٣)



وظل النبي ﷺ على هذا الحال حتى خرج من مكة بعد ثلاثة عشرة عاما قضاها في هذا العذاب هو وأصحابه

وكذلك كان هدف النبي ﷺ في المدينة هو إبلاغ دعوته للخلق، ولكن أعداء الإسلام من اليهود والمنافقين كانوا لها بالمرصاد من ناحية، وقريش قد أخذتها الحمية من ناحية في أنها فشلت في القضاء على النبي ﷺ في فراشه. فكل هذه عوامل ساعدت على نشوب الحرب. وأوجب الله تعالى الجهاد على المسلمين، فصار الجهاد وسيلة وليست غاية، وهذه الوسيلة تختلف من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان، فقد تحتم استخدام هذه الوسيلة في بلد ولا يجوز استخدامها في بلد أخرى. بشروطها التي سنذكرها.

وعامل آخر من وراء اتهام الإسلام بالدموية والإرهاب وهو أن يغطي المجتمع الغربي والشرقي ومعهم اليهود على الجرائم التي ارتكبوها عبر التاريخ في دول الشرق الإسلامي من قل التتار والمغول، وفي دولة الأندلس من قبل الصليبيين وفي أمريكا الشمالية والجنوبية من قبل الأسبان والبرتغال، وفي الهند من قبل الإنجليز وفي القدس والشام من قبل الحملات الصليبية وما قام به الدب الشيعي في دول الشرق الإسلامي ودول الغرب من مجازر، كل هؤلاء لهم تاريخ أسود في احتلال البلاد وسفك الدماء ونهب الثروات. فعُطت هذه



الجرائم، ولأجل قضاؤهم على الإسلام والمسلمين نسجوا الشائعات حول الإسلام لتنفير الناس منه وإيجاد مبرر لقتل أهل الإسلام والتضييق عليهم<sup>(١)</sup>

### • الجهاد ماض إلى يوم القيامة

والجهاد على ذلك ماض إلى يوم القيامة كوسيلة من وسائل الدفاع عن الدين والأرض والعرض والنفس والمال.

روى البخاري عن عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْحَيْلُ مَعْفُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْحَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَجْرُ وَالْمَعْنَمُ»<sup>(٢)</sup>

قال الحافظ في شرح هذا الحديث: وفيه أيضاً بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين وهم المسلمون وهو مثل الحديث الآخر: « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق »<sup>(٣)</sup>

وروى مسلم عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»<sup>(٤)</sup>

قال الخطابي: فيه بيان أن الجهاد لا ينقطع أبداً، وإذا كان معقولاً أن الأئمة كلهم لا يتفق أن يكونوا عدلاً، فقد دل هذا على أن جهاد الكفار مع أئمة الجور واجب كهو مع أهل العدل<sup>(١)</sup>

(١) وقد ذكرنا هذه الجرائم بشيء من التفصيل في كتابنا "مظاهر الرحمة في شخصية النبي ﷺ"

(٢) البخاري (٢٦٤٠)

(٣) فتح الباري : (٥٦/٦)

(٤) مسلم (٣٥٤٦)



وقال النووي:

وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة؛ فإن هذا الوصف مازال بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث (٢)

وقال ابن الجارود: (باب دوام الجهاد إلى يوم القيامة) ثم ذكر الحديث وروى مسلم عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عَصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» (٣).

وإذا نظرنا إلى قضية الجهاد في الإسلام ومسألة حق الدفاع عن البلاد ومقاومة المعتدي عند المجتمع الغير مسلم لا نجد فرقا في الكيفية غير أن المسلم يعتبر هذا دينا ليكون فيه مخلصا تاما، بعكس ما هو ما موجود في الدول الأخرى أنه حق الوطن فقط، ولكن الأعداء يتربصون بالإسلام ويقفون حجر عثرة أمام دخول الناس فيه من خلال ما يذكرونه من تشويه وتحريف لمنهجه.

وهم يزوجون بالمسلمين أيضا في تحريف فكرة الجهاد في الإسلام عمليا من خلال تصورات خاطئة يقوم بها فئام من الناس هنا وهناك ينحون منحى الخوارج في الماضي ويقتلون أهل الإسلام ويدمرون البلاد وينتهكون الحرمات

(١) معالم السنن المطبوع بهامش سنن أبي داود (١١/٣)

(٢) شرح صحيح مسلم (٧٧/٧) .

(٣) مسلم (٣٥٥٠)



ويخربون البيوت ظنا منهم أنهم ينصرون الإسلام، وهذا لم يكن هو الجهاد الحقيقي في عهد رسول الله ﷺ ولا صحابته، بل الجهاد الحقيقي يدفع الظالم وينصر المظلوم ويعود بالخير على المجتمعات كلها وينشر السلام بين الناس<sup>(١)</sup>

### خامسا: الغزوات والسرايا قبل غزوة بدر

● تعريف عام بغزوات وسرايا النبي ﷺ وقادته وكيف انتصر على أعدائه  
الفرق بين الغزوة والسرية: وهو الغزوة هي ما خرج فيها النبي ﷺ ولو لم يكن فيها قتال.

وجاء في السيرة الحلبية:

لا يخفى أن ما كان فيه رسول الله ﷺ يقال له غزوة وما خلا عنه ﷺ يقال له سرية إن كان طائفة اثنين فأكثر فإن كان واحدا قيل له بعث وربما سمعوا بعض السرايا غزوة كما في مؤته حيث قالوا غزوة مؤته، وكما في سرية الرجيع حيث عبر عنها السيوطي في "الخصائص" بغزوة الرجيع وعن سرية ذات السلاسل بغزوة ذات السلاسل وعن سرية سيف البحر بغزوة سيف البحر وربما سموا الواحد سرية وهو في الأصل كثير وبما سمو الاثنين فأكثر بعثا ومنه قول الأصل كالبخاري بعث الرجيع وظاهر كلامهم أنه لا فرق في ذلك بين أن يكون إرسال ذلك لقتال أو لغير قتال كتجسس الأخبار أو لتعليمهم الشرائع كما في بئر معونة والرجيع أو للتجارة كما في سرية زيد بن حارثة

(١) وقد فصلنا الكلام في كتابنا (أخلاقيات الحرب في ضوء السيرة النبوية)



رضي الله تعالى عنهما حيث ذهب مع جمع بالتجارة للشام فلقية بنو فزارة فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم

والسرية في الأصل: الطائفة من الجيش تخرج منه ثم تعود إليه خرجت ليلاً أو نهاراً وقيل السرية هي التي تخرج ليلاً والساوية هي التي تخرج نهاراً وهي من مائة إلى خمسمائة وقيل إلى أربعمائة أي وفي القاموس السرية من خمس أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة وعليه فما دون ذلك لا يقال له سرية فما زاد على الثلاثمائة أو أربعمائة إلى ثمانمائة يقال له بنسر بالنون فإن زاد على لك إلى أربعة آلاف قيل له جيش أي وقيل الجيش من ألف إلى أربعة آلاف فإن زاد على ذلك قيل له جحفل وجيش جرار أي إلى اثني عشر ألفاً. اهـ<sup>(١)</sup>

ولقد أجاد اللواء الركن محمود شيت خطاب في عرض ذلك فقال: <sup>(٢)</sup>

كان النبي ﷺ هو قائد المسلمين في الغزوات، وهي ثمان وعشرون غزوة، نشب القتال في تسع غزوات منها، وحقت تسع عشرة غزوة من غزواته عليه الصلاة والسلام أهدافها دون قتال.

واستغرق جهاد النبي ﷺ في غزواته كافة سبع سنين بعد الهجرة من

مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فقد خرج إلى غزوة ودان وهي أول غزوة قادها

(١) السيرة الحلبية (٣/١٣٣، ١٣٤)

(٢) مقال نشرته مجلة الأمة في العدد ٣٧، محرم ١٤٠٤ هـ بعنوان: درسان حيويان مقتبساً من قادة

النبي ﷺ لحاضر المسلمين ومستقبلهم



النبي ﷺ في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة، وكانت غزوة تبوك وهي آخر غزواته عليه الصلاة والسلام في رجب من السنة التاسعة الهجرية.

ولكن جهاد النبي ﷺ لم يقتصر على الغزوات فحسب، بل شمل الغزوات والسرايا أيضاً، والفرق بين الغزوة والسرية، أن الغزوة تكون بقيادة النبي ﷺ، أما السرية فتكون بقيادة أحد الصحابة عليهم جميعاً رضوان الله. وكان عدد سرايا النبي ﷺ سبعة وأربعين سرية، وفي رواية أنه بعث عدداً أكثر من السرايا، والأول أصح.

وقد استغرق بعث هذه السرايا تسع سنين، ابتداءً من سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه التي بعثها إلى (العيص) في شهر رمضان من السنة الأولى الهجرية، وانتهاء بسرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه التي بعثها إلى بلاد (مذحج) في اليمن في شهر رمضان من السنة العاشرة الهجرية.

وكان من ثمرات جهاد سبع سنوات في الغزوات، وتسع سنوات في السرايا، توحيد شبه الجزيرة العربية لأول مرة في التاريخ تحت لواء الإسلام، بقيادة أبنائها من العرب المسلمين، وتطهيرها من الأجنبي الدخيل، وتحطيم الأصنام والأوثان في أرجائها، وهي آلهة العرب قبل الإسلام، بعد أن أصبح العرب يعبدون إلهاً واحداً لا شريك له، بفضل الإسلام دين التوحيد والوحدة، ودين الله الذي ارتضاه للناس كافة.



وكان عدد قادة سرايا النبي ﷺ سبعةً وثلاثين قائداً، بإضافة عبد الله بن جبير الأوسي الأنصاري الذي كان قائد الرمة في غزوة (أحد) إلى قادة سرايا النبي ﷺ، إكباراً لمزاياه القيادية، وتقديراً لسجاياه البطولية، وليكن أسوة حسنة لكل قائد وجندي من قادة العرب والمسلمين وجنودهم في مزاياه وسجاياه، فيصبح تعداد القادة ثمانية وثلاثين قائداً.

وليس عبد الله بن جبير رضي الله عنه من قادة النبي ﷺ، ولكنه ليس أقل منهم كفاية واقتداراً، وقدرًا وجلالاً.

لقد كانت ثمرات الجهاد في الغزوات والسرايا ثمرات يانعة حقاً، وكانت لقيادة النبي ﷺ الفذة آثار حاسمة في نتائج غزواته وسراياه: بصورة مباشرة في غزواته لأنها بقيادته المباشرة، وبصورة غير مباشرة في سراياه لأنها بقيادة من أحسن اختيارهم.

واختيار النبي ﷺ لقادة سراياه: في أسلوب اختياره الذي يضع الرجل المناسب بالمكان المناسب، وفي حرصه على الالتزام بشروط القيادة المتميزة في الاختيار لفائدة الإسلام والمسلمين، درس ينبغي أن نتعلمه حكماً ومحكومين، إذا أردنا أن نتصر في الحرب ونتفوق في السلام، فقد عزّ النصر على العرب والمسلمين وعزّ النجاح، وأصبحوا أهل الهزائم والإخفاق.

وربما نعود إلى تفصيل هذا الدرس الحيوي في موعد قريب بإذن الله، فهو الدرس الحيوي الذي ينبغي أن نتعلمه من النبي ﷺ: درس اختيار القادة.



أما اليوم، فسأقتصر على درسين حيويين نتعلمهما من قادته عليهم رضوان الله.

### مصائر قادة النبي ﷺ.

والدليل القاطع على تمتع قادة النبي ﷺ بالكفاية القيادية العالية، هو ما أحرزوه من انتصارات باهرة على أعداء الإسلام والمسلمين، المتفوقين عليهم عدداً وعُدداً في كل معركة خاضوها دون استثناء.

### الشجاعة..

والشجاعة الفائقة هي إحدى مزايا الواجب توفرها في الكفاية القيادية، وكانت الشجاعة الفائقة هي القاسم المشترك بين مزايا قادة النبي ﷺ كافة.

والدليل القاطع على الشجاعة الفائقة لقادة النبي ﷺ، أن اثنين وعشرين قائداً منهم قضى شهيداً، وخمسة عشر قائداً منهم مات على فراشه، أي أن ستين بالمائة من القادة استشهدوا، وأربعين بالمائة منهم ماتوا خارج ميدان القتال.

ولا أعرف نسبة عالية من الشهداء في القادة كنسبة الشهداء في قادة النبي ﷺ في تاريخ الحروب القديمة والحديثة، فالخسائر في القادة (اعتمادياً) أقل بكثير من الخسائر في غير القادة من الجنود وضباط الصف والضباط، وقد لا تكوّن واحداً بالمائة في أحسن الأحوال وفي أعلى تقدير.

والقول بأن هذه النسبة العالية في الشهداء بين قادة النبي ﷺ سببها شجاعتهم الفائقة والإيمان العميق، وليس كالإيمان العميق حافز من حوافز



الإقدام والاستقتال في طلب الشهادة، تخلصاً من الحياة المؤقتة للأحياء إلى الحياة الدائمة للشهداء..

ونسبة الشهداء من صحابة النبي ﷺ قادة وجنوداً، ثمانون بالمائة كما فصلنا ذلك في بحث "الإسلام والحرب الإجماعية"، فقد استشهد أربعة من الصحابة من كل خمسة عليهم رضوان الله، لأن إيمانهم العميق الذي كان أعلى نسبة ممن جاء بعدهم، هو الذي حقق لهم أمنياتهم في الاستشهاد، إذ كان كل واحد منهم يتمنى أن يستشهد قبل أخيه.

والمبدأ الذي جاء به الإسلام في اختصاص الشهداء بالحياة الباقية مبدأ لا مثيل له في تعاليم القتال التي جاءت بها الأديان السماوية الأخرى وتعاليم القتال في المذاهب الوضعية البائدة والسائدة: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

ولا تجد مثل هذا المبدأ القتالي: مبدأ الحياة الباقية للشهيد، في أية عقيدة قتالية قديمة أو حديثة، إلا في العقيدة العسكرية الإسلامية، ولكن ياليت قومي يعلمون.

كما أن ارتفاع نسبة الشهداء في قادة النبي ﷺ، يدل على طلبهم للشهادة وحرصهم على الاستشهاد، فكانت الشهادة من أغلى أماني المجاهدين الصادقين، وقادة النبي ﷺ سلم منهم بدون شك.



## القيادة من الأمام..

وارتفاع نسبة الشهداء في قادة النبي ﷺ، يدل على أنهم كانوا يقودون رجالهم من الأمام، يقولون لهم: اتبعونا! ويضربون لرجلهم أروع الأمثال في الشجاعة والبراعة، وأنهم كانوا يستأثرون دون رجالهم بمواطن الخطر، ويؤثرونهم بمواطن الأمن، وهكذا يكون القادة الذين يحوزون على ثقة رجالهم عن جدارة واستحقاق.

وارتفاع نسبة الشهداء في قادة النبي ﷺ، يدل على أن أولئك القادة لا يقودون رجالهم من الخلف، يقولون لرجلهم: تقدموا! ثم يبقون قابعين في مواقع آمنة في الخلف، كما يفعل القادة الذين يؤثرون مصالحهم الذاتية على مصالح رجالهم ومصالح أمتهم العليا.

لقد كان شعارهم في الجهاد: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢] النصر أو الشهادة.

ذلك هو الدرس الأول الذي يبرز من دراسة السير التفصيلية لقادة

النبي ﷺ، وهو:

أن نسبة الشهداء منهم كانت ستين بالمائة، وهي أعلى نسبة لاستشهاد القادة في تاريخ الحرب القديم والحديث وفي تاريخ البشرية من مختلف الأمم والألوان والأجناس في مختلف الحروب قديماً وحديثاً، وهذا برهان ساطع على صدق حديث النبي ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم..»



الحديث الشريف [رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد...]، وهو برهان من الناحية العسكرية خاصة، وبإمكان كل مختص في علم من العلوم أن يدلل حسب اختصاصه على صدق هذا الحديث الشريف.

فلا يسأل متسائل: كيف انتصر النبي ﷺ بأصحابه القليلين على أعدائه الكثيرين؟ وكيف استطاع أن يوحد شبه الجزيرة العربية لأول مرة في التاريخ تحت ظل التوحيد خلال تسع سنين؟

ولكن الدرس الثاني الذي نتعلمه من قادة النبي ﷺ هو أعجب من الدرس الأول وأغرب، وهو أن قادة النبي ﷺ المتميزين بالشجاعة الفائقة استشهدوا بأجلهم في ساحات الجهاد، والقادة المتميزين بالشجاعة النادرة منهم ماتوا بأجلهم في بيوتهم على فراشهم!

وبتعبير آخر، إن القادة الشجعان استشهدوا، والقادة الذين هم أكثر شجاعة ماتوا على فراشهم، وتفصيل هذا الدرس في الحديث الآتي بإذن الله.

ومن حقي ومن حق كل مسلم أن يسأل المبهورين بالعسكرية الغربية الحديثة أو بالعسكرية الشرقية الحديثة، أو بالعسكرية الغرايبية التي هي مزيج من العسكرية الشرقية والعسكرية الغربية: ما نسبة الذين قتلوا من القادة الغربيين أو الشرقيين في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) وما بعدهما من حروب موضعية؟



أعلى نسبة من قتلى القادة لم تبلغ واحد بالمائة في العسكرية الغربية والعسكرية الشرقية والعسكرية الغرابية!  
فلماذا نستبدل العسكرية الشرقية أو الغربية أو الغرابية بالعسكرية الإسلامية؟ ولمصلحة مَنْ ينهر بها العرب والمسلمون؟ ولماذا نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟  
لقد قادت العقيدة العسكرية الإسلامية النبي ﷺ وصحبه إلى النصر، وإلى توحيد الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام خلال تسع سنين فقط من عمر الزمان.

وقادت الخلفاء الراشدين الهادين المهديين من بعده على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، والصدر الأول من عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقادت قادة الفتح الإسلامي وجنوده إلى فتح العراق وبلاد الشام ومصر وليبيا وبلاد فارس وخراسان، وتوحيد هذه البلاد الشاسعة تحت لواء الإسلام خلال أقل من عشرين سنة.  
فلمّا تخلى العرب والمسلمون عن العقيدة الإسلامية، وطبقوا العسكرية الغربية أو الشرقية أو الغرابية، قادتهم هذه العقائد الدخيلة إلى الهزائم المنكرة، وخسروا حتى بلادهم، وقادتهم تلك العقائد العسكرية الأجنبية إلى الذل والهوان.

فمتى تعرف هذه الحقائق الناصعة، ومتى نعود إلى الإسلام من جديد، فقد انتصرنا بالإسلام، ولن نتصر بغيره على أعدائنا، وواقعنا المرير أوضح دليل؟



مصائب قادة النبي ﷺ:

القائد	قدمه في الإسلام	مصربه	مكان استشهاده	تاريخ استشهاده هجري/ميلادي
حمزة بن عبد المطلب	قديم الإسلام - بدري	شهيد	أحد	٣ ٦٢٤
عبيد بن الحارث بن عبد المطلب	قديم الإسلام - بدري	شهيد	بدر	٢ ٦٢٣
عبد الله بن جحش الأسدي	قديم الإسلام - بدري	شهيد	أحد	٣ ٦٢٤
عمير بن عدي الخطمي الأوسي	قديم الإسلام - بدري	شهيد	أحد	٣ ٦٢٤
سالم بن عمير الأوسي	قديم الإسلام - بدري	مات على فراشه	المدينة	على عهد معاوية



٦٦٣	٤٣	المدينة	مات على فراشه	قديم الإسلام - بدري	محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري
٦٧٥	٥٥	المدينة	مات على فراشه	قديم الإسلام - بدري	سعد بن أبي وقاص
٦٢٩	٨	مؤتة	شهيد	قديم الإسلام - بدري	زيد بن حارثة الكلبى
٦٧٣	٥٤	غزة	مات على فراشه	قديم الإسلام	عبد الله بن أنيس الجهني
٦٢٤	٣	المدينة	شهيد	قديم الإسلام - بدري	أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي
٦٢٥	٤	بدر معونة	شهيد	قديم الإسلام - بدري	المنذر بن عمرو الساعدي الخرجي
٦٢٥	٤	الرجيع	شهيد	قديم الإسلام - بدري	مرثد بن أبي مرثد الغنوي



٦٣٢	١١	بزاخة	شهيد	قديم الإسلام - بدري	عكاشة بن محصن الأسدي
٤٣٩	١٨	عمواس	مات على فراشه بالتعاون فهو شهيد	قديم الإسلام - بدري	أبو عبيدة بن الجراح
٦٥٢	٣٢	المدينة	مات على فراشه	قديم الإسلام - بدري	عبد الرحمن بن عوف
٦٦٠	٤٠	الكوفة	شهيد	قديم الإسلام - بدري	علي بن أبي طالب
٦٣٢	١١	اليمامة	شهيد	قديم الإسلام	عبد الله بن عتيك الخرجي
٦٢٩	٨	مؤتة	شهيد	قديم الإسلام - بدري	عبد الله بن رواحة الخرجي



٦٢٩	٨	مكة	شهيد	أسلم بعد الهجرة	كرز بن جابر الفهري
		المدينة	مات على فراشه	أسلم بعد غزوة أحد	عمرو بن أمية الضمري
٦٤٣	٢٣	المدينة	شهيد	قديم الإسلام - بدري	عمر بن الخطاب
٦٣٤	١٣	المدينة	مات على فراشه	قديم الإسلام - بدري	أبو بكر الصديق
٦٣٣	١٢	عين التمر	شهيد	قديم الإسلام - بدري	بشير بن سعد الخزرجي
-	-	-	مات على فراشه	قديم الإسلام	غالب بن عبد الله الليثي
٦٢٨	٧	ديار بني سليم	شهيد	أسلم قبل فتح مكة	ابن أبي العوجاء السلمي



٦٣٢	١١	اليمامة	شهيد	قديم الإسلام — بدري	شجاع بن وهب الأسدي
٦٢٩	٨	ذات أطلاق	شهيد	قديم الإسلام	كعب بن عمير الغفاري
٦٢٩	٨	مؤتة	شهيد	قديم الإسلام	جعفر بن أبي طالب
٦٧٣	٥٤	المدينة	مات على فراشه	قديم الإسلام	أبو قتادة بن ربعي الأنصاري
٦٤١	٢١	حمص	مات على فراشه	أسلم قبل فتح مكة	خالد بن الوليد
٦٦٤	٤٣	الفسطاط	مات على فراشه	أسلم قبل فتح مكة	عمرو بن العاص
—	—	—	مات على فراشه	قديم الإسلام — بدري	سعد بن زيد الأوسي
٦٣٢	١١	اليمامة	شهيد	قديم الإسلام	الطفيل بن عمرو الدوسي



عبيدة بن حصن الفزاري	أسلم قبل فتح مكة	مات على فراشه	المدينة	على عهد عثمان
قطبة بن عامر الخزرجي	قديم الإسلام - بدري	مات على فراشه	المدينة	على عهد عثمان
الضحاك بن سفيان الكلابي	قديم الإسلام	شهيد	بلاد بني سليم	١١ ٦٣٢
علقمة بن مجزر المدلجي	أسلم قبل فتح مكة	شهيد	بلاد الحبيشة	٢٠ ٦٤٠

• الغزوات والسرايا قبل غزوة بدر الكبرى

١ . سرية سيف البحر

وكان أول لواء عقده رسول الله حمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره [ الموافق مارس سنة ٦٢٣ م ] وكان لواء أبيض وكان حامله أبو مرثد كنان بن الحصين الغنوي حليف حمزة وبعثه في ثلاثين رجلا من المهاجرين خاصة يعترض عيرا لقريش جاءت من الشام وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل تحركت الدورية في (مسير



اقتراي) سريع نحو الهدف المحدد لها وهو ساحل البحر الأحمر، حيث التقت بالقافلة القرشية ناحية العيص في منطقة نفوذ قبيلة جهينة "فالتفوا حتى اصطفوا للقتال"، وقبل أن يشتبك الطرفان في مواجهة دامية، تدخل رجل من كبار رجالات جهينة في وساطة سلام بينهم، فقام بجولات من المفاوضات المباشرة مع كل طرف على حدة حتى التقوا واصطفوا للقتال فمشى مخشي بن عمرو الجهني وكان حليفاً للفريقين جميعاً بين هؤلاء وهؤلاء حتى حجز بينهم فرجع الفريقان كلاهما إلى بلادهم، فلم يكن بينهم قتال<sup>(١)</sup>

#### نتيجة السرية:

وقد كانت نتائج هذه السرية على المعسكر الوثني سيئة للغاية حيث هزت كيان قريش وبثت الرعب في نفوس رجالها، وفتحت أعينهم على الخطر المهدق بهم والذي أصبح يهدد طريق تجارتهم، وبالتالي اقتصادهم. أما المسلمون فقد كانت نتائجها عليهم إيجابية حيث تصاعدت الروح الحماسية بينهم، وأعطتهم بعداً عميقاً من الثقة بالنفس والجرأة على عدوهم، ذلك الذي استطاعوا ولأول مرة الوقوف في وجهه بقوة أجهت قريش وأدهشتهم "قال أبو جهل حين قدم مكة منصرفه عن حمزة: يا معشر قريش إن محمداً قد نزل يشرب وأرسل طلائعه، وإنما يريد أن يصيب منكم شيئاً، فاحذروا أن تمروا طريقه، وأن تقاربوه فإنه كالأسد الضاري، إنه حنق عليكم

(١) زاد المعاد (٣/١٦٣)، السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة (ص: ٨٥)



نفيتموه نفي القردان على المناسم، والله إن له سحرة، ما رأيته قط ولا أحدًا من أصحابه إلا رأيت معهم الشياطين وإنكم عرفتم عداوة ابني قيلة (يقصد كتابة عن الأوس والخزرج، فقبيلة أمهم وكانوا ينسبون إليها) فهو عدو استعان بعدو" (١)

## ٢ . سرية بطن رابغ وأول يوم يلتقي فيه المسلمون بالكفار

كان أبو سفيان على رأس قافلة تجارية لمكة راجعا من الشام فكان النبي ﷺ يريد تهديد قريش في تجارتها حتى تكف عن التعرض للمسلمين والتأمر عليهم في كل مكان يصلوا إليه فبعث النبي ﷺ عبيدة بن الحارث بن المطلب في سرية إلى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة [ الموافق: إبريل عام ٦٢٣ م ] وعقد له لواء أبيض وحمله مسطح ابن أثانة بن عبد المطلب بن عبد مناف وكانوا في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري فلقي أبا سفيان بن حرب وهو في مائتين على بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة وكان بينهم الرمي ولم يسلبوا السيوف ولم يصطفوا للقتال وإنما كانت مناوشة وكان سعد بن أبي وقاص فيهم وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، نشر كنانته وتقدم أمام أصحابه وقد ترسوا عنه فرمى بما في كنانته، وكان فيها عشرون سهما، ما منها سهم إلا ويجرح إنسانا أو دابة، ولم يكن بينهم يومئذ إلا هذا، لم يسلبوا سيفا. ثم انصرف كل منهما، وفر يومئذ من

(١) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة (ص: ٨٦)



الكفار إلى المسلمين: المقداد ابن الأسود الكندي، وعتبة بن غزوان. وقيل: إن لواء عبدة هذا هو أول لواء عقده رسول الله ﷺ. ثم انصرف الفريقان على حاميتهم<sup>(١)</sup>

وفي هذه السرية انضم رجالان من جيش مكة إلى المسلمين، وهما المقداد بن عمرو البهراني، وعتبة بن غزوان المارني، وكانا مسلمين خرجا مع الكفار ليكون ذلك وسيلة للوصول إلى المسلمين<sup>(٢)</sup>

وتم ما كان من تخويف قريش في شريان حياتها وهو تجارة الشام.  
٣. سرية الخُرَّار<sup>(٣)</sup>

ثم بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخُرَّار في السنة الثانية من الهجرة [الموافق: مايو عام ٦٢٣م]<sup>(٤)</sup> وعقد له لواء أبيض وحمله المقداد بن عمرو

(١) المصدر السابق (٢٦٣/٣) إمتاع الأسماع (١/ ٧٢) وراغب في مدينة جدة حاليا

(٢) الرحيق المختوم ص ٢١٩

(٣) الخرار بفتح الأول وتشديد الثاني: وادٍ، هُوَ وَادِي الْجُحْفَةِ وَعَدِيرِ حَمٍّ، يَقَعُ شَرْقِي رَابِعٍ عَلَى قَرَابَةِ (٢٥) كَيْلًا عِنْدَ عَدِيرِ حَمٍّ (انظر: المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص ٩٤، وكتاب "معجم ما استعجم للبكري

(٤) اختلف أقوال أهل المغازي في تحديد تاريخ هذه السرية حيث جعلها الواقدي وكتابه ابن سعد في السنة الأولى، وبالتحديد في شهر ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة. انظر الواقدي، مغازي (١/١)، وابن سعد، طبقات (٧/٢).

أما ابن إسحاق وابن حزم وابن عبد البر فأرخوا لها في السنة الثانية على خلاف بينهم في الشهر الذي أرسلت فيه، والأقرب للصواب أنها في السنة الثانية كما ذكرنا



بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد البهراي وهو المقداد بن الأسود<sup>(١)</sup>، وكانوا عشرين راكبا يعترضون عيرا لقريش حيث انطلقوا في إثر كرز بن جابر ومن معه لعلها تلحق بهم قبل أن يدخلوا منطقة نفوذ قريش وحلفائها الواقعة بعد الحزّار الذي حدّتهم رسول الله ﷺ من مجاوزته. ولكن كرزاً تمكن من الإفلات أيضا فلم يستطع سعد الإمساك بهم حتى منطقة "الحزّار من أرض الحجاز" التي رجع منها وعهد أن لا يجاوز الحزّار فخرجوا على أقدامهم فكانوا يكمنون بالنهار ويسرون بالليل حتى صبحوا المكان صبيحة خمس فوجدوا العير قد مرت بالأمس<sup>(٢)</sup>

#### ٤ . غزوة الأبواء ( أو ودّان )

ثم غزا بنفسه غزوة الأبواء ويقال لها ودان وهي أول غزوة غزاها بنفسه، وكانت في صفر على رأس اثني عشر شهرا من مهاجره [ الموافق أغسطس عام ٦٢٣م ] وحمل لواء حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن عباد، وخرج في المهاجرين خاصة يعترض عيرا لقريش، فلم يلق كيدا، وفي هذه الغزوة وادع مخشي بن عمرو الضمري، وكان سيد بني ضمرة في زمانه على ألا يغزو بني ضمرة، ولا يغزوه، ولا أن

(١) نسبة إلى الأسود بن عبد يغوث بن وهب ابن عبد مناف لأنه كان تبناه

(٢) زاد المعاد (١٦٤/٣) السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة (ص: ١٩٧)



يكثروا عليه جمعا، ولا يعينوا عليه عدوا، وكتب بينه وبينهم كتابا، وهما نص المعاهدة:

هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لبني ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يجاربوا في دين الله، ما بل بحر صوفه، وإن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله، وذمة رسوله، ولهم النصر على من بر منهم واتقى".

وهذه أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ، غاب خلالها عن المدينة خمس عشرة ليلة وكان اللواء أبيض، وحامله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وكانت غيبته خمس عشرة ليلة<sup>(١)</sup>

### من فوائد الغزوة

١- دليل على معاهدة غير المسلمين على ما فيه مصلحة للطرفين دون جور على أي طرف من الأطراف، ومن هذا يجوز للدول المسلمة أن تبرم المعاهدات مع الدول الغير مسلمة بما يحقق مصلحة لكل دولة بشرط أن لا تكون هذه المعاهدات على حساب الإسلام والدعوة إليه، فأبي معاهدة تمنع الدعوة إلى الإسلام في أي أرض فهي معاهدة باطلة ولا يجوز إبرامها.

(١) المصدر السابق (١٦٣/٣) والرحيق المختوم ص ٢٢٠، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني (ص:



وإذا عاهد المسلمون غير المسلمين فلا يجوز نقض العهد، وإذا وقع ضرر على المسلمين في الآجل من جراء هذه المعاهدة فعليهم أن يخبروا الطرف الآخر بهذه المضرة، فإن أبوا تعديلها، فليخبروهم بعزمهم على نقضها.

٢. حرصه على السلام وليس الحرب وقبوله للموادعة والصلح

٣. تأمين حياة أصحابه من غدر القبائل

٤. إنزال الناس منازلهم؛ فقد وضع سعد بن عباد على المدينة وهو سيد من ساداتها، وجعل الراية بيد حمزة حتى لا يقال أنه يحمي أقاربه.

## ٥. غزوة بواط

خرج رسول الله إلى بواط في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجره [ الموافق سبتمبر عام ٦٢٣ م ]، وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص، وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ، وخرج في مائتين من أصحابه يعترض عيرا لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بواط. وهما جبلان فرعان أصلهما واحد



من جبال جهينة مما يلي طريق الشام وبين بواط والمدينة نحو أربعة برد<sup>(١)</sup> .  
فلم يلق كيدا فرجع<sup>(٢)</sup>

واستخلف على المدينة في هذه الغزوة أبا سلمة بن عبد الأسد  
المخزومي، وكان اللواء في هذه الغزوة أبيض، وحامله حمزة بن عبد المطلب  
رضي الله عنه.

وفي هذه الغزوة كنى رسول الله ﷺ عليًا بأبي تراب، وقصة ذلك أنه  
أرسله وعمار بن ياسر عيونًا على بني مدلج، فنظروا إليهم ساعة، ثم غشيهم  
النوم.

يقول عمار: فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في صور، من  
النخل، وفي دفعاء من التراب قمنا، فوالله ما أهينا إلا رسول الله ﷺ يجرنا  
برجله، وقد تتربنا من تلك الدفعاء التي نمنا فيها فيومئذ قال رسول الله ﷺ  
لعلي بن طالب: "ما لك يا أبا تراب". لما يرى عليه من التراب.

وكان علي رضي الله عنه إذا عتب على فاطمة في شيء لم يكلمها،  
ولم يقل لها شيئًا تكرهه إلا أنه يأخذ ترابًا فيضعه على رأسه، قال: فكان

(١) أي بما يعادل : ٥٥ كيلومتر : وهو جَبَلٌ ضَخْمٌ شَامِحٌ يَضْرِبُ إِلَى الْحُمْرَةِ ، يَقَعُ عَلَى الصَّفَّةِ  
الْيُمْنَى لِوَادِي يَنْبُعُ ، ثُمَّ يُشْرِفُ عَلَى السَّاحِلِ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ شَيْءٌ مِنَ الْأَعْلَامِ ( المعالم الجغرافية

الواردة في السيرة النبوية : ص ٢٩٢ )

(٢) زاد المعاد (٣/٣٦٤)



رسول الله ﷺ إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب علي فاطمة، فيقول له: "ما لك يا أبا تراب"؟<sup>(١)</sup>

### وفيها من الفوائد:

فإذا كان في المرة الأولى قد عين النبي ﷺ سعد بن عبادة فلم ينسى في المرة الأخرى سيدا آخر من سادات المدينة وهو سعد بن معاذ، وبهذا يرفع الضغينة من قلوب أصحابه، ولا يترك مجالاً لشاك أو واشي. ويخرج هو بنفسه تشجيعاً لأصحابه على القتال وتدريباً على ملاقاتة الأعداء.

### ٦. غزوة سفوان

خرج ﷺ على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره [الموافق سبتمبر أيضاً عام ٦٢٣ م]، في سبعين رجلاً من أصحابه يطلب كرز بن جابر الفهري، وحمل لواءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان أيضاً، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وكان كرز قد أغار على مراعي المدينة، ونهب بعض المواشي، وكان يرعى بالحمى، فطلبه رسول الله حتى بلغ وادياً يقال له: سفوان من ناحية بدر، وفاته كرز ولم يلحقه فرجع إلى المدينة دون قتال وهذه الغزوة تسمى بغزوة بدر الأولى لقربها من بدر.<sup>(٢)</sup>

(١) انظر السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني (ص: ٢٤٨)

(٢) زاد المعاد (٣/٣٦٥) السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني (ص: ٢٤٧)



وبهذا كان خروج النبي ﷺ دفاعاً عن المدينة وأموال أهلها من بطش قريش، وفيها أن قريشاً رغم التهديدات التي وصلت إليهم من السرايا والغزوات إلا أن لديهم إصراراً على إيذاء النبي ﷺ وأصحابه

### ٧. غزوة العشيرة أو العشيرة

في جمادى الأولى، وجمادى الآخرة سنة ٢هـ،<sup>(١)</sup> الموافق نوفمبر وديسمبر سنة ٦٢٣هـ، خرج فيها رسول الله ﷺ في خمسين ومائة ويقال: في مائتين، من المهاجرين، واستخلف على المدينة في هذه الغزوة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وكان اللواء أبيض، وحامله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

ولم يكره أحداً على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يتعقبونها، يعترضون عيراً لقريش، ذاهبة إلى الشام، وقد جاء الخبر بفصولها من مكة، فيها أموال لقريش فبلغ ذا العشيرة، فوجد العير قد فاتته بأيام، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام، فصارت سبباً لغزوة بدر الكبرى. وفي هذه الغزوة عقد رسول الله ﷺ معاهدة عدم اعتداء مع بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة. وهكذا النبي ﷺ يبرم المعاهدات تلو المعاهدات لبسط السلام والأمن في المنطقة، وعدم التعرض لإراقة الدماء

(١) وكان خروجه ﷺ في أواخر جمادى الأولى، ورجوعه في أوائل جمادى الآخرة، على ما قاله ابن إسحاق، ولعل هذه هو سبب اختلاف أهل السير في تعيين شهر هذه الغزوة.



فلما كان أثناء الطريق،! ضل سعد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان بغيرا لهما كانا يعتقبانه، فتخلفا في طلبه، وبعد عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زيبا وأدما وتجارة فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان ونوفل: ابنا عبد الله بن المغيرة، والحاكم بن كيسان مولى بني المغيرة، فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم، انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم، ثم أجمعوا على ملاقاتهم، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم، وأفلت نوفل، ثم قدموا بالعيير والأسيرين، وقد عزلوا من ذلك الخمس، وهو أول خمس كان في الإسلام، وأول قتييل في الإسلام، وأول أسيرين في الإسلام.

وأنكر عليهم رسول الله ﷺ ما فعلوا، واشتد تعنت قريش واستنكارهم لذلك، وزعموا أنهم قد وجدوا مقالا؛ فقالوا: قد أحل محمد الشهر الحرام. واشتد على المسلمين ذلك حتى أنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

يقول الحق تبارك وتعالى: هذا الذي أنكرتموه عليهم، وإن كان كبيرا، فما ارتكبتموه أنتم من الكفر بالله، والصد عن سبيله، وعن بيته، وإخراج



المسلمين الذين هم أهله منه، والشرك الذي أنتم عليه، والفتنة التي حصلت منكم به أكبر<sup>(١)</sup>

### ٨ . سرية نخلة:

في رجب سنة ٢ هـ، الموافق يناير سنة ٦٢٤م، بعث رسول الله ﷺ له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه. فسار عبد الله ثم قرأ الكتاب بعد يومين، فإذا فيه: (إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكلة والطائف، فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم). فقال: سمعاً وطاعة، وأخبر أصحابه بذلك، وأنه لا يستكرههم، فمن أحب الشهادة فلينهض، ومن كره الموت فليرجع، وأما أنا فناهض، فنهضوا كلهم، غير أنه لما كان في أثناء الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيداً لهما كانا يعتقبانها، فتخلفا في طلبه.

وسار عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة، فمرت عير لقريش تحمل زيبياً وأدماً وتجاراً، وفيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم ابن كيسان مولى بني المغيرة. فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم، ثم اجتمعوا على اللقاء، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم وأفلت نوفل، ثم قدموا بالعين

(١) عيون الأثر (١/ ٢٦٣)، غزوات النبي ﷺ (ص: ٢٦)



والأسيرين إلى المدينة، وقد عزلوا من ذلك الخمس، وهو أو خمس كان في الإسلام، وأول قتييل في الإسلام، وأول أسيرين في الإسلام. وأنكر رسول الله ﷺ ما فعلوه، وقال: (ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام) وتوقف عن التصرف في العير والأسيرين.

ووجد المشركون فيما حدث فرصة لاتهم المسلمين بأنهم قد أحلوا ما حرم الله، وكثر في ذلك القيل والقال، حتى نزل الوحي حاسماً هذه الأقاويل وأن ما عليه المشركون أكبر وأعظم مما ارتكبه المسلمون: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فقد صرح هذا الوحي بأن الضجة التي افتعلها المشركون لإثارة الريبة في سيرة المقاتلين المسلمين لا مساغ لها، فإن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام، واضطهاد أهله، ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر سلب أموالهم وقتل نبيهم؟ فما الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة، فأصبح انتهاكها معرة وشناعة؟ لا جرم أن الدعاية التي أخذ ينشرها المشركون دعاية تبني على وقاحة ودعارة.



وبعد ذلك أطلق رسول الله ﷺ سراح الأسيرين، أدى دية المقتول إلى أوليائه.<sup>(١)</sup>

وفي هذه السرية تظهر جملة من أخلاق الحرب النبوية:

١. الكتمان في شأن الحرب يساعد على النصر ونجاح المهمة. وهذا ما فعله رسول ﷺ مع عبد الله حين أرسله وأخبره أن لا يفتح الكتاب إلا بعد يومين من ترك المدينة، وبذلك لا يدع مجالا لإفشاء السر
٢. طاعة القائد الأعلى في تنفيذ الأوامر، وهذا ما فعله عبد الله حين لم يسأل النبي ﷺ عن المكان ولا تفاصيل ذلك أولا.
٣. كانت المهمة ترصد العير لا القتال، وقد خالف ذلك الصحابة فغاروا على العير وقتلوا وأسروا
٤. إنكار النبي ﷺ على عبد الله ما فعله من انتهاك حرمة الشهر الحرام حتى ولو كان مع كافر
٥. إطلاق سراح الأسيرين، وإرسال دية القتييل إلى أهله.
٦. حرص عبد الله بن جحش على المشورة فلم يفعل حتى شاور أصحابه.

تحويل القبلة

وفي عام ٢ من الهجرة في شهر شعبان [ فبراير ٦٢٤م ] تم تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام

(١) الرحيق المختوم ص ٢٢١



روى البخاري عن البراء بن عازب: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ . أَوْ قَالَ أَحْوَالِهِ . مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبَلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِّنْ صَلَّى مَعَهُ ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ : أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ ، وَكَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ ، هَذَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا ، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>

وفي هذه الواقعة دليل على أن من صلى لغير القبلة غير عالم بالقبلة فصلاته صحيحة وليس عليه إعادة صلاته إلا إذا كان في وقت الجمع، كمن صلى الظهر لغير القبلة ثم في صلاة العصر علم القبلة فعليه إعادة صلاة الظهر، وكذلك صلاة المغرب، أما من فاتته صلاة يوما كاملا لغير القبلة فما فوق وعلم بعدها بالقبلة فلا إعادة عليه.

(١) البخاري (٥١)



وفيها أيضا امتثال لأمر الله ورسوله دون تردد أو إحراج، وهذا شأن الصحابة رضوان الله عليهم فقد سبقوا غيرهم في قوة يقينهم وسعة امتثالهم للأمر الشرعي فور علمهم به.

### تشريع فريضة صيام شهر رمضان

لما دخل النبي ﷺ المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فأمر

النبي ﷺ بصيامه

فروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياما، يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا، فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله ﷺ، وأمر بصيامه»<sup>(١)</sup>

وروى أيضا عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام يوم عاشوراء، ويحثنا عليه، ويتعاهدنا عنده، فلما فرض رمضان، لم يأمرنا، ولم ينهنا ولم يتعاهدنا عنده»<sup>(٢)</sup>

"وفي شعبان من هذه السنة أوجب الله صوم شهر رمضان على الأمة الإسلامية، وكان عليه الصلاة والسلام قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل

(١) صحيح مسلم (٢/٧٩٦)

(٢) صحيح مسلم (٢/٧٩٤)



شهر. والصيام من دعائم هذا الدين، والفرائض التي بها يتم النظام، فإن الإنسان مجبول على حب نفسه، والسعي فيما يعود عليها بالنفع الخاص، تاركاً ما وراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين، فلا بدّ من وازع يزعجه لحاجات قوم أقعدتهم قواهم عن إدراك حاجاتهم، ولا أقوى من ذوق قوارص الجوع والعطش، إذ بهما تلين نفسه ويتهدب خلقه، فيسهل عليه بذل الصدقات. <sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٥]

(١) نور اليقين ص ١٢٤



## تشريع زكاة الفطر

ومن ثم شرعت زكاة الفطر بعد شرعية الصيام لمراعاة حالة الفقير والمسكين، وهذا مظهر من مظاهر الرحمة في شخصية النبي ﷺ. روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ، وَالْحُرِّ، وَالذَّكْرِ، وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ، وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ"<sup>(١)</sup>.

## تشريع الزكاة العامة في هذا العام

وقد فرض الله سبحانه زكاة المال على القادر على النصاب قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقد ربط الله سبحانه الزكاة بالصلاة في كثير من الآيات فقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦] وحدد النبي ﷺ النصاب وقيمة الزكاة فقد قال ﷺ: «فِيمَا سَقَتْ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا الْعُشْرُ وَمَا سَقِي بِالنُّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ»<sup>(٢)</sup>

(١) البخاري (١٥٠٣)

(٢) البخاري (١٤٨٣) عن عبد الله بن عمر



وقال: «لَيْسَ فِيْمَا دُونَ خُمْسَةِ أَوْسُقٍ مِنَ التَّمْرِ صَدَقَةٌ وَلَيْسَ فِيْمَا دُونَ خُمْسِ أَوْاقٍ مِنَ الْوَرِقِ صَدَقَةٌ وَلَيْسَ فِيْمَا دُونَ خُمْسِ دَوْدٍ مِنَ الْإِبِلِ صَدَقَةٌ»<sup>(١)</sup>

وقد حدد الله تبارك مصارف هذه الزكاة في ثمان مصارف فقال سبحانه:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]

وبهذه الفريضة يكون التكافل الاجتماعي بين طبقات المجتمع، ولو طبق هذا النظام الحكيم لحل كثير من مشاكل البطالة والفقر والجوع وغيرها في المجتمعات أجمع. وهذا من كمال الرحمة بالخلق وبهاتين الفريضتين يكون قد كمل من أركان الإسلام أربعة: الشهادتان، والصلاة، والصيام، والزكاة.

(١) البخاري (١٤٥٩)



## المبحث الثالث غزوة بدر الكبرى

في يوم الجمعة ١٧ رمضان في السنة الثانية من الهجرة - يناير سنة ٦٢٤ م  
ونذكر أحداث الغزوة في اختصار<sup>(١)</sup>

أولا : أحداث الغزوة

### • سبب الغزوة وعدد جيش المسلمين

كان في رمضان من هذه السنة بلغ رسول الله ﷺ خبر العير المقبلة من الشام لقريش صحبة أبي سفيان، وهي العير التي خرجوا في طلبها لما خرجت من مكة، وكانوا نحو أربعين رجلا، وفيها أموال عظيمة لقريش، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وأمر من كان ظهره حاضرا بالنهوض ولم يحتفل لها احتفالا بليغا، لأنه خرج مسرعا في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد بن الأسود الكندي، وكان معهم سبعون بعيرا يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد فكان رسول الله ﷺ وعلي، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، يعتقبون بعيرا، فإذا

(١) أخذنا تفصيل هذه الغزوة من كتاب زاد المعاد لابن قيم الجوزية (١٦٥/٣) مع باقي مراجع السنة والسير باختصار تحريا للصحيح



حانت عقبه النبي - ﷺ - قالوا: اركب ونحن نمشي، فيقول ﷺ: «ما أنتما بأقوى مني، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما»<sup>(١)</sup>

وزيد بن حارثة، وابنه وكبشة موالى رسول الله ﷺ يعقبون بعيرا وأبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، يعقبون بعيرا، واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم، فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن عبد المنذر، واستعمله على المدينة، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، والراية الواحدة إلى علي بن أبي طالب، والأخرى التي للأنصار إلى سعد بن معاذ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة، وسار فلما قرب من الصفراء، بعث بسبس بن عمرو الجهني، وعدي بن أبي الزغباء إلى بدر يتجسسان أخبار العير. وأما أبو سفيان، فإنه بلغه مخرج رسول الله ﷺ وقصده إياه فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة، مستصرخا لقريش بالنفير إلى عيرهم ليمنعوه من محمد وأصحابه وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج فلم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب، فإنه عوض عنه رجلا كان له عليه دين وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي، فلم يخرج معهم منهم أحد، وخرجوا من ديارهم كما قال تعالى: ﴿بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤٧]

وأقبلوا كما قال رسول الله ﷺ بحدهم وحديدهم، تحاده، وتحاد رسوله، وجاءوا

(١) انظر موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان (٣٠٣/٥)



على حرد قادرين، وعلى حمية، وغضب، وحنق على رسول الله ﷺ وأصحابه، لما يريدون من أخذ غيرهم، وقتل من فيها، وقد أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمي، والعبير التي كانت معه فجمعهم الله على غير ميعاد كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِئُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢]

### • رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب<sup>(١)</sup>

عن ابن إسحاق، قال: حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير، قالوا: "رأت عاتكة بنت عبد المطلب فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو الغفاري على قريش بمكة بثلاث ليال، رؤيا فأصبحت عاتكة فأعظمتها، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب، فقالت له: يا أخي لقد رأيت رؤيا الليلة ليدخلن على قومك منها شر وبلاء، فقال: وما هي؟ فقالت: رأيت فيما يرى النائم أن رجلا أقبل على بعير له، فوقف بالأبطح، فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، فأذن الناس

(١) هي عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم عمه النبي ﷺ، كانت زوج أبي أمية بن المغيرة والد أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، قال ابن عبد البر: اختلف في إسلامها، والكثير يأبون ذلك، وذكرها العقيلي في الصحابة كما ذكر ابن حجر ذلك في الإصابة، وقد ذكرها ابن منده في الصحابة، وكذا ابن سعد. [انظر: الإصابة ٤/٣٥٧].



فاجتمعوا إليه، ثم إن بعيره دخل به المسجد واجتمع الناس إليه، ثم مثل به بعيره فإذا هو على رأس الكعبة، فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم أرى بعيره مثل به على رأس أبي قبيس

فقال: انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث، ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت في أسفله ارفضت فما بقيت دار من دور قومك ولا بيت إلا دخل فيه بعضها، فقال العباس: والله إن هذه لرؤيا فاكتميتها

فقلت: وأنت فاكتمها لئن بلغت هذه قريشا ليؤذونا

فخرج العباس من عندها فلقى الوليد بن عتبة، وكان له صديقا فذكر له واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه فتحدث بها، ففشا الحديث فقال العباس: والله إني لغاد إلى الكعبة لأطوف بها، فدخلت المسجد فإذا أبو جهل في نفر من قريش يتحدثون عن رؤيا عاتكة، فقال أبو جهل: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأتنا، قال: فلما فرغت من طوافي أقبلت حتى جلست معهم. فقال أبو جهل: يا أبا الفضل متى حدثت هذه النبوة فيكم فقلت وما ذاك؟ فقال ما رؤيا رأتها عاتكة بنت عبد المطلب؟ أما رضيتم يا بني عبد المطلب أن تتبأ رجالكم حتى تتبأ نساؤكم، سنترى بكم هذه الثلاث التي ذكرت عاتكة، فإن كان حقا فسيكون، وإلا كتبنا عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب، فو الله ما كان إليه مني من كبير إلا أني قد أنكرت ما قالت، وقلت: ما رأيت شيئا ولا سمعت بهذا، فلما أمسيت لم تبق



امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني، فقلن: صبرتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع فلم يكن عندك في ذلك غير، فقلت: قد والله صدقتن وما كان عندي في ذلك من غير إلا أي قد أنكرت ما قالت، ولأتعرضن له فإن عاد لأكفينه، فغدوت إلى اليوم الثالث أتعرض ليقول لي شيئاً فأشاتمته، فو الله إني لمقبل نحوه وكان رجلاً حديد الوجه، حديد النظر، حديد اللسان إذ ولى نحو باب المسجد يشتد، فقلت في نفسي اللهم العنه.

كل هذا فرقا أن أشاتمته وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو واقف بعيه بالأبطح قد حول رحله وشق قميصه وجدع بعيه يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة<sup>(١)</sup>، أموالكم مع أبي سفيان، وتجارتم قد عرض لها محمد وأصحابه، فالغوث الغوث، فشغله ذلك عني وشغلني عنه، فلم يكن إلا الجهاز حتى خرجنا، فأصاب قريشا ما أصابها يوم بدر: من قتل أشرافهم، وأسر خيارهم فقالت عاتكة بنت عبد المطلب فيما رأت وما قالت قريش في ذلك:

ألم تكن الرؤيا بحق وجاءكم.. .. بتصديقها فل من القوم هارب  
فقلتم- ولم أكذب- كذبت وإنما.. .. يكذبنا بالصدق من هو كاذب

(١) اللطيمة: الجمال التي تحمل العطر والبنز غير الميرة، ولطائم المسك أو عيشه.



وذكر لها أبو عبد الله في كتاب المغازي قصيدة طويلة<sup>(١)</sup>

**أبوسفیان يرسل إلى قريش لطلب النجدة وتحقق رؤيا عاتكة**

وعن عروة بن الزبير قال: "سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان بن حرب في أربعين راكبا من قريش، تجارا قافلين من الشام، فيهم: مخزومة بن نوفل، وعمرو بن العاص، فخرج رسول الله ﷺ فتكلم، فقال: «إن لنا طلبية<sup>(٢)</sup> فمن كان ظهره<sup>(٣)</sup> حاضرا فليركب معنا»، فجعل رجال يستأذنونهم في ظهراتهم<sup>(٤)</sup> في علو المدينة فقال: «لا، إلا من كان ظهره حاضرا» وفي رواية: "فندب رسول الله ﷺ المسلمين، وقال لهم: «هذا أبو سفيان قافلا بتجارة قريش، فاخرجوا لها، لعل الله - عز وجل - ينفلكموها»، فخرج رسول الله ﷺ " والمسلمون، فخف معه رجال، وأبطأ آخرون) (وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربا) (إنما كانت ندبة لمال يصيرونه، لا يظنون أن يلقوا حربا، (فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب ونيف"، وأكثر أصحابه

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٢٩-٣١) والحاكم في المستدرک (٣/١٩) وفيها حسين بن عبد الله هو ضعيف إلا أن الرؤيا أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/٣٤٦) من حديث ابن لهيعة مرسلا وفيه ضعف لاختلافه، وقدر واهما ابن هشام في السيرة (١/٦٠٧) وقال: قال ابن إسحاق: فأخبرني لا أنهم عن عكرمة عن ابن عباس، ويزيد ابن رومان، عن عروة بن الزبير، قال: وقد رأيت عاتكة بنت عبد المطلب. اهـ فالقصة من قبيل المقبول

(٢) طلبية: طلب نزيده

(٣) ظهره: أي دابة يركب على ظهرها

(٤) ظهراتهم: دوابهم ليركبوها



مشاة، معهم ثمانون بعيرا، و فرس، و يزعم بعض الناس أنه للمقداد " فخرج رسول الله ﷺ وكان بينه، وبين علي، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، بعير، فخرج رسول الله ﷺ من نقب بني دينار، من الحرة على العقيق، فذكر طريقه، حتى إذا كان بعرق الظبية، لقي رجلا من الأعراب، فسأله عن الناس، فلم يجدوا عنده خيرا "، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار (ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفا على أموال الناس، حتى أصاب خيرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك) (فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى قريش يستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم سريعا حتى قدم على قريش بمكة، وقال: يا معشر قريش، اللطيمة قد عرض لها محمد في أصحابه - واللطيمة هي التجارة - الغوث الغوث<sup>(١)</sup> وما أظن أن تدركوها، فقالت قريش: أيعظن محمد وأصحابه أنها كائنة كعير ابن الحضرمي؟، فخرجوا على الصعب والذلول<sup>(٢)</sup> ولم يتخلف من أشرفها أحد، إلا أن أبا لهب قد تخلف، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، فخرجت قريش وهم تسعمائة وخمسون مقاتلا، ومعهم مائتا فرس يقودونها، وخرجوا معهم

(١) الغوث الغوث: أي أغيثوا تجارتكم من الاعتداء عليها

(٢) أصل الصعب والذلول في الإبل، فالصعب: العسر المرغوب عنه، والذلول: السهل الطيب المحبوب

، المرغوب فيه. شرح النووي (١ / ١٥)



بالقيان<sup>(١)</sup> يضرين بالدف، ويتغنين بهجاء المسلمين<sup>(٢)</sup> - ثم ذكر أسماء المطعمين منهم، وذكر رجوع طالب بن أبي طالب - حتى إذا كانوا بالجحفة، رأى جهيم بن الصلت رؤيا، فبلغت أبا جهل، فقال: وهذا نبي آخر من بني عبد المطلب، وذلك أنه رأى أن راكبا أقبل على قريش معه بعير له، حتى وقف على العسكر، فقال: قتل فلان، وفلان، وفلان، - يعدد رجالا من أشرف قريش، ممن قتل يوم بدر - ثم طعن في لبة بعيره<sup>(٣)</sup> ثم أرسله في العسكر، فلم يبق خباء<sup>(٤)</sup> من أخبية قريش إلا أصابه دمه، " ومضى رسول الله ﷺ على وجهه ذلك - فذكر مسيره - حتى إذا كان قريبا من الصفراء، بعث بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين، يلتمسان الخبر عن أبي سفيان "، فانطلقا حتى وردا بدرا، فأناخا بعيريهما إلى تل من البطحاء، واستقيا في شن لهما من الماء، فسمعا جاريتين تقول إحداهما لصاحبتها: إنما تأتي العير غدا، فلخص بينهما مجدي بن عمرو، وقال: صدقت، فسمع ذلك بسبس وعدي، فجلسا على بعيريهما حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه الخبر.

وأقبل أبو سفيان حين وليا وقد حذر، فتقدم أمام عيره، فقال لمجدي بن عمرو: هل أحسست على هذا الماء من أحد تنكره؟

(١) القيان: المغنيات، جمع قينة

(٢) أي بسب المسلمين والتحريض عليهم

(٣) اللبة: موضع الذبح، واللهمزة التي فوق الصدر.

(٤) الخباء: الخيمة، وهو كناية عن المصيبة أصابت كل بيوت قريش من أصغرها إلى أكبرها



قال: لا والله، إلا أني قد رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل، فاستقيا في شن لهما ثم انطلقا، فجاء أبو سفيان مناخ بعيريهما، فأخذ من أبعارهما وفتته، فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائف يشرب، ثم رجع سريعا، فضرب وجهه عيره، فانطلق بها مساحلا<sup>(١)</sup> حتى إذا رأى أن قد أحرز عيره، بعث إلى قريش أن الله قد نجى عيركم وأموالكم ورجالكم فارجعوا<sup>(٢)</sup>

### • أبوجهل يعاند فلم يرجع وترجع بنو زهرة

غير أبو سفيان طريقه فلحق بساحل البحر ولما رأى أنه قد نجأ، وأحرز العير كتب إلى قريش: أن ارجعوا، فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم فأتاهم الخبر وهم بالتحفة فهموا بالرجوع فقال أبو جهل: فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نأتي بدرا - وكانت بدر سوقا من أسواق العرب - فنقيم بها ثلاثا، فنطعم بها الطعام، ونحمر بها الجزر، ونسقي بها الخمر، وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا، فلا يزالون يهابوننا بعدها أبدا، فأشار الأحنس بن شريق عليهم بالرجوع فعصوه، فقال الأحنس بن شريق: يا معشر بني زهرة، إن الله قد نجى أموالكم، ونجى صاحبكم، فارجعوا، فأطاعوه، فرجعت زهرة فلم يشهدوها ولا بني عدي بن كعب.

(١) مساحلا: أي أخذ بها طريق ساحل البحر

(٢) انظر الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٩ / ٢١١) لصهيب عبد الجبار



رجع الأخنس بن شريق وبنو زهرة، فلم يشهد بدرا زهري فاغتبطت بنو زهرة بعد برأي الأخنس فلم يزل فيهم مطاعا معظما، وأرادت بنو هاشم الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لا تفارقنا هذه العصاة حتى نرجع فساروا، وسار رسول الله ﷺ حتى نزل عشيا أدنى ماء من مياه بدر.

وسار المشركون سراعا يريدون الماء وبعث عليا وسعدا والزبير إلى بدر يلتمسون الخير فقدموا بعبدين لقريش، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فسألهما أصحابه من أنتما؟ قالوا: نحن سقاة لقريش، فكره ذلك أصحابه وودوا لو كانا لغير أبي سفيان فلما سلم رسول الله ﷺ قال لهما: أخبراني أين قريش؟ قالوا: وراء هذا الكثيب. فقال كم القوم؟ فقالوا: لا علم لنا، فقال: كم ينحرون كل يوم؟ فقالوا: يوما عشرا، ويوما تسعا، فقال رسول الله ﷺ: القوم ما بين تسعمائة إلى الألف.

وارتحل رسول الله ﷺ حتى إذا كان ببعض وادي ذفار، نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم

#### ● النبي ﷺ يشاور أصحابه

ولما بلغ رسول الله ﷺ خروج قريش، استشار أصحابه فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثانيا، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثالثا، الأنصار أنه يعينهم فبادر سعد بن معاذ، فقال يا رسول الله ﷺ كأنك تعرض بنا؟ وكان إنما يعينهم لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم فلما عزم على الخروج استشارهم ليعلم ما عندهم



فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده؛ لو أمرتنا أن نخيضها البحر لخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا

وروى مسلم عن أنس، أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر، فأعرض عنه، ثم تكلم عمر، فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة، فقال: إيانا تريد يا رسول الله؟ والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله ﷺ الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدرا، ووردت عليهم روايا قريش، وفيهم غلام أسود لبني الحجاج، فأخذوه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان، وأصحابه، فيقول: ما لي علم بأبي سفيان، ولكن هذا أبو جهل، وعتبة، وشيبة، وأمية بن خلف، فإذا قال ذلك ضربه، فقال: نعم، أنا أخبركم، هذا أبو سفيان، فإذا تركوه فسألوه، فقال ما لي بأبي سفيان علم، ولكن هذا أبو جهل، وعتبة، وشيبة، وأمية بن خلف، في الناس، فإذا قال هذا أيضا ضربه، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فلما رأى ذلك انصرف، قال: «والذي نفسي بيده، لتضربوه إذا صدقكم، وتتركوه إذا كذبكم»، قال، فقال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع فلان»، قال: ويضع يده



على الأرض «هاهنا، هاهنا»، قال: فما ماظ أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>

• لن استعين بمشرك

عن عائشة، زوج النبي ﷺ أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك ، وأصيب معك

قال له رسول الله ﷺ: «تؤمن بالله ورسوله؟»

قال: لا

قال: «فارجع، فلن أستعين بمشرك»

قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة

قال: «فارجع، فلن أستعين بمشرك»

قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: «تؤمن بالله ورسوله؟»

قال: نعم

فقال له رسول الله ﷺ: «فانطلق»<sup>(١)</sup>

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٤٠٣)



• الحباب بن المنذر ورأيه في المكان الذي يجب أن يكونوا فيه  
 سُرَّ رسول الله ﷺ بما قال سعد بن عبادة، ثم قال رسول الله ﷺ:  
 «سيروا وأبشروا، فإن الله - عز وجل - قد وعدني إحدى الطائفتين، والله  
 لكأني أنظر الآن مصارع القوم»، فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه.  
 ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي، والقلب بيدر في العدوة  
 الدنيا من بطن التل إلى المدينة، وأرسل الله السماء، وكان الوادي دهسا  
 فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبد لهم الأرض، ولم يمنعهم من  
 المسير، وأصاب قريشا منها ما لم يقدرُوا أن يرتحلوا معه، " فسار رسول الله  
 ﷺ ييادهم إلى الماء حتى نزل بدرًا، فسبق قريشا إليه، فلما جاء أدنى ماء  
 من بدر نزل عليه "  
 فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله، منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتعدها  
 ولا نقصر عنه؟، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟،  
 فقال رسول الله ﷺ: « بل هو الرأي والحرب والمكيدة »، فقال الحباب: يا  
 رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، ولكن انهض حتى تجعل القلب كلها من وراء  
 ظهرك، ثم غور كل قلب بها، إلا قليبا واحدا، ثم احفر عليه حوضا، فنقاتل  
 القوم، فنشرب ولا يشربون، حتى يحكم الله بيننا وبينهم

(١) انظر صحيح مسلم (٣/ ١٤٤٩)



فقال: " قد أشرت بالرأي، ففعل ذلك، فغورت القلب، وبني حوضا على القليب الذي نزل عليه "، فملئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية، فإذا هم بروايا قريش وفيهم عبد أسود لبني الحجاج، فأخذه أصحاب رسول الله ﷺ فجعلوا يسألونه: أين أبو سفيان؟، فيقول: والله مالي بشيء من أمره علم، ولكن هذه قريش قد جاءت، فيهم أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأمّية بن خلف، فإذا قال لهم ذلك ضربه، فيقول: دعوني، دعوني أخبركم ، فإذا تركوه قال: والله مالي بأبي سفيان من علم، ولكن هذه قريش قد أقبلت ، فيهم أبو جهل، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأمّية بن خلف، قد أقبلوا في الناس، فإذا قال هذا أيضا ضربه، " - ورسول الله ﷺ قائم يصلي وهو يسمع ذلك - فلما انصرف قال: «والذي نفسي بيده إنكم لتضربونه إذا صدقكم، وتدعونه إذا كذبكم، هذه قريش قد أقبلت لتمنع أبا سفيان، كم الناس؟»،

قالوا: كثير ما ندري ما عددهم

قال: «كم ينحرون كل يوم؟»

قالوا: يوما عشرا، ويوما تسعا

فقال رسول الله ﷺ: « القوم بين الألف والتسع مائة»، ثم قال لهما رسول

الله ﷺ: «من فيهم من أشرف قريش؟»،

فقالا: عتبة، وشيبة - وذكرنا صناديدهم "

ثم أقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ

كبدها»



قال أنس: وإن رسول الله ﷺ ليرينا مصارعهم، فقال: «هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله»<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكٍ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَكُهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)﴾ [الأنفال: ٤١]

ينزل المطر تشبيها للمؤمنين وإرعابا للكافرين

فأنزل الله عز وجل في تلك الليلة مطرا واحدا، فكان على المشركين وابلا شديدا؛ منعهم من التقدم، وكان على المسلمين طلا، طهرهم به،

(١) انظر الجامع الصحيح للسنن والمسائيد (٤١١ / ١٤)



وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض، وصلب به الرمل، وثبت الأقدام، ومهد به المنزل، وربط به على قلوبهم.

قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّبُكُمُ النَّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]

وعن علي رضي الله عنه قال لما كان ليلة بدر أصابنا من الليل طش ومطر فانطلقنا تحت الشجر والحجر نستظل تحتها وبات رسول الله ﷺ بها وهو يدعو فلما طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله<sup>(١)</sup>

### ليلة بدر الكل نيام إلا رسول الله ﷺ

عن علي رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا ليلة بدر وما منا إنسان إلا نائم إلا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح وما كان منا فارس يوم بدر غير المقداد بن الأسود<sup>(٢)</sup>

وفي رواية: لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا أحد إلا نائم إلا النبي ﷺ فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو ويكي حتى أصبح وما كان فينا فارس إلا المقداد<sup>(٣)</sup>

(١) الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٦٧٨) وسنده صحيح غير عن عنة أبي اسحاق

(٢) مسند أحمد بن حنبل (١/ ١٣٨) وسنده صحيح

(٣) أخرجه الطيالسي (١/ ١٨)، رقم (١١٦)، وأبو يعلى (١/ ٢٦٠)، رقم (٣٠٥)، وابن خزيمة

(٢/ ٥٢)، رقم (٨٩٩)، وابن حبان (٦/ ٣٢)، رقم (٢٢٥٧)،



• عريشا لرسول الله ﷺ ويدعو الله طلبا للنصر

فسبق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى الماء فنزلوا عليه شطر الليل وصنعوا الحياض ثم غوروا ما عداها من المياه ونزل رسول الله ﷺ وأصحابه على الحياض. وبني لرسول الله ﷺ عريش يكون فيها على تل؛ يشرف على المعركة، ومشى في موضع المعركة، وجعل يشير بيده هذا: مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان إن شاء الله، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته.

عن عبد الله بن عباس، قال: حدثني عمر بن الخطاب، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، مادًا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَعِينُونَ رَبُّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] <sup>(١)</sup>

(١) انظر صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٣)



قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: شهدت من المقداد الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال لا نقول كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره. يعني قوله<sup>(١)</sup>

• وجاء العون من الله

واستنصر المسلمون الله واستغاثوه وأخلصوا له وتضرعوا إليه فأوحى الله إلى ملائكته: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، وأوحى الله إلى رسوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]<sup>(٢)</sup>

• أبوجهل يسوق قومه إلى هلاكهم

بات رسول الله ﷺ يصلي إلى جذع شجرة هناك وكانت ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية فلما أصبحوا، أقبلت قريش في كتابها، واصطف الفريقان فمشى حكيم بن حزام، وعتبة بن ربيعة في قريش، أن يرجعوا ولا يقاتلوا، فأبى ذلك أبو جهل، وجرى بينه وبين عتبة

(١) انظر صحيح البخاري (٤ / ١٤٥٦)

(٢) قرئ بكسر الدال وفتحها، فقليل المعنى إنهم ردف لكم. وقيل يردف بعضهم بعضاً أرسلوا لم يأتوا دفعة واحدة.



كلام أحفظه وأمر أبو جهل أخا عمرو بن الحضرمي أن يطلب دم أخيه عمرو، فكشف عن إسته وصرخ واعمره، فحمي القوم ونشبت الحرب وعدل رسول الله ﷺ الصفوف ثم رجع إلى العريش هو وأبو بكر خاصة وقام سعد بن معاذ في قوم من الأنصار على باب العريش يحمون رسول الله ﷺ.

### • عتبة بن ربيعة يدعو قريش للرجوع وعدم الحرب

قال رسول الله ﷺ: «إن يكن في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر»، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال ويقول لهم: يا قوم، إني أرى قوماً مستميتين، لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم، اعصبوها اليوم برأسي وقولوا: حبن عتبة بن ربيعة! وقد علمتم أني لست بأجبنكم، فسمع ذلك أبو جهل فقال: أنت تقول هذا، والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته، قد ملأت رئثك جوفك رُعبًا، فقال عتبة: إياي تُعير يا مُصَفَّرَ إسته؟ ستعلم اليوم أينا الجبان. <sup>(١)</sup>

### • طلب المبارزة

وخرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، يطلبون المبارزة فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار: عبد الله بن رواحة، وعوف ومعوذ ابنا عفراء، فقالوا لهم من أنتم؟ فقالوا: من الأنصار.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧/٢) وسنده صحيح



فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بني عمنا من بني عبد المطلب فقال رسول الله ﷺ: «قم يا علي، وقم يا حمزة، وقم يا عبيدة بن الحارث بن المطلب»،<sup>(١)</sup> فبرز إليهم علي وعبيدة بن الحارث وحمزة، فقتل علي قرنه الوليد وقتل حمزة قرنه عتبة وقيل شيبية واختلف عبيدة وقرنه ضربتين فكر علي وحمزة على قرن عبيدة فقتلاه واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله فلم يزل ضمنا حتى مات بالصفراء وكان علي يقسم بالله لنزلت هذه الآية فيهم: ﴿هَذَا نِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]

#### • اشتداد القتال

ثم حمي الوطيس، واستدارت رحى الحرب، واشتد القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهال ومناشدة ربه عز وجل حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق وقال: بعض مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك

فأغفى رسول الله ﷺ إغفاءة واحدة، وأخذ القوم النعاس في حال الحرب، ثم رفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: «أبشر يا أبا بكر؛ هذا جبريل على ثناياه النقع»، وجاء النصر، وأنزل الله جنده، وأيد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسرا وقتلا، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين.

(١) انظر مسند أحمد (٢/ ١٧)



• وخاب ظن المنافقون

ولما رأى المنافقون ومن في قلبه مرض قلة حزب الله وكثرة أعدائه ظنوا أن الغلبة إنما هي بالكثرة وقالوا: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩]، فأخبر سبحانه أن النصر بالتوكل عليه لا بالكثرة ولا بالعدد والله عزيز لا يغالب حكيم ينصر من يستحق النصر وإن كان ضعيفا، فعزته وحكمته أوجبت نصر الفئة المتوكلة عليه.

• استشهاد عمير بن الحمام

ولما دنا العدو وتواجه القوم قام رسول الله ﷺ في الناس فوعظهم وذكرهم بما لهم في الصبر والثبات من النصر والظفر العاجل وثواب الله الآجل وأخبرهم أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد في سبيله فقام عمير بن الحمام، فقال: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: نعم.

قال: بخ بخ يا رسول الله

قال: ما يحملك على قولك بخ بخ؟

قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها،

قال: فإنك من أهلها

قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم



قال: لئن حيينت حتى أكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قتل. فكان أول قتيل

### ● وما رميت إذ رميت

وأخذ رسول الله ﷺ ملء كفه من الحصباء فرمى بها وجوه العدو فلم تترك رجلا منهم إلا ملأت عينيه وشغلوا بالتراب في أعينهم وشغل المسلمون بقتلهم فأنزل الله في شأن هذه الرمية على رسوله ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] وقد ظن طائفة أن الآية دلت على نفي الفعل عن العبد وإثباته لله وأنه هو الفاعل حقيقة وهذا غلط منهم. ومعنى الآية أن الله سبحانه أثبت لرسوله ابتداء الرمي ونفى عنه الإيصال الذي لم يحصل برميته فالرمي يراد به الحذف والإيصال فأثبت لنبيه الحذف ونفى عنه الإيصال.

### ● مشاركة الملائكة

وكانت الملائكة يومئذ تبادر المسلمين إلى قتل أعدائهم قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس فوقه يقول أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة



السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة<sup>(١)</sup>

وقال أبو داود المازني: إني لأتبع رجلا من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري. وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيرا، فقال العباس إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجها، على فرس أبلق ما أراه في القوم فقال الأنصاري أنا أسرته يا رسول الله فقال اسكت فقد أيدك الله بملك كريم وأسر من بني عبد المطلب ثلاثة العباس وعقيل ونوفل بن الحارث.

### • مصرع أبي جهل فرعون الأمة على يد غلامين

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: إني لواقفٌ يوم بدر في الصف، نظرتُ عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما، تمنيت لو كنت بين أضلعٍ منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، وما حاجتك يا ابني أخي؟

قال: بلغني أنه سبَّ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لو رأيته لم يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعرجُ منّا، قال: فغمزني الآخرُ فقال لي مثلاًها، قال: فتعجبت لذلك، قال: فلم أنشِبْ أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت لهما: ألا تريان! هذا صاحبكما الذي تسألان عنه،

(١) انظر صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٤)



فابتدراه، فاستقبلهما، فضرباه حتى قَتَلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله - ﷺ -  
 فأخبراه، فقال: «أيكما قَتَله؟»  
 فقال كل واحد منهما: أنا قَتَلتُه،  
 قال: «هل مسحتما سيفيكما؟»  
 قالوا: لا،

فنظر رسول الله ﷺ في السيفين

فقال: «كلاكما قتلته»، وقَضَى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجُمُوح، وهما معاذ  
 بن عمرو بن الجُمُوح ومعاذ ابن عَفْرَاء. <sup>(١)</sup>

وفي رواية البخاري : إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني  
 وعن يساري فتیان حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرا  
 من صاحبه يا عم أرني أبا جهل فقلت يا ابن أخي وما تصنع به؟  
 قال عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه فقال لي الآخر سرا من  
 صاحبه مثله قال فما سرني أني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشددا  
 عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء <sup>(٢)</sup>  
 فالذين قتلوا أبا جهل هم الثلاثة : ابني عفراء معاذ ومعوذ ، ومعهم معاذ  
 بن عمرو بن الجموح

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣١٤) بإسناد صحيح

(٢) انظر صحيح البخاري (٤/ ١٤٦٤)



## ابن مسعود يجهز على أبي جهل

ولما بردت الحرب وولى القوم منهزمين قال رسول الله ﷺ من ينظر لنا ما صنع أبو جهل؟

" فانطلق ابن مسعود، فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد وأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل؟ فقال لمن الدائرة اليوم؟

فقال: لله ولرسوله وهل أخزأك الله يا عدو الله؟

فقال: وهل فوق رجل قتله قومه؟

فقتله عبد الله ثم أتى النبي ﷺ فقال: قتلته

فقال الله الذي لا إله إلا هو فرددها ثلاثا، ثم قال الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده انطلق أرنيه " فانطلقنا فأربرته إياه فقال سس هذا فرعون هذه الأمة

وروى أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: "أدرکت أبا جهل يوم بدر صريعا، فقلت: أي عدو الله قد أخزأك الله تعالى.

قال: وبم أخزاني وهل أعمد من رجل قلتموه، ومعى سيف لي فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء، ومعى سيف له جيد، فضربت يده قوقع السيف من يده، فأخذته ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «الله الذي لا إله إلا هو» قلت: آله الذي لا إله إلا هو.

قال: «انطلق فاستبثت»، فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك، فأخبرته.



فقال رسول الله ﷺ: «انطلق» فانطلقت معه، فأرثته. فلما وقف عليه

ﷺ قال: «هذا فرعون هذه الأمة»<sup>(١)</sup>

### ● قتل أمية بن خلف وابنه

وأسر عبد الرحمن بن عوف أمية بن خلف وابنه عليا، فأبصره بلال وكان أمية يعذبه بمكة فقال: رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا، ثم استوخى جماعة من الأنصار، واشتد عبد الرحمن بهما يحرزهما منهم فأدركوهم فشغلهم عن أمية بابنه ففرغوا منه ثم لحقوها، فقال له عبد الرحمن: ابرك فبرك، فألقى نفسه عليه، فضربوه بالسيوف من تحته حتى قتلوه، وأصاب بعض السيوف رجل عبد الرحمن بن عوف، قال له أمية قبل ذلك من الرجل المعلم في صدره بريشة نعامة؟ فقال: ذلك حمزة بن عبد المطلب، فقال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل وكان مع عبد الرحمن أذراع قد استلبها، فلما رآه أمية قال له: أنا خير لك من هذه الأذراع فألقاها، وأخذه فلما قتله الأنصار، كان يقول يرحم الله بلالا، فجعني بأذراعي وبأسيري.

### ● حربة الزبير وقتل المدجج بالسلاح

ولقي الزبير عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مدجج في السلاح لا يرى منه إلا الحدق فحمل عليه الزبير بحرته قطعنه في عينه فمات فوضع رجله على الحربة ثم تمطى، فكان الجهد أن نزعها، وقد انثنى طرفاها، قال

(١) مسند أحمد (٧/ ٢٧٨) وفيه انقطاع



عروة فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه إياها، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها، ثم طلبها عثمان فأعطاه إياها، فلما قبض عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير، وكانت عنده حتى قتل.

### • وقوفه ﷺ على القتلى يخاطبهم متأسفا عليهم

ولما انقضت الحرب أقبل رسول الله ﷺ حتى وقف على القتلى فقال  
بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني، وصدقتي الناس وخذلتموني ونصرني  
الناس وأخرجتموني وآواني الناس ثم أمر بهم فسحبوا إلى قليب من قلب بدر،  
فطرحوا فيه ثم وقف عليهم فقال يا عتبة بن ربيعة ويا شيبه بن ربيعة، ويا  
فلان ويا فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا، فإني وجدت ما وعدني ربي  
حقا

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا؟  
فقال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون  
الجواب ثم أقام رسول الله ﷺ بالعرضة ثلاثا، وكان إذا ظهر على قوم أقام  
بعرضتهم ثلاثا.



• رجوعه ﷺ من بدر

ثم ارتحل مؤيدا منصورا، قزير العين بنصر الله له ومعه الأسارى والمغانم فلما كان بالصفراء، قسم الغنائم وضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة، ثم لما نزل بعرق الظبية، ضرب عنق عقبة بن أبي معيط. ودخل النبي ﷺ المدينة مؤيدا مظفرا منصورا قد خافه كل عدو له المدينة وحولها، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه في الإسلام ظاهرا. واستشهد من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلا: ستة من المهاجرين وستة من الخزرج، واثنان من الأوس

• أسرى بدر ورحمة النبي ﷺ

قال ابن عباس فقتلوا يومئذ سبعين، وأسروا سبعين، قال أبو زميل، قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر، وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟»

فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟»

قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيبا لعمر، فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها



فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان  
قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما  
فقال رسول الله ﷺ: « أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة - شجرة قريبة من نبي الله ﷺ - وأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩) ﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩] <sup>(١)</sup>

(١) قال الشيخ السعدي في تفسيره :

هذه معاتبة من الله لرسوله وللمؤمنين يوم { بدر } إذ أسروا المشركين وأبقوهم لأجل الفداء.. وكان رأي: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذه الحال، قتلهم واستئصالهم.  
فقال تعالى: { مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ } أي: ما ينبغي ولا يليق به إذا قاتل الكفار الذين يريدون أن يطفئوا نور الله ويسعوا لإخماد دينه، وأن لا يبقى على وجه الأرض من يعبد الله، أن يتسرع إلى أسرهم وإبقائهم لأجل الفداء الذي يحصل منهم، وهو عرض قليل بالنسبة إلى المصلحة المقتضية لإبادتهم وإبطال شهرهم.. فما دام لهم شر وصوله، فالأوفق أن لا يؤسروا.  
فإذا أثنخوا، وبطل شهرهم، واضمحل أمرهم، فحينئذ لا بأس بأخذ الأسرى منهم وإبقائهم.  
يقول تعالى: { تُرِيدُونَ } بأخذكم الفداء وإبقائهم { عَرَضَ الدُّنْيَا } أي: لا لمصلحة تعود إلى دينكم.



فأحل الله الغنيمة لهم»<sup>(١)</sup>

تكلم الناس في أي الرأيين كان أصوب؟ فرجحت طائفة: قول عمر لهذا الحديث، ورجحت طائفة: قول أبي بكر لاستقرار الأمر عليه، وموافقته الكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم، وموافقته الرحمة التي غلبت الغضب، ولتشبيهه النبي ﷺ له في ذلك بإبراهيم وعيسى، وتشبيهه لعمر بنوح وموسى، ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى، ولخروج من خرج من أصلاهم من المسلمين، ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء، وموافقة رسول الله ﷺ لأبي بكر أولاً، وموافقة الله له آخراً حيث استقر الأمر على رأيه، ولكمال نظر الصديق، فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخراً، وغلب جانب الرحمة على جانب العقوبة.

قالوا: وأما بكاء النبي ﷺ فإنما كان رحمة لنزول العذاب لمن أراد بذلك عرض الدنيا، ولم يرد ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر وإن أراد به بعض

{وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} بإعزاز دينه، ونصر أوليائه، وجعل كلمتهم عالية فوق غيرهم، فيأمركم بما يوصل إلى ذلك.

{وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} أي: كامل العزة، ولو شاء أن ينتصر من الكفار من دون قتال لفعّل، لكنه حكيم، يتلى بعضكم ببعض.

{لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ} به القضاء والقدر، أنه قد أحل لكم الغنائم، وأن الله رفع عنكم - أيها الأمة - العذاب {لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} وفي الحديث: {لو نزل عذاب يوم بدر، ما نجنا

منه إلا عمر} [تفسير السعدي (ص: ٣٢٦)]

(١) انظر صحيح مسلم (٣/ ١٣٨٥)



الصحابة، فالفتنة كانت تعم، ولا تصيب من أراد ذلك خاصة، كما هزم  
العسكر يوم حنين بقول أحدهم " لن نغلب اليوم من قلة "، وبإعجاب  
كثرتهم لمن أعجبتهم منهم، فهزم الجيش بذلك فتنة، ومحنة، ثم استقر الأمر  
على النصر والظفر والله أعلم.

واستأذنه الأنصار أن يتركوا للعباس عمه فداءه فقال: " لا تدعوا منه درهما  
واستوهب من سلمة بن الأكوع جارية نفله إياها أبو بكر في بعض فوهبها له  
فبعث بها إلى مكة، ففدى بها ناسا من المسلمين وفدى رجلين من المسلمين  
برجل من عقيل ورد سبي هوازن عليهم بعد القسمة، واستطاب قلوب الغانمين  
فطيسوا له وعوض من لم يطيب من ذلك بكل إنسان ست فرائض وقتل عقبة  
بن أبي معيط من الأسرى، وقتل النضر بن الحارث لشدة عداوتهما لله  
ورسوله.

وذكر الإمام أحمد عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى لم يكن لهم  
مال، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة وهذا  
يدل على جواز الفداء بالعمل كما يجوز بالمال.

### جمع الغنائم وتوزيعها :

عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرا  
فالتقى الناس فهزم الله العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يطاردون ويقتلون  
وأكبت طائفة على المغنم يجرزونه ويجمعونه وأحدقت ( أي أحاطت ) طائفة  
برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء ( أي رجع )



الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها وليس لأحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم أحق بها منا نحن نحينا منها العدو وهزمناه وقال الذين أهدقوا برسول الله ﷺ : خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به

فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١] فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين<sup>(١)</sup>

ثانيا : بعض ما يستفاد من الغزوة من دروس وعبر

في غزوة بدر جملة من المسائل منها :

١- تأمين الدولة داخليا وخارجيا من واجبات الحاكم، فتأمينها داخليا باستتباب الأمن فيها وفض النزاعات بين الناس وفصل الخصومات والأخذ على يد الظالم، وخارجيا بتهديد كل من تسول له نفسه بالإضرار بأمن البلاد، ولو أدى ذلك إلى الانتقال إلى مكان صاحب التهديد والخروج خارج حدود الدولة (وهو ما يعبر عنه في الواقع المعاصر: بالأمن القومي) وهذا ما كان يفعله النبي ﷺ، فقد أقام المعاهدات بين المسلمين واليهود وآخى بين المسلمين، ووجد صفوف الناس، ولم يفضل طائفة على أخرى، ثم هو

(١) أخرجه ابن حبان (١١ / ١٩٣)، وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني في فقه السيرة للغزالي



يرسل السرايا إلى خارج المدينة لتهديد قريش لكفها عن مواصلة العداء للمسلمين.

٢- كل شيء بقدر، وعلى المرء المسلم أن يواجه ما يصادفه بالاستعداد له والحذر والحيلة والمشورة مع ميزان المصالح والمفاسد.  
فلم يكن النبي ﷺ قد خرج وفي حسابانه قتال مكة؛ بل الأمر كان أقل من ذلك؛ ولكن عندما فرض الأمر الواقع عليه رضي بذلك وواجه الأمر وفقا لما أراد الله تعالى.

قال تعالى : ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]

٣- العقد شريعة المتعاقدين: فالنبي ﷺ لم يكن بايع أهل المدينة من الأنصار على أن يقاتلوا معه، ولم يخرجهم من المدينة لأجل القتال، فلما وقع الأمر استشارهم ليخبرهم، وهذا غاية في الأخلاق في عدم إحراج الغير على ما لا يريدونه

٤- بينت غزوة قوة إيمان الصحابة رضي الله عنهم وأنهم لا غاية لهم في الحياة إلا رضی الله تعالى والفوز بجنته



٥- بينت علم بعض الصحابة بالأمم السابقة كما قال المقداد بن الأسود للنبي ﷺ: « لا نقول كما قال قوم موسى؛ اذهب أنت وريك فقاتلا ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك»

٦- قوة الإيمان تغلب قوة الجسد، فإن ثلاثة من الغلمان وهم معاذ ومعوذ ابني عفراء ومعهم معاذ بن عمرو بن الجموح، بقوة إيمانهم وشجاعتهم قتلوا فرعون هذه الأمة وهو أبو جهل الحكم بن هشام.

٧- جواز التجسس على الأعداء في الحرب لمعرفة ما هم عليه، وكلها أسباب مشروعة قد استعملها النبي ﷺ

٨- الحرب تعتمد على الرأي والمكيدة، وعلى القائد أن يأخذ برأي جنوده لعل رأيا يكون هو الصواب في رجحان المعركة، ومن هنا أخذ النبي ﷺ برأي الحباب بن المنذر رضي الله عنه.

٩- الدعاء عند ملاقات الأعداء، فإن النصر من عند الله وما عند الله ينال بالتضرع والدعاء والرجاء والإلحاح، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ حين تضرع لربه يدعو حتى أشفق عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه

١٠- المشورة بعد المعركة في الأسرى في التعامل معهم بما يحقق المصلحة، فقد استشار النبي ﷺ أبا بكر فكان رأيه أن يعفو عنهم، واستشار عمر فكان رأيه أن يقتلهم، لكن النبي ﷺ أخذ برأي أبي بكر رحمة بالقوم، فنزل القرآن مؤيدا قول عمر

لكن العهد الذي عاهدكم به لم يكن للنبي ﷺ أن يتراجع عنه



والله سبحانه وتعالى وضع التخيير للحاكم فقال : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخِنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فِإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]

١١- أحلت الغنائم للمسلمين ولم تكن أحلت لأي أمة قبل ذلك، روى مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا، فأما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة»<sup>(١)</sup>

١٢- لم يستعين النبي ﷺ بمشرك في مواجهته مع أعداء الله، دليل على أن الإنسان عليه أن يأخذ بما يستطيع من أسباب ثم يعتمد بقلبه على الله تعالى ويوقن بنصر الله تعالى له، فإن من يظن أن المشرك سوف ينصره على عدوه من غير مصلحة ترجع إليه فهو واهم بذلك ، فإننا نرى الآن كثيرا من المسلمين يتوجهون إلى الغرب الصليبي أو الشرق الكافر ليستعينوا بهم على حكام المسلمين ظنا منهم أن هذا طريق لأقامة شرع الله تعالى في الأرض، وهذا من الكذب الصراح والضلال البين.

(١) انظر صحيح مسلم (١/ ٣٧٠)



لكن إذا كانت الاستعانة في شيء، والمسلم هو صاحب القرار، وهو صاحب الأمر فهذا جائز عند الحاجة فقط

قال القاضي عياض: "كافة العلماء على الأخذ بهذا الحديث، والتمسك بهذه السنة، وهو قول مالك وغيره. وقال مالك وأصحابه: ولا بأس أن يكونوا نواتية وخداماً. قال ابن حبيب: ويستعملون في رمى المجانيق. وكره رميهم بالمجانيق غيره من أصحابنا، وأجاز ابن حبيب أن يستعمل من سلمه في قتال من حاربه منهم، ويكونوا ناحية من عسكره لا في داخله. وقال بعض علمائنا: إنما قال النبي ﷺ هذا في وقت مخصوص لا على العموم. واختلفوا بعد إذا استعين بهم ما يكون لهم؟ فذهب الكافة - مالك والشافعي وأبو حنيفة وأبو ثور - إلى أنه لا يسهم لهم. وذهب الزهري والأوزاعي إلى أن لهم كسهم المسلمين. وهو قول سحنون، إذا كان جيش المسلمين إنما قوى بهم، وإلا فلا شيء لهم. وقال الشافعي مرة: لا يعطوا من الفىء شيئاً، ويعطوا من سهم النبي ﷺ. وقال قتادة: لهم ما صلحوا عليه في ذلك. اهـ<sup>(١)</sup>

١٣- في هذه الغزوة قتل صناديد قريش وطواغيتها وكل منهم يصلح لقيادة جيش، فقتلهم في معركة واحدة أصاب قريش بشلل في أركانها.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦/ ٢١٣)



• من نعم الله تعالى على المسلمين في بدر

١ - أصابتهم النعاس والنوم: وفي ذلك راحة للجسم واطمئنان للنفوس وسكينة وهدوء وهمة متوثبة على عكس عدوهم الذي كان متواتراً هائجاً قلقاً مضطرباً.

قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمْ التُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾ [الأنفال: ١١]

٢ - إنزال المطر: يطهرهم وتطمئن به قلوبهم ويأخذون منه حاجتهم وناحية أخرى أن المطر في جانب المسلمين كان معتدلاً حتى تماسكت الأرض تحتهم، أما ف يجانب المشركين فكان غزيراً فأوحلت الأرض.

قال تعالى: ﴿وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١]

٣ - إراءة الله المسلمين المشركين قلة. قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الأنفال: ٤٣]

٤ - إنزال الله الملائكة تؤيد المؤمنين وتقاتل معهم وتثبتهم. قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّفَقْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤)﴾ [الأنفال: ٤٣، ٤٤]



٥ - إلقاء الرعب في قلوب الكافرين. قال تعالى : ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ

كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]

٦ - أوحى الله إلى النبي ﷺ أن يرمي الحصباء فاستقبل قريشاً ورماها قائلاً:

شاهت الوجوه، فأوصل الله ذرات الرمل إلى أعين المقاتلين فانشغلوا بذلك

عن القتال وكل ذلك بقدره الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾

٧. كان يوم بدر فرقانا بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان، إذا أظهر الله

دينه ونصره على أهل الكفر والطغيان قال تعالى : ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيِ

الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]

٨. من نعم الله الغنائم التي اغتنموها من المشركين قال تعالى : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا

عَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]



## المبحث الرابع

### أهم الأحداث ما بين بدر وأحد

وقد وقعت عدة أحداث بين غزوتي بدر وأحد من أهمها

#### أولاً: غزوة بني سليم

كانت هذه الغزوة في شوال سنة ٢ هـ بعد الرجوع من بدر بسبعة أيام، أو في المحرم للنصف منه، واستخلف في هذه الغزوة على المدينة سباع بن عُرْفُطَةَ. وقيل: ابن أم مكتوم.

وصلت أخبار إلى النبي ﷺ بعد بدر أن بني سليم وبني غطفان "تحشد قواتها لغزو المدينة، فباغتهم النبي ﷺ في مائتي راكب في عقر دراهم، وبلغ إلى منازلهم في موضع يقال له: الكُدْر. ففر بنو سليم، وتركوا في الوادي خمسمائة بعير استولي عليها جيش المدينة، وقسمها رسول الله ﷺ بعد إخراج الخمس فأصاب كل رجل بعيرين، وأصاب غلاما يقال له: (يسار) فأعتقه.

وأقام النبي ﷺ في ديارهم ثلاثة أيام، ثم رجع إلى المدينة.<sup>(١)</sup>

ومن فوائد هذه الغزوة أن النبي ﷺ لم يتبع القوم في الجبال، ولم يقتل نساءهم واكتفى بأخذ أموالهم والمكوث في ديارهم ثلاثة أيام ليتبته العرب ويعلموا قوة المسلمين، فيكون الأمر دعوة لهم على الرجوع إلى الحق وعدم الغدر.

(١) الرحيق المختوم ص ٢٦٠، وانظر زاد المعاد (٣/١٨٩)



ثانياً: بناء النبي ﷺ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

وفي شهر شوال أيضاً بنى النبي ﷺ بعائشة وكان قد تزوجها في مكة قبل الهجرة بعام.

روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ فَوُعِكَتُ، فَتَمَرَّقَ شَعْرِي فَوْقَ جُمَيْمَةَ، فَأَتْتَنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أَرْجُوحةٍ وَمَعِيَ صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بِي، فَأَتَيْتُهَا لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفْتَنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لِأُهْجِحُ حَتَّى سَكَنَ بَعْضُ نَفْسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَدْخَلْتَنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرْعُنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَحَى، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ. (١)

### ● حقد الأعداء على النبي ﷺ

كما لم يسلم النبي ﷺ من السنة المنافقين في عصره فهو لم يسلم من السنة، وأقلام الحاقدين في كل عصر، وقد حملوا على النبي ﷺ في زواجه من عائشة وهي بنت تسع سنين، واعتبروا أن هذا ظلم للمرأة وعنف ضدها،

(١) البخاري (٣٦٠٥)



فلا يجوز أن تزوج المرأة في أقل من عشرين عاما، أو ثمانية عشرة عاما ولو أن لهم ما يعضد رأيهم من قول عائشة أو شكواها من ذلك، أو حتى من قول أهل الطب المنصفين، أو حتى من الواقع، فإن الزواج المبكر لا يزال ساريا على مر العصور، ولم نسمع أنه أضر بالمرأة. وكثير من الدول الغير إسلامية تسمح بالزواج المبكر في قوانينها وإليك أمثلة على ذلك:

١- حددت الكنيسة الكاثوليكية في أسبانيا أن من شروط صحة الزواج أن يبلغ الزوج من العمر ١٤ سنة، والزوجة ١٢ سنة.

فإذا كانت البنت في أسبانيا تعد صالحة للزواج في سن ١٢ سنة، فما بالكم بالبنت في الجزيرة العربية؟! أو في جنوب أفريقيا؟

٢. وفي الأرجنتين يشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ١٤، والزوجة ١٢.  
٣. وفي ولاية فلوريدا وولاية أيداهو يشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ١٤، والزوجة ١٢.

٤. وفي ولاية كنورادو الأمريكية يشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ٢١ والزوجة ١٢

٥. وفي يوغسلافيا (في الصرب ومونتيجرو) يشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ١٥، والزوجة ١٣.

٦. وفي إيطاليا يجب أن يكون الزوج قد بلغ ١٦ سنة، والزوجة ١٤.

٧. وفي ولاية ألاباما الأمريكية يجب أن يكون الزوج قد بلغ ١٧ سنة والزوجة ١٤.



- ٨ . وفي اليونان يشترط أن يكون الزوج قد بلغ ١٨ سنة، والزوجة ١٤ .
- ٩ . وفي بلجيكا يشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ١٨، والزوجة ١٥ .
- ١٠ . وفي اليابان يشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ١٧ سنة، والزوجة ١٥ سنة .
- ١١ . وفي النمسا يشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ٢١ سنة، والزوجة ١٦ سنة .
- ١٢ . وفي الدنمارك يجب أن يبلغ الرجل من العمر ٢٠ سنة، والزوجة ١٦ سنة على الأقل .
- ١٣ . وفي المجر وهولندا يشترط أن يبلغ الرجل من العمر ١٨ سنة، والزوجة ١٦ سنة .
- ١٤ . وفي السويد وسويسرا يجب أن يبلغ الرجل من العمر ٢١، والزوجة ١٨ سنة على الأقل .
- وقد كان اليهود يزوجون الولد في سن ١٨ سنة والبنت في سن ١٣ بعد السبي . اهـ .<sup>(١)</sup>
- وغيرها من الدول على هذا الأمر ولا إنكار عليهم في ذلك! لكنهم يريدون هدم الإسلام بالطعن في رأس الإسلام وهو محمد ﷺ .
- وكذلك اتهموا النبي ﷺ بأنه مزواج وشهواني لكثرة ميله للنساء، ويرد

(١) انظر كتاب: إنسانية المرأة لعلاء أبو بكر ص ٢٩٠ باختصار



إميل درمنغهم على هجوم المستشرقين الذين يتناولون حياة الرسول الخاصة، وعابوا عليه تعدد زوجاته وشبقه الجنسي، يقول: (وإن بعضهم يعيب محمداً في كثرة ميله إلى النساء، فإنه مما لا مشاحة فيه، أن محمداً لم يكن شرهاً ولا فخوراً ولا متعصبا ولا منقاداً للمطامع، بل كان حليماً رقيق القلب عظيم الإنسانية)<sup>(١)</sup>.

ويناقد الباحث الفرنسي - المستشرق إتيين دينيه في كتابه: " محمد رسول الله " من يعيب على الرسول حبه النساء، بقوله: (كان محمد يحب النساء، وقد عاب عليه الكثير من الأعداء ذلك. وحقاً كان محمد رجلاً بكل ما في الكلمة من معان خلقية ومادية، ورجولته امتازت بالعفة التي لا تتعارض مع أسباب اللذة البريئة المجردة من الدنس، وعلى منواله سلك العرب الذين يمتازون حتى أيامنا هذه بالعفة والحياء الخاليتين من كل تكلف ورياء، لا كحياء المغالين في الدين وعفتهم المصطنعة المدعاة.

وإذا كان محمد قد عقد على ثلاث وعشرين زوجة فإنه لم يتصل إلا باثنتي عشرة منهن. أما الأخريات فتزوجهن لأسباب سياسية محضة، إذ كانت كل القبائل ترغب في شرف مصاهرته. وقد كثرت عليه الطلبات في شأن ذلك، وقد كان الرسول يعطف على النساء جميعاً وحاول في كل مناسبة أنصافهن. فحرم أول ما حرم وأد البنات، تلك العادة القبيحة القاسية التي

(١) إميل درمنغهم حياة محمد ، ص: ١٨٣.



تحدثنا عنها فيها سبق. ثم وضع حداً لتعدد الزوجات، فجعل العدد الأقصى منهن أربعاً، وزاد على ذلك أن نصح المؤمنين بالتفكير في الآية: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]. وأتبع ذلك بأن منح المرأة حق المطالبة بالطلاق إن لم يوف الرجل بواجباته الزوجية<sup>(١)</sup>.

### ● شبهة المستغربين الذين يلبسون ثوب الإسلام وطعنهم في زواج النبي ﷺ من عائشة

فكانت شبهتهم أن الحديث الذي رواه البخاري في سنن أم المؤمنين حين بنى بها النبي ﷺ، وهي وسيلة للطعن في صحصح البخاري ثم الطعن في كتب السنة بأكملها، وادعي الدعي أن النبي ﷺ تزوج أم المؤمنين وكان عمرها ثمانية عشرة سنة وليس تسع سنوات، واستنتج ذلك من بعض الأخبار الغير صريحة والغير صحيحة، وترك الأخبار الغاية في الصحة، بزعم أن الخبر الصحيح إذا خالف العقل يؤخذ به والخبر الصحيح إذا خالف العقل لا يؤخذ به، وبهذا كان العقل لديه هو المشرع، وليس خالق العقل سبحانه وتعالى، وهذا شيء خطير ومزلق انزلق فيه من لا دراية له، وقد استوعبنا ما قاله هؤلاء في مقالات وبحوث متفرقة<sup>(٢)</sup>

(١) اتين دينيه : محمد رسول الله ، ٣٢٨-٣٢٩.

(٢) وهي مقالات وبحوث في الرد ادعيا الإسلام في طعنهم في كتب السنة والتراث وتفسير القرآن بحسب هواه وقبول ما يراه وفرضه على غيره ورفض ما يراه والتشيع على مقابله



ثالثا: غدر اليهود من بني النضير ومعاملة النبي ﷺ لهم بالعدل

روى أبو داود عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي ومن كان معه يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر: إنكم آويتم صاحبنا، وإننا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان، اجتمعوا لقتال النبي ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال: "لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيذكُم بأكثر مما تريدون أن تكيذكُم به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم" فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نساءكم شيء -وهي الخلاخيل-

فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ أجمعت بنو النضير الغدر: فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حبرا، حتى نلتقي بمكان المنصف فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حبرا من يهود حتى إذا برزوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يجب أن يموت قبله فأرسلوا إليه كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلا أخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج إليك ثلاثة من



علمائنا فليسمعوا منك فإن آمنوا بك آمننا كلنا وصدقناك فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه و فرأست امرأة ناصحة من بني النضير إلى بني أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته خبر ما أردت بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ فأقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبي ﷺ فساره بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم فرجع النبي ﷺ ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله - ﷺ - بالكتائب فحصرهم،

فقال لهم: "إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه" فأبوا أن يعطوه عهدا، فقاتلهم يومهم ذلك، ثم غدا الغد على بني قريظة بالكتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه: فانصرف عنهم، وغدا على بني النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها، فكانوا يخربون بيوتهم فيهدموها فيحملون ما وافقهم من خشبها وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام وكان بنو النضير من سبط من أسباط بني إسرائيل لم يصبهم جلاء منذ كتب الله على بني إسرائيل الجلاء فلذلك أجلاهم رسول الله ﷺ فلولا ما كتب الله عليهم من الجلاء لعذبهم في الدنيا كما عذبت بنو قريظة فأنزل الله ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ



لَأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) ﴿[المنحة: ٦١:١]﴾ فكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة، أعطاه الله إياها وخصه بها، فقال: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦] يقول: بغير قتال، فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين، وقسمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجة، لم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها<sup>(١)</sup>

(١) سنن أبي داود (٤ / ٦١٨) وإسناده صحيح وانظر مصنف عبد الرزاق (٥ / ٣٥٨)



وفي هذا الحدث مسائل منها:

١- اليهود لا عهد لهم ولا ذمة، فإن النبي ﷺ قد كتب بينهم عهدا، ولكنهم غدروا به عند أول فرصة ظنوا من خلالها أن يتخلصوا من الإسلام والمسلمين، فلا فائدة من عهودهم

٢- اليهود من شدة تديبرهم وتفكيرهم في الفساد هم أغبياء لأن كل ما يقوموا به ينتهي الأمر بخراب عليهم، ومن تتبع تاريخهم يعرف ذلك، ورغم ذلك لا يفترون

٣- الإسلام شريعة تدعو إلى السلام والتعايش السلمي بين الناس من غير أن يمس الإسلام بسوء، ولذا حرص النبي ﷺ على المعاهدات بين المسلمين وغيرهم، وعلى الوفاء بالعهد ما دام الطرف المقابل لم يغدر.

٤- حرم الإسلام الغدر عن أنس: عن النبي ﷺ قال: «لكل غادر لواء يوم القيامة قال أحدهما ينصب وقال الآخر يرى يوم القيامة يعرف به»<sup>(١)</sup>

رابعا: قتل كعب بن الأشرف

وكان رجلا من اليهود، وأمه من بني النضير، وكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ، وكان يشبب في أشعاره بنساء الصحابة، فلما كانت وقعة

(١) انظر صحيح البخاري (٣/ ١١٦٤)



بدر ذهب إلى مكة، وجعل يؤلب على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، ثم رجع إلى المدينة على تلك الحال<sup>(١)</sup> فقرر النبي ﷺ التخلص منه فأمر بقتله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله» فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم»

قال: ائذن لي، فلاقل  
قال: «قل»، فأتاه، فقال له: وذكر ما بينهما  
وقال: إن هذا الرجل قد أراد صدقة، وقد عنانا  
فلما سمعه قال: وأيضا والله، لتملنه  
قال: إنا قد اتبعناه الآن، ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره  
قال: وقد أردت أن تسلفني سلفا  
قال: فما ترهني؟  
قال: ما تريد؟  
قال: ترهني نساءكم  
قال: أنت أجمل العرب، أنزهك نساءنا؟

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣ / ١٧١)



قال له: ترهنوني أولادكم، قال: يسب ابن أحدنا، فيقال: رهن في وسقين من تمر، ولكن زهنتك اللأمة - يعني السلاح -

قال: فنعم، وواعده أن يأتيه بالحارث، وأبي عبس بن جبر، وعباد بن بشر  
قال: فجاءوا فدعوه ليلا فنزل إليهم، قالت له امرأته: إني لأسمع صوتا كأنه صوت دم

قال: إنما هذا محمد بن مسلمة، ورضيعه، وأبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة ليلا لأجاب قال محمد: إني إذا جاء، فسوف أمد يدي إلى رأسه، فإذا استمكنت منه فدونكم

قال: فلما نزل نزل وهو متوشح

فقالوا: نجد منك ريح الطيب

قال: نعم تحتي فلانة هي أعطر نساء العرب

قال: فتأذن لي أن أشم منه؟

قال: نعم فشم

فتناول فشم، ثم قال: أتأذن لي أن أعود؟، قال: فاستمكن من رأسه، ثم

قال: دونكم، قال: فقتلوه، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه<sup>(١)</sup>

(١) انظر صحيح مسلم (٣/ ١٤٢٥) وصحيح البخاري (٤/ ١٤٨١)



من فوائد هذا الحدث:

- ١- من سب النبي ﷺ فهو كافر يقتل ردة إذا أصر على ذلك، وإن تاب يقتل حدا. وإن كان كافرا يقتل على أي حال.
- ٢- من يقرر قتل سب النبي ﷺ هو القاضي أو الحاكم أو الأمير، وليس الأمر لعامة الناس كما ظنه بعض من لا فقه له في الدين
- ٣- استحل بعض الجماعات الإسلامية اغتيال من يظنونوا في كفره، وأعطوا لأنفسهم الحق في فعل ذلك وقد استدلوا بحديث قتل كعب بن الأشرف، وهذا من سفاهتهم، وتجروهم على شرع الله تعالى
- ٤- توقيف كل من يهدد أمن البلاد، ويهدد مصالحها العليا، ولو بتصفيته، وهذا يرجع إلى أهل العلم والخبرة والعدل، وليس بمجرد الظن والهوى، فكعب بن الأشرف لم يكن فقط يؤذي النبي ﷺ فحسب؛ بل كان يهدد كيان دولة بأكملها في مهدها. فكانت المصلحة بقتله.
- ٥- جواز التورية وإن اضطر المقاتل للكذب لينفذ مهمته في حدود المسموح به وليس مطلقا

خامسا: غزوة السويق<sup>(١)</sup>

وهي تسمى بغزوة قرقرة الكدر وكانت في ذي الحجة بعد غزوة بدر

(١) انظر في ذلك السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٥٤٠) وعيون الأثر (١/ ٣٤٧) الروض الأنف (٥/



وقيل "في شتّال هذه السنة أيضا وقيل بعد بدر بسبعة أيام وقيل في نصف الحرم سنة ثلاث" (١)

قال السهيلي: والقرقرة: الأرض الملساء.

قال ابن إسحاق: وكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان، ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان من أعلم الأنصار، حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بدر، نذر ألا يمسه رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا.

فخرج في مائتي راكب من قريش لتبر يمينه، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له نيب من المدينة على بريد أو نحوه.

ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتى حبي بن أخطب فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتح له وخافه، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه وبطن له من خير الناس.

ثم خرج في عقب ليله حتى أتى أصحابه، فبعث رجالا من قريش، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض فحرقوا في أسوار من نخل بها، ووجدوا رجلا من الأنصار وحليفا له في حرث لهما فقتلوهما، وانصرفوا راجعين.

فندر بهم الناس، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم.

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١/ ٤٠٧)



قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا لبابة بشير بن عبد المنذر.  
قال ابن إسحاق: فبلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعا وقد فاته أبو سفيان  
وأصحابه.

ووجد أصحاب رسول الله ﷺ أزوادا كثيرة قد ألقاها المشركون يتخفون منها  
وعامتها سويق، فسميت غزوة السويق.

قال المسلمون: يا رسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة؟ قال: نعم.

### ● وبعد بدر كانت الحياة في المدينة

هزيمة قريش وهم أهل السيادة في الجزيرة العربية طارت في الآفاق  
ووصلت إلى كل القبائل في شبه الجزيرة، وبدأ التفكير في القوة الجديدة التي  
نشأت بالمدينة، وهذا الدين الذي يكثر أتباعه، وهذا النبي الذي يعلو نجمه  
كل يوم، والأحزان في مكة لا تفتقر، والصدور يملؤها الغيظ، وهم يتحدثون  
فيما بينهم وفي نواديهم كيف ينتقمون من النبي ﷺ وأصحابه.

بينما كان النبي ﷺ في المدينة يعلم أصحابه ما نزل إليه من ربه، ويقيم قواعد  
الدين ويرسخ مفاهيمه في قلوبهم، ويؤلف بين الناس، ويرسي قواعد السلام،  
ويبنى المسجد الذي يجمع المسلمين في مكان واحد لينشر رسالة التوحيد في  
ربوع الأرض. ففرق بين من يريد الإصلاح ومن يسعى في الأض فسادا يهلك  
الحرث والنسل.



## المبحث الخامس

### غزوة أحد

يوم السبت ١٥ شوال سنة ٣ هـ يناير سنة ٦٢٥ م

وسوف نذكر أحداثها باختصار<sup>(١)</sup>

### أولاً: أهم الأحداث

#### • أهل مكة يتجمعون في أحد والنبي ﷺ يشاور أصحابه

"مضى عام كامل على قريش بعد هزيمتهم في غزوة بدر وهم يتوجعون على قتلاهم، ويهيئون أنفسهم ليوم آخر يستردون فيه كرامتهم، ويأخذون بثأرهم ويسترجعون هيبتهم بين قبائل العرب، ويؤمنون طريق تجارتهم إلى الشام حتى لا يتعرض لها المسلمون إذا لاحت لهم فرصة ثانية للانتقام.

وفي خلال هذه الفترة كانت الجزيرة العربية كلها تغلي بالحقده على المسلمين، وتتسمع إلى أنبائهم بمزيد من العجب والدهشة، وتحاول بين الحين والحين أن تنال منهم، حتى تضعف من شوكتهم وتقلل من خطرهم.. ولكن يقظة المسلمين وقوة عزيمتهم أفسدت كل هذه المحاولات."<sup>(٢)</sup>

(١) ومن أهم المصادر في ذلك: زاد المعاد لابن القيم ج٣، مع الاختصار والزيادة من المراجع الأخرى وكتب السنة

(٢) القول المبين في سيرة سيد المرسلين (ص: ٢٤٠)



لما قتل الله أشرف قريش بيدر وأصيبوا بمصيبة لم يصابوا بمثلها، ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب لذهاب أكابرهـم وجاء كما ذكرنا إلى أطراف المدينة في غزوة السويق، ولم ينل ما في نفسه أخذ يؤلب على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين، ويجمع الجموع فجمع قريبا من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش، وجاءوا بنسائهم لئلا يفروا وليحاموا عنهم، ثم أقبل بهم نحو المدينة.

فنزل قريبا من جبل أحد بمكان يقال له: (عينين)، وذلك في شوال السنة الثالثة، واستشار رسول الله ﷺ أصحابه أخرج إليهم أم يمكث في المدينة؟ وكان رأيه ألا يخرجوا من المدينة وأن يتحصنوا بها، فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت، ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي وكان هو الرأي، فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر وأشاروا عليه بالخروج وألحوا عليه في ذلك، وأشار عبد الله بن أبي بالمقام في المدينة، وتابعه على ذلك بعض الصحابة، فألح أولئك على رسول الله ﷺ، فنهض ودخل بيته ولبس لامته وخرج عليهم وقد انثنى عزم أولئك وقالوا: أكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج



فقالوا: يا رسول الله إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل فقال رسول الله ﷺ: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»<sup>(١)</sup>

### • النبي ﷺ يرى في منامه نتيجة المعركة

فخرج رسول الله ﷺ في ألف من الصحابة واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقي في المدينة وكان رسول الله رأى رؤيا وهو بالمدينة رأى أن في سيفه ثلثة ورأى أن بقرا تذبح وأنه أدخل يده في درع حصينة فتأول الثلثة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته وتأول البقر بنفر من أصحابه يقتلون وتأول الدرع بالمدينة.

### • ورجع رأس المنافقين بثالث الجيش

فخرج يوم الجمعة، فلما صار بالشوط بين المدينة وأحد انخزل عبد الله بن أبي بنحو ثلث العسكر وقال: تخالفني وتسمع من غيري! فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر بن عبد الله يوبخهم، ويحضهم على العسكر الرجوع ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا.

(١) انظر مسند أحمد (١٤٧٨٧) وسنن الدرامي (٢٢٠٥) وصححه شعيب الأرنؤوط



قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم، وسبهم، وسأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود، فأبى، وسلك حرة بني حارثة، وقال: من رجل يخرج بنا على القوم من كتب؟

فخرج به بعض الأنصار حتى سلك في حائط لبعض المنافقين، وكان أعمى فقام يمشو التراب في وجوه المسلمين ويقول: لا أحل لك أن تدخل في حائطي إن كنت رسول الله، فابتدره القوم ليقتلوه، فقال: لا تقتلوه؛ فهذا أعمى القلب أعمى البصر.

### • خطة النبي ﷺ وتعبئة الجيش

سار رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي، وجعل ظهره إلى أحد، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، فلما أصبح يوم السبت تعبى للقتال، وهو في سبعمائة، فيهم خمسون فارسا، واستعمل على الرماة - وكانوا خمسين - عبد الله بن جبير، وأمره وأصحابه أن يلزموا مركزهم، وألا يفارقه، ولو رأى الطير تتخطف العسكر، وكانوا خلف الجيش، وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبل، لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم.

### • تحميل الشباب المسؤولية وإرجاع من لا يقوى على الحرب

رحمة به

فظاهر رسول الله ﷺ بين درعين يومئذ، وأعطى اللواء مصعب بن عمير، وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام، وعلى الأخرى المنذر بن عمرو،



واستعرض الشباب يومئذ، فرد من استصغره عن القتال، وكان منهم عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأسيد بن ظهير، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وعرابة بن أوس، وعمرو بن حزم، وأجاز من رآه مطيقا، وكان منهم سمرة بن جندب، ورافع بن خديج، ولهما خمس عشرة سنة.

### • قوام الجيش المكي وخطته

تعبت قريش للقتال، وهم في ثلاثة آلاف وفيهم مائتا فارس، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، ودفع رسول الله ﷺ سيفه إلى أبي دجانة سماك بن خرشة، وكان شجاعا بطلا يختال عند الحرب.

### • وكانت نهاية أبوعامر الفاسق

وكان أول من بدر من المشركين أبو عامر الفاسق، واسمه عبد عمرو بن صيفي، وكان يسمى: الراهب فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، وكان رأس الأوس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام شرق به، وجاهر رسول الله ﷺ بالعداوة، فخرج من المدينة، وذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله ﷺ، ويحضهم على قتاله، ووعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه، ومالوا معه، فكان أول من لقي المسلمين فنادى قومه، وتعرف إليهم، فقالوا له: لا أنعم الله بك



عينا يا فاسق. فقال: لقد أصاب قومي بعدي شر، ثم قاتل المسلمين قتالا شديدا. (١)

### • شعار المسلمين وشدة صلابتهم

وكان شعار المسلمين يومئذ: "أمت، أمت" (٢)، وأبلى يومئذ أبو دجانة الأنصاري، وطلحة بن عبيد الله، وأسد الله، وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وأنس بن النضر، وسعد بن الربيع.

### • عصيان الرماة لأمره ﷺ وانتهاز المشركين هذه الفرصة وتحول

#### دفة الحرب على المسلمين

وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار، فانهزم عدو الله، وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نسائهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وقالوا: يا قوم! الغنيمة، فذكروهم أميرهم عهد رسول الله ﷺ فلم يسمعوا، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وأخلو الثغر، وكر فرسان المشركين فوجدوا الثغر خاليا قد خلا من

(١) أنظر إمتاع الأسماع للمقرئزي (١/ ١٣٢)، السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣٢)، الروض الأنف (٢١/٥)

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٩٦) وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٨٦١٢) و(٨٨١١) من حديث عكرمة بن عمار، عن إياس بن سلمة عن أبيه، قال: عَزَوْنَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ شِعَارُنَا أَمْتُ أَمْتُ وَحَسَنَةُ شَعِيبِ الْأَرْنَارِؤُطِ



الرماة، فجازوا منه، وتمكنوا، حتى أقبل آخرهم، فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون، وتولى الصحابة.

### • المشركون يصلون إلى رسول الله ﷺ

وخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ فجرحوا وجهه، وكسروا ربايعته اليمنى، وكادت السفلى، وهشموا البيضة على رأسه، ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه، وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيدها بالمسلمين، فأخذ علي بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله، وكان الذي تولى أذاه ﷺ عمرو بن قمئة، وعتبة بن أبي وقاص.

### • بسالة المسلمين ودفاعهم عن رسول الله ﷺ

وقتل مصعب بن عمير بين يديه، فدفع اللواء إلى علي بن أبي طالب، ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه ﷺ، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح، وعض عليهما حتى سقطت ثناياه من شدة غوصهما في وجهه، وامتنص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته ﷺ، وأدركه المشركون يريدون ما الله حائل بينهم وبينه، فحال دونه نفر من المسلمين نحو عشرة، حتى قتلوا، ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه، وترس أبو دجانة علي النبي ﷺ بظهره، والنبيل يقع فيه، وهو لا يتحرك، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان، فأتى بها رسول الله ﷺ، فردها عليه بيده، وكانت أصح عينيه، وأحسنهما وصرخ الشيطان، بأعلى صوته: إن محمدا قد قتل، ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين، وفر أكثرهم، وكان أمر الله قدرا مقدورا.



● شجاعة أنس بن النضر

وكان أنس بن النضر قد تغيب عن قتال بدر، فقال: تغيبت عن أول مشهد شهده النبي ﷺ، لئن رأيت قتالا ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انهزم أصحاب النبي ﷺ، أقبل أنس، فرأى سعد بن معاذ منهزما، فقال: يا أبا عمرو، أين؟ أين؟ قم، فوالذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فحمل حتى قتل، فقال سعد بن معاذ: فوالذي نفسي بيده، ما استطعت ما استطاع، فقالت أخته: فما عرفت أخي إلا بينانه، ولقد كانت فيه بضع وثمانون ضربة، من بين ضربة بسيف، ورمية بسهم، وطعنة برمح، فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] <sup>(١)</sup> وجرح يومئذ عبد الرحمن بن عوف نحوًا من عشرين جراحة.

● وقتل أبي بن خلف بيد رسول ﷺ

أقبل رسول الله ﷺ نحو المسلمين، وكان أول من عرفه تحت المغفر كعب بن مالك، فصاح بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه: أن اسكت، واجتمع إليه المسلمون، ونهضوا معه إلى الشعب الذي نزل فيه، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والحارث بن الصمة الأنصاري، وغيرهم، فلما استندوا إلى الجبل أدرك رسول الله ﷺ أبي بن خلف

(١) أنظر مسند أحمد (١٣٦٥٨) وسنده صحيح



على جواد له يقال له: (العود)، زعم عدو الله أنه يقتل عليه رسول الله ﷺ، فلما اقترب منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فطعنه بها، فجاءت في ترقوته، فكر عدو الله منهزما، فقال له المشركون: والله ما بك من بأس، فقال: والله لو كان ما بي بأهل ذي الجواز لماتوا أجمعون، وكان يعلف فرسه بمكة ويقول: أقتل عليه محمدا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: بل أنا أقتله إن شاء الله تعالى، فلما طعنه تذكر عدو الله قوله: أنا قاتله، فأيقن بأنه مقتول من ذلك الجرح، فمات منه في طريقه بسرف مرجعه إلى مكة.<sup>(١)</sup>

### • رسول الله ﷺ تحت لواء الأنصار

وجاء علي إلى رسول الله ﷺ بماء ليشرّب منه فوجده آجنا فرده وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه. فأراد رسول الله ﷺ أن يعلو صخرة هنالك، فلم يستطع لما به، فجلس طلحة تحته حتى صعدها، وحانت الصلاة، فصلى بهم جالسا، وصار رسول الله ﷺ في ذلك اليوم تحت لواء الأنصار.

### • وفاز حنظلة بتغسيل الملائكة

وشد حنظلة الغسيل. وهو حنظلة بن أبي عامر. على أبي سفيان، فلما تمكن منه حمل على حنظلة شداد بن الأسود فقتله، وكان جنبا، فإنه سمع الصيحة وهو على امرأته، فقام من فورهِ إلى الجهاد، فأخبر رسول الله ﷺ

(١) أنظر مصنف عبد الرزاق (٩٧٣١) ومستدرک الحاكم (٣٢٦٣) والجهاد لابن أبي عاصم (٢٥٣)



أصحابه أن الملائكة تغسله، ثم قال: سلوا أهله؟ ما شأنه؟ فسألوا امرأته، فأخبرتهم الخبر.

### ● شجاعة النساء كشجاعة الرجال

وقتل المسلمون حامل لواء المشركين فرفعته لهم عمرة بنت علقمة الحارثية حتى اجتمعوا إليه.

وقاتلت أم عمارة . وهي نسيبة بنت كعب المازنية . قتالا شديدا، وضربت عمرو بن قمئة بالسيف ضربات، فوقته درعان كانتا عليه، وضربها عمرو بالسيف، فجرحها جرحا شديدا على عاتقها.

### ● شهادة الأصيرم مع أنه لم يصل صلاة قط

قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقش، قال الحصين: فقلت لمحمود بن لبيد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه فلما كان يوم أحد وخرج رسول الله ﷺ إلى أحد بدا له الإسلام فأسلم، فأخذ سيفه فغدا حتى أتى القوم فدخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، قال: فبينما رجال بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، وما جاء؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث، فسألوه ما جاء به؟ قالوا: ما جاء بك يا عمرو، أحدبا على قومك، أو رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله ورسوله، وأسلمت، ثم أخذت سيفي



فغدوت مع رسول الله فقاتلت حتى أصابني ما أصابني، قال: ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «إنه لمن أهل الجنة»<sup>(١)</sup>  
قال أبو هريرة: ولم يصل لله صلاة قط.

### • أبو سفيان ينادي المسلمين شماتة بهم

ولما انقضت الحرب أشرف أبو سفيان على الجبل فنادى: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟، فلم يجيبوه. فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه، ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة؛ لعلمه وعلم قومه أن قوام الإسلام بهم، فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله إن الذين ذكرتهم أحياء، وقد أبقي الله لك ما يسوءك، فقال: قد كان في القوم مثله لم أمر بها، ولم تسؤني، ثم قال: اعل هبل فقال النبي ﷺ: ألا تجيبونه؟ فقالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل، ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم. قال ﷺ: ألا تجيبونه؟ قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم، ثم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال، فأجابه عمر فقال: لا سواء، قتلنا في الجنة، وقتلناكم في النار.<sup>(٢)</sup>

(١) أنظر مسند الإمام أحمد (٢٣٦٣٤) وحسنه شعيب الأرنؤوط

(٢) أنظر صحيح البخاري (٣٠٣٩)، وصحيح ابن حبان (٤٧٣٨)



ثانيا: من أحداث المعركة المتفرقة

• وكان معركة أحد نصرا للمسلمين لا هزيمة

وقال ابن عباس: ما نصر رسول الله في موطن نصره يوم أحد، فأنكر ذلك عليه، فقال: بيني وبين من ينكر كتاب الله إن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢]

قال ابن عباس: والحس القتل، ولقد كان لرسول الله ﷺ ولأصحابه أول النهار، حتى قتل من أصحاب المشركين سبعة أو تسعة.

• وكانت الملائكة تدافع عن النبي ﷺ

وقاتلت الملائكة يوم أحد عن رسول الله ﷺ قال عن سعد بن أبي وقاص: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد (١)

دفاع سبعة من الأنصار عنه ﷺ

وفي صحيح مسلم: أنه ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه قال: من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه فقال: من يردهم عنا وله

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥٤)



الجنة . أو هو رفيقي في الجنة . فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله ﷺ: ما أنصفنا أصحابنا. (١)

### • غسل علي وفاطمة جرح النبي ﷺ

روى البخاري عن أبي حازم أنه سئل عن جرح رسول الله ﷺ فقال: والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله ﷺ، ومن كان يسكب الماء وبما دووي، كانت فاطمة ابنته تغسله، وعلي بن أبي طالب يسكب الماء بالجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فألصقتها، فاستمسك الدم (٢)

### • نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾

روى مسلم: أنه كسرت رباعيته وشج في رأسه فجعل يسلمت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٨] (٣)

### • والد حذيفة يقتل بأيد المسلمين خطأ

ونظر حذيفة إلى أبيه والمسلمون يريدون قتله وهم يظنونونه من المشركين فقال أي عباد الله أبي فلم يفهموا قوله حتى قتلوه فقال يغفر الله لكم فأراد

(١) مسلم (١٧٨٩)

(٢) البخاري (٤٠٧٥)

(٣) مسلم (١٧٩١)



رسول الله ﷺ أن يديه فقال قد تصدقت بديته على المسلمين فزاد ذلك حذيفة خيرا عند النبي ﷺ

• وما محمد إلا رسول

ومر رجل من المهاجرين برجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال: يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فنزل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]

• استشهاد عمرو بن الجموح

وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما توجه إلى أحد أراد أن يتوجه معه، فقال له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصة، فلو قعدت، ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد. فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك، ووالله إني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد، وقال لبنيه: وما عليكم أن تدعوه؛ لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة، فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيدا. (١)

(١) أخرجه الحاكم (١٩٩/٣) مرسلا من طريق سعيد بن المسيب عن عبد الله بن جحش، وله شواهد تقويه



• النبي ﷺ يفدي سعد بن أبي وقاص بأبيه وأمه

روى البخاري عن سعد بن أبي وقاص قال: نثرت لي النبي ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: اِرْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي.

وقال: جَمَعَ لِي النَّبِيُّ ﷺ أَبُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ. (١)

• شجاعة أبو طلحة وأم سليم وعائشة

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحِجْفَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجَعْبَةٍ مِنَ التَّبَلِ فَيَقُولُ: انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ، قَالَ وَيُسْرِفُ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُسْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ

وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشْمَرَتَانِ أَرَى خِدْمَ سُوقِهِمَا، تُنْفِرَانِ الْقُرْبَ عَلَى مَثُوهِمَا، تُفْرَعَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَأُهُمَا، ثُمَّ بَجِيحَانِ فَتُفْرَعَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَيْ أَبِي طَلْحَةَ إِمَّا مَرَّتَيْنِ وَإِمَّا ثَلَاثًا. (٢)

(١) البخاري (٣٧٤٩)

(٢) البخاري (٣٧٥٧)



• من المؤمنين رجال

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لكن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء . يعنني أصحابه . وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء . يعنني المشركين .، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال: سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع.

قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخيه  
ببنائه

قال أنس: كُنَّا نُرَى أَوْ نَنْظُرُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مَنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]<sup>(١)</sup>

(١) البخاري (٢٥٩٥)



### مقتل أسد الله حمزة بن عبد المطلب

وقد قتل في هذه المعركة حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وكانت فجيعة كبرى فجع بها رسول الله ﷺ

قال وحشي رضي الله عنه قاتل حمزة: إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر، فقال لي مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر، قال: فلما أن خرج الناس عام عينين، وعينين جبل بجبال أحد، بينه وبينه واد، خرجت مع الناس إلى القتال، فلما أن اصطفوا للقتال، خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فقال: يا سباع، يا ابن أم أثمار مقطعة البظور، أتحاد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ثم شد عليه، فكان كأمس الذاهب، قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلما دنا مني رميته بحرقتي، فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به، فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا، فقيل لي: إنه لا يهيج الرسل، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأني قال: «أنت وحشي» قلت: نعم، قال: «أنت قتلت حمزة» قلت: قد كان من الأمر ما بلغك، قال: «فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني» قال: فخرجت فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مسيلمة الكذاب، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة، لعلي أقتله فأكافئ به حمزة، قال: فخرجت مع الناس، فكان من أمره ما كان،



قال: فإذا رجل قائم في ثلثة جدار، كأنه جمل أورك نائر الرأس، قال: فرميته بحريتي، فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.<sup>(١)</sup>

### ثالثا: من فوائد غزوة أحد

قال الحافظ ابن حجر:

"قال العلماء: وكان في قصة أحد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة منها:

- ١- تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي؛ لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه.
- ٢- ومنها أن عادة الرسل أن تتبلى وتكون لها العاقبة... والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائما؛ دخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة، فاقترضت الحكمة الجمع بين الأمرين؛ لتمييز الصادق من الكاذب؛ وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين، فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلويع تصریحا، وعرف المسلمون أن لهم عدوا في دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم

(١) أنظر صحيح البخاري (٤٠٧٢) بتصرف يسير



- ٣- ومنها أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس، وكسرا لشماختها، فلما ابتلي المؤمنون صبروا، وجزع المنافقون
- ٤- ومنها أن الله هياً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن؛ ليصلوا إليها
٥. ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقتها إليهم.
- ٦- ومنها أنه أراد إهلاك أعدائه، فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليائه، فمحص بذلك ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين." (١)
٧. المعصية مهما كانت فهي قد تكون سبباً للهزيمة
٨. النصر على الأعداء يشترط أن لا يحرص الإنسان على الدنيا أثناء المعركة
- ٩- المقاتل لا يكل الأمر لنفسه وقوته؛ بل دوماً يكون مفتقراً إلى ربه مهما كانت قوته.

(١) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٣٤٧)



## المبحث السادس

### أهم الأحداث بين أحد والخندق

وقعت عدة أحداث بين غزوتي أحد والخندق من أهمها:

#### أولاً: حمراء الأسد

لَمَّا انصَرَفَ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ عَنْ أَحَدٍ، وَبَلَّغُوا الرُّوحَاءَ، قَالُوا: لَا مُحَمَّدًا قَتَلْتُمْ، وَلَا الْكَوَاعِبَ أَرَدْتُمْ، شَرُّ مَا صَنَعْتُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَندب النَّاسَ فانتدبوا حتى بلَّغوا حمراء الأسد أو بئر أبي عيينة فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران ١٧٢: ] وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَوْعِدُكَ مَوْسِمٌ بَدْرٌ حَيْثُ قَتَلْتُمْ أَصْحَابَنَا، فَأَمَّ الْجَبَانَ فَرَجَعَ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَأَخَذَ أَهْبَةَ الْقِتَالِ وَالتَّجَارَةَ فَأَتَوْهُ، فَلَمْ يَجِدُوا بِهِ أَحَدًا وَتَسَوَّفُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسِّنْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤].<sup>(١)</sup>

#### ثانياً: سرية أبي مسلمة

رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد وقعة أحد، فأقام بها بقية شوال، وذا القعدة، وذا الحجة، فلما استهل هلال المحرم بلغه أن طلحة وسلمة ابني

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٤٦٧) والقصة أخرجها البخاري ومسلم وعبد الرزاق في مصنفه والبيهقي في دلائل النبوة والحاكم في مستدرکه مختصرة ومطولة بأسانيد



خويلد، قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعون بني أسد بن خزيمه إلى حرب رسول الله ﷺ، فبعث أبا سلمة، وعقد له لواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الأنصار والمهاجرين، فأصابوا إبلا وشاء، ولم يلقوا كيدا، فانحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة. (١)

### ثالثا: غزوة بني المصطلق (المريسيع)

كانت هذه الغزوة في شعبان سنة خمس هجرية على أصح الأقوال وسببها: أنه لما بلغه ﷺ أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق سار في قومه ومن قدر عليه من العرب يريدون حرب رسول الله ﷺ فبعث بريدة بن الحصيب الأسلمي يعلم له ذلك فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم فندب رسول الله ﷺ الناس فأسرعوا في الخروج وخرج معهم جماعة من المنافقين لم يخرجوا في غزاة قبلها واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل أبا ذر وقيل نميلة بن عبد الله الليثي وخرج يوم الاثنين ليلتين خلتا من شعبان وبلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله ﷺ وقتله عينه الذي كان وجهه ليأتيه بخبره وخبر المسلمين فخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم من كان معهم من العرب وانتهى رسول الله ﷺ إلى المريسيع وهو مكان الماء فضرب عليه قبته ومعه عائشة وأم سلمة فتهيئوا للقتال وصف رسول الله ﷺ أصحابه وراية المهاجرين مع أبي بكر الصديق

(١) زاد المعاد (٣/٢١٨) وانظر الرحيق المختوم ص ٣٢٦



وراية الأنصار مع سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فكانت النصره وانهمز المشركون وقتل من قتل منهم وسبى رسول الله ﷺ النساء والذراري والنعم والشاء ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد هكذا قال عبد المؤمن بن خلف في " سيرته " وغيره وهو وهم فإنه لم يكن بينهم قتال وإنما أغار عليهم على الماء فسبى ذراريهم وأموالهم كما في أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون وذكر الحديث. <sup>(١)</sup>

#### رابعاً: زواج النبي ﷺ من جويرية بنت الحارث

عن عائشة أم المؤمنين قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شماس، أو لابن عم له، وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحه لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقع في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي، فجتتك أستعينك على

(١) زاد المعاد (٣/٢٣١)



كتابتني، قال: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي كتابتك وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله، قال: قد فعلت. قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما بأيديهم، فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها<sup>(١)</sup>

#### خامسا: حادثة الإفك

وقد وقعت في هذه الغزوة حين الرجوع منها حادثة الإفك<sup>(٢)</sup> التي اهتمت فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بصفوان بن المعطل رضي الله عنه، وكان وراء ذلك رأس المنافقين عبد الله ابن أبي سلول، وانقطع الوحي شهرا، والتبس الأمر على بعض الصحابة، وعفا عنهم النبي ﷺ. وأنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات. والقصة مبسوسة في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢٥٨٣٣)

(٢) أصل الألفك الصِّرف وأكثره عن الخبر

الألفك في الأصل: الكذب وأراد به هاهنا ما كُذِبَ عليها مما رُميت به



بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَأَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) ﴿النور: ١١-٢٠﴾

روى البخاري، ومسلم واللفظ للبخاري<sup>(١)</sup>، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا وكلهم حديثي طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا<sup>(٢)</sup> وقد وعيت من كل رجل منهم الحديث الذي حديثي عن عائشة وبعض حديثهم يصدق بعضها وإن كان بعضهم أوعى له من بعض.

(١) البخاري (٤/١٥١٧)، ومسلم (٨/١١٢)

(٢) أحفظ وأحسن إيرادا وسردا للحديث



قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أفرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة فأفرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمنا حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع<sup>(١)</sup> ظفار<sup>(٢)</sup> قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه<sup>(٣)</sup> قالت وأقبل الرهط<sup>(٤)</sup> الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أنني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن<sup>(٥)</sup> ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة<sup>(٦)</sup> من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الحمل فساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا محيب فتيمنت منزلي الذي

(١) الجزع: حرز فيه بياض وسواد

(٢) ظفار: مدينة باليمن والجدع الظفاري منسوب إليها

(٣) فحبسني ابتغاؤه: أي حجزي في مكاني طلب البحث عنه

(٤) الرهط: الجماعة من الناس

(٥) يهبلن: لم يسمن ولم يكثر لحمهن وشحمهن

(٦) العلقة: البلغة: أي ما يتبلغ به المرأ من الزاد



كنت فيه وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فممت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رأني وكان رأني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه<sup>(١)</sup> حين عرفني فخمرت وجهي<sup>(٢)</sup> بجلبائي<sup>(٣)</sup> والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها<sup>(٤)</sup> فممت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين<sup>(٥)</sup> في نحر الظهرية<sup>(٦)</sup> وهم نزول قالت فهلك فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول. قال عروة أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه<sup>(٧)</sup>.

وقال عروة أيضا: لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصابة<sup>(٨)</sup>

(١) باسترجاعه: بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون

(٢) فخمرت: غطيت

(٣) بجلبائي: الجلباب ثوب يغطي جسم المرأة

(٤) ( فوطئ على يدها ) ليسهل ركوبها ولا يحتاج إلى مساعدة

(٥) موغرين: أي داخلين في وقت شدة الحر

(٦) نحر الظهرية: صدر وقت الظهر وأوله

(٧) يستوشيه: يطلب ما عند المتحدث ليزيد منه



عصبة<sup>(١)</sup> كما قال الله تعالى<sup>(٢)</sup> وإن كبر ذلك<sup>(٣)</sup> يقال له عبد الله بن أبي ابن سلول قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول أنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي<sup>(٤)</sup> لعرض محمد منكم وقاء  
قالت عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون<sup>(٥)</sup>  
يفيضون<sup>(٥)</sup> في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريني<sup>(٦)</sup>  
في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف<sup>(٧)</sup> الذي كنت أرى منه  
حين أشتكى إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم  
»<sup>(٨)</sup>.

(١) عصبة: جماعة

(٢) كما قال الله تعالى: أي كما ذكر في القرآن أنهم عصبة دون تحديدهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور: ١١]

(٣) كبر ذلك: متولي معظم حديث الإفك ومشيعه

(٤) عرضي: العرض هو موضع المدح والذم من الإنسان وقيل جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه  
ويحامي عنه أن ينتقص أو ينال منه

(٥) يفيضون: يخضون

(٦) يريني: يشككني في حاله

(٧) اللطف: الرفق والإحسان

(٨) تيكم: اسم إشارة للمؤنث



ثم ينصرف فذلك يريني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت<sup>(١)</sup>  
فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع<sup>(٢)</sup> وكان متبرزنا<sup>(٣)</sup> وكنا لا نخرج إلا ليلا  
ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف<sup>(٤)</sup> قريبا من بيوتنا قالت وأمرنا أمر  
العرب الأول في البرية قبل الغائط<sup>(٥)</sup> وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند  
بيوتنا

قالت: فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم ابن المطلب بن عبد مناف  
وأما بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثانة بن  
عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من  
شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها<sup>(٦)</sup>

فقالت: تعس مسطح

فقلت لها: بئس ما قلت أتسيين رجلا شهد بدرا؟

فقالت: أي هنتاه<sup>(٧)</sup> أو لم تسمعي ما قال؟

(١) نقهت: أفقت من المرض وصححت من علتي

(٢) المناصع: مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها واحدا منصع لأنه يبرز إليه ويظهر من نصع  
الشيء إذا وضح وبان.

(٣) متبرزنا: مكان قضاء حاجتنا

(٤) الكنف: جمع كنيف وهو المكان المستور من بناء أو نحوه يتخذ لقضاء الحاجة

(٥) قبل الغائط: أي التوجه نحو مكان منخفض لقضاء الحاجة

(٦) المرط: الكساء من صوف وغيره

(٧) أي هنتاه: يا هذه وقيل يا بلهاء لقلعة معرفتها بمكايد الناس وشورهم



قالت: وقلت وما قال؟

فأخترني بقول أهل الإفك قالت فازددت مرضاً على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم ثم قال: «كيف تيكم».

فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي؟

قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت فأذن لي رسول الله ﷺ فقلت لأمي يا أمته ماذا يتحدث الناس؟

قالت: يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة<sup>(١)</sup> عند رجل يحبها لها ضرائر<sup>(٢)</sup> إلا أكثرن عليها<sup>(٣)</sup>. قالت فقلت سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ<sup>(٤)</sup> لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي ابن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت<sup>(٥)</sup> الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة أشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة: أهلك ولا نعلم ألا خيراً.

(١) وضيئة: حسنة جميلة من الوضوء وهي الحسن

(٢) ضرائر: جمع ضرة وهي زوجة زوج المرأة

(٣) أكثرن عليها: أكثرن القول الرديء عليها

(٤) يرقأ: يسكن وينقطع

(٥) استلبت: أي توقف الوحي



وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك<sup>(١)</sup> والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «أي بريرة هل رأيت شيء يريبك». قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه<sup>(٢)</sup> أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجيين أهلها فتأتي الداجن<sup>(٣)</sup> فتأكله

قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله ابن أبي وهو علي المنبر فقال: «يا معشر المسلمين من يعذرني<sup>(٤)</sup> من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي».

قالت: فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

(١) يضيق الله عليك: أي تستطيع أن تطلقها وتزوج غيرها ولم يقل ذلك عداوة ولا بغضا لها ولا شكا في أمرها إنما قاله إشفاقا على رسول الله ﷺ لما رأى من انزعاجه بهذا الأمر فأراد إراحة خاطره وتسهيل الأمر عليه

(٢) أغمصه عليها: أعيبتها به

(٣) الداجن: الشاة التي تقتنى في البيوت وتعلف ولا تخرج إلى المرعى وقد تطلق على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيره .

(٤) يعذرني: يقوم بعذري إن جازيته على قبيح فعاله وقيل ينصربي العذير الناصر



قالت: فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج

قالت: وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل.

فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال: لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين.

قالت: فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم

قالت: وأصبح أبوي عندي قد بكيت ليلتين ويوما ولا يرقأ لي دمع لا أكتحل بنوم حتى إني لأظن أن البكاء فالتق كيدي فبينما أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت: فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس قالت: لم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء

قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه».



قالت عائشة: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعِي<sup>(١)</sup> حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال.

قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]

ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم أني حينئذ بريئة وأن الله مبرئني ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيأ يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء<sup>(٢)</sup> حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان<sup>(٣)</sup> وهو في يوم شات كم ثقل القوم الذي

(١) قلص دمعِي: انقطع

(٢) البرحاء: الشدة التي كانت تصيبه عند نزول الوحي

(٣) الجمان: اللؤلؤ الصغار



أنزل عليه قالت: فسرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكانت أو كلمة تكلم بها أن قال: «يا عائشة أما والله فقد برأك».

فقلت لي أمي: قومي إليه

فقلت: والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله عز وجل

قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾. العشر الآيات ثم أنزل الله هذا في براءتي.

قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله

﴿وَلَا يَأْتَلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال أبو بكر الصديق: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: ماذا علمت أو رأيت.

فقلت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا

قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع قالت: وطفقت أختها تحارب لها<sup>(١)</sup> فهلكت فيمن هلك

(١) تحارب لها: تطعن بي وتعاديني تعصبا لأختها لأنني ضرة لها مع أن زينب نفسها أمسكت عن هذا وما قالت إلا خيرا رضي الله عنها وأرضاها



قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط  
ثم قال عروة: قالت عائشة: والله إن الرجل<sup>(١)</sup> الذي قيل له ما قيل ليقول  
سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى<sup>(٢)</sup> قط قالت ثم  
قتل بعد ذلك في سبيل الله.

### بعض ما يستفاد من حادثة الإفك

١. الله سبحانه وتعالى يدافع عن نبيه حيا وميتا، فبراءة الله تعالى لأُم المؤمنين  
عائشة بقرآن يتلى ويتعبد به هو أبلغ رد على الروافض الذين يطعنون فيها بما  
برأها الله منه، وأن الطعن فيها تكذيب للقرآن.

٢. سهام المنافقين قد تصيب أي إنسان على وجه الأرض مهما كانت منزلته،  
فلا يحزن الإنسان لما يصيبه منهم

٣. أن سهام المنافقين إذا كان ظاهرها شر، فإن وراءها رفعة وكشف غمة  
وإظهار أهل الباطل وإعلاء أهل الحق، فما سلط منافق سهامه على مؤمن  
إلا ارتدت عليه حسرة وندامة وعقاب من الله تعالى

٤. أن الإنسان لا يسير وراء الشائعات التي يطلقها أهل الفسوق والنفاق في  
أهل الإيمان، حتى لا يصيبه ما أصاب المنافقين

(١) الرجل : المتهم وهو صفوان بن المعطل رضي الله عنه

(٢) كنف أنثى : ثوبها الذي يسترها وهو كناية عن عدم جماع النساء ومخالطتهن



٥. المسلم عليه أن إذا سمع شيئاً أو رأى شيئاً على مسلم مثلية له أن يسترها عليه فيستره الله في الدنيا والآخرة كما روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»<sup>(١)</sup>

٦. على الإنسان إذا نزل به بلاء أن يستشير المقربين لديه من أهل الصدق

٧. إن من أشد البلاء أن يتلى الإنسان في عرضه

٨. الأنبياء أشد الناس بلاء، لأنهم أهل الثبات والحق، ولو أصيب شخص غير رسول الله ما أصاب رسول الله ﷺ ما في صبره ﷺ وحكمته ورباطة جأشه

٩. الذين يخوضون في أعراض الناس هم أهل النفاق، فليحذر كل مسلم من أن ينزل في مزلق النفاق وهو لا يشعر.

١٠. الآن في العالم كله مصدر الشائعات المغرضة هو الإعلام بشتى أنواعه، لذا على المسلم أن يجذر الإعلام ورجال الإعلام فأكثرهم كذبة يرتزقون من إشاعة الفواحش.

١١. إن من أصيبت في عرضها ولم تملك ما تدافع به عن نفسها فعليها أن تقتدي بأمة المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتكل أمرها الله وتوقن بنصره لها وتصبر على بلائها

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٠)



١٢. الاستقامة طريق نجات المسلم من الفتن فعلى المسلم أن يحرص عليها فإنه لا يدري متى سيبتلى

١٣- إن من أعظم البلاء أن يأتيك من أقرب الناس إليك وممن لك الفضل عليه، وهذا اختبار لك، فعليك أن لا تمنع فضلك عليه ولا تقابل إساءته بانقطاع فضلك بل بمواصلة إحسانك إليه.



## المبحث السابع

### غزوة الأحزاب (الخنندق)<sup>(١)</sup>

وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين<sup>(٢)</sup>

#### • سبب الغزوة

سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد، ازداد حقدهم على النبي وأصحابه، وكعادتهم يتحينون الفرص للقضاء على عدوهم ولو بالغدر والخديعة، خرج أشرفهم كسلاًم بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل إلى قريش بمكة؛ يجرسونهم على غزو رسول الله ﷺ ويؤلبونهم عليه،

(١) أنظر في ذلك زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/٢٤٠)، القول المبين في سيرة سيد المرسلين (ص: ٢٥٥)، الرحيق المختوم (ص: ٢٧٥)، إمتاع الأسماع (٨/٣٧٢)، عيون الأثر لليعمرى (٢/٨٣)، الروض الأنف (٦/٢٦٠)

(٢) وهو قول جمهور العلماء ومنهم ابن إسحق والواقدي ومن تابعهم، ونقل عن الزهري ومالك بن أنس وموسى بن عقبة أنها سنة أربع، ولا اختلاف بين القولين في الحقيقة، لأن القائلين أنها سنة أربع كانوا يعدون التاريخ من الحرم الذي وقع بعد الهجرة ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول، فتكون غزوة بدر عندهم في السنة الأولى وأحد في الثانية والخندق في الرابعة، وهو مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من الحرم سنة الهجرة. فإذا لا اختلاف بين المؤرخين في أن الخندق في السنة الخامسة [انظر السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، أكرم ضياء العمري (٢/٤١٨)]



ووعدهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان فدعوهم إلى مثل ما دعوا قريشا إليه، ولم يزالوا بهم حتى وافقوهم على ذلك ثم التقوا ببني فزارة وبني مرة، وتم لهم مع هؤلاء جميعا تواعد في الزمان والمكان لحرب رسول الله ﷺ. ففيهم نزل قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢، ٥١]

#### • استجابة القبائل لليهود وعدد الجيش

فاستجاب لهم من أجب، فخرجت قريش، وعلى رأسهم أبو سفيان وعددهم أربعة آلاف، ومعهم ثلاثمائة فرس وألف بعير، وتجهزت غطفان، ويرأسهم عيينة بن حصن، وكان معهم ألف فارس، وتجهزت بنو مرة يرأسهم الحارث بن عوف المري، وتجهزت بنو أشجع يرأسهم أبو مسعود بن رخيلة، وتجهزت بنو سليم يرأسهم سفيان بن عبد شمس، وتجهزت بنو أسد يرأسهم طليحة بن خويلد الأسدي، وعدة الجميع عشرة آلاف جندي، وقائدهم العام أبو سفيان صخر بن حرب، وكان -حينئذٍ- ألد الأعداء للرسول ﷺ وللمسلمين.



ثم خرجت هذه الأحزاب -على ما بينها من تنافر وتباعد وعصية قبلية- ويؤلف بينهم هدف مشترك هو الانتقام من المسلمين، والرغبة في استئصالهم والقضاء على دينهم.

● النبي يأمر بحفر الخندق تبعا لمشورة سلمان الفارسي

فلما سمع رسول الله ﷺ بمسيرهم إليه استشار الصحابة، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة، فأمر به رسول الله ﷺ، فبادر إليه المسلمون، وعمل بنفسه فيه، وبادروا هجوم الكفار عليهم، وكان في حفره من آيات نبوته وأعلام رسالته ما قد تواتر الخبر به.

● النبي ﷺ يواسي الصحابة ويعمل معهم

وخرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا بالمهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

وكان النبي ﷺ ينقل التراب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول:

لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا



• من معجزاته ﷺ تكثير الطعام

قال جابر رضي الله عنه: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كدية شديدة، فحاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق

فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبشنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم، فقلت: يا رسول الله ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟

قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جمئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضح

فقلت: طعيم لي فقم أنت يا رسول الله، ورجل أو رجلان

قال: كم هو؟ فذكرت له

قال: كثير طيب، قال: قل لها لا تنزع البرمة، ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال: قوموا، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار، ومن معهم!

قالت: هل سألك؟

قلت: نعم، فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع، فلم



يزل يكسر الخبز ويغرف؛ حتى شعوا، وبقي بقية، قال: كلي هذا وأهدي،  
فإن الناس أصابتهم مجاعة.<sup>(١)</sup>

● ومن معجزاته تحطيم الصخرة العظيمة والتنبأ بفتح البلاد

وعرضت لهم صخرة، حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ  
المعول، ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا  
وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥] ، فندر ثلث  
الحجر، وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة، ثم  
ضرب الثانية وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ  
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥] ، فندر الثلث الآخر، فبرقت برقة، فراها  
سلمان، ثم ضرب الثالثة وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ  
لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥] ، فندر الثلث الباقي، وخرج رسول  
الله ﷺ، فأخذ رداءه، وجلس قال سلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت  
ما تضرب ضربة إلا كانت معها برقة!

قال له رسول الله ﷺ: يا سلمان رأيت ذلك؟

فقال: إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله

قال: فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها،  
ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٥)



قال له من حضره من أصحابه: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا، ويغنمنا ديارهم، ويخرب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله ﷺ بذلك، ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مدائن قيصر، وما حولها؛ حتى رأيتها بعيني، قالوا: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ديارهم، ويخرب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله ﷺ بذلك، ثم ضربت الثالثة؛ فرفعت لي مدائن الحبشة، وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني، قال رسول الله ﷺ عند ذلك: دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم.<sup>(١)</sup>

### • مكان الخندق وعدد المسلمين

وواصل المسلمون عملهم في حفره، فكانوا يحفرونه طول النهار، ويرجعون إلى أهليهم في المساء، حتى تكامل الخندق حسب الخطة المنشودة، قبل أن يصل الجيش الوثني العرمرم إلى أسوار المدينة .

وكان حفر الخندق أمام سلع و سلع: جبل خلف ظهور المسلمين والخندق بينهم وبين الكفار. وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين فتحصن بالجبل من خلفه وبالخندق أمامهم، وأمر النبي ﷺ بالنساء والذرياري فجعلوا في أطام المدينة واستخلف عليها ابن أم مكتوم.

(١) أخرجه النسائي (٣١٧٦) وحسنه الألباني



• ونقضت بنو قريظة العهد بتحريض من حيي بن أخطب

وانطلق حيي بن أخطب إلى بني قريظة، فدنا من حصنهم، فأبى كعب بن أسد أن يفتح له، فلم يزل يكلمه حتى فتح له، فلما دخل عليه قال: لقد جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش، وغطفان، وأسد على قادتها؛ لحرب محمد قال كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء. فلم يزل به؛ حتى نقض العهد الذي بينه وبين رسول الله ﷺ، ودخل مع المشركين في محاربتهم، فسر بذلك المشركون، وشرط كعب على حيي أنه إن لم يظفروا بمحمد أن يجيء حتى يدخل معه في حصنه، فيصيبه ما أصابه، فأجابته إلى ذلك ووفى له به. وبلغ رسول الله ﷺ خبر بني قريظة، ونقضهم للعهد، فبعث إليهم السعدين، وخوات بن جبير، وعبد الله بن رواحة ليعرفوا: هل هم على عهدهم، أو قد نقضوه؟ فلما دنوا منهم فوجدوهم على أخصب ما يكون، وجاهروهم بالسب والعداوة، ونالوا من رسول الله ﷺ، فانصرفوا عنهم، وحنوا إلى رسول الله ﷺ لحناء يخبرونه أنهم قد نقضوا العهد، وغدروا، فعظم ذلك على المسلمين فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين، واشتد البلاء ونجم النفاق واستأذن بعض بني حارثة رسول الله ﷺ في الذهاب إلى المدينة وقالوا: ﴿إِنْ بِيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا﴾ [الأحزاب: ١٣]، وهم بنو سلمة بالفشل، ثم ثبت الله الطائفتين.



● مدة الحصار وشجاعة علي بن أبي طالب

وأقام المشركون محاصرين رسول الله ﷺ شهرا، ولم يكن بينهم قتال؛ لأجل ما حال الله به من الخندق بينهم وبين المسلمين؛ إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود، وجماعة معه أقبلوا نحو الخندق، فلما وقفوا عليه قالوا: إن هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها، ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فاقتحموه، وجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وسلع، ودعوا إلى البراز، فانتدب لعمرو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فبارزه فقتله الله على يديه، وكان من شجعان المشركين، وأبطالهم، وانهمزم الباقون إلى أصحابهم، وكان شعار المسلمين يومئذ "حم لا ينصرون" (١)

● همه ﷺ بصلح غطفان على ثلث ثمار المدينة وشجاعة الأنصار

ولما طالت هذه الحال على المسلمين، أراد رسول الله ﷺ أن يصلح عينة بن حصن، والحارث بن عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة وينصرفا بقومهما، وجرت المفاوضة على ذلك، فاستشار السعديين في ذلك فقالوا: يا رسول الله! إن كان الله أمرك بهذا فسمعا وطاعة، وإن كان شيئا تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه؛ لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله، وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة؛ إلا قرى أو يبعاء، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا؟! والله لا نعطيهم إلا

(١) أنظر مسند الإمام أحمد (٤/٢٣٢٠)



السيف، فصوب رأيهما وقال: إنما هو شيء أصنعه لكم؛ لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة.

● خدعة نعيم بن مسعود للمشركين ويهود نصر الله بها المسلمين  
ثم إن الله عز وجل - وله الحمد - صنع أمراً من عنده خذل به العدو، وهزم جمعهم، وفل حدهم، فكان مما هياً من ذلك أن رجلاً من غطفان يقال له: نعيم بن مسعود بن عامر رضي الله عنه، جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، فمربي بما شئت

فقال رسول الله ﷺ: إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت؛ فإن الحرب خدعة، فذهب من فوره ذلك إلى بني قريظة - وكان عشيراً لهم في الجاهلية - فدخل عليهم، وهم لا يعلمون بإسلامه، فقال: يا بني قريظة، إنكم قد حاربتهم محمداً، وإن قريشا إن أصابوا فرصة انتهبوها، وإلا انشمروا إلى بلادهم راجعين، وتركوكم ومحمداً، فانتقم منكم قالوا: فما العمل يا نعيم؟

قال: لا تقاتلوا معهم؛ حتى يعطوكم رهائن  
قالوا: لقد أشرت بالرأي، ثم مضى على وجهه إلى قريش  
فقال لهم: تعلمون ودي لكم، ونصحي لكم  
قالوا: نعم.

قال إن يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه، وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها إليه، ثم يمالئوننا عليكم،



فإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم، ثم ذهب إلى غطفان فقال لهم مثل ذلك، فلما كان ليلة السبت من شوال بعثوا إلى اليهود: إنا لسنا بأرض مقام، وقد هلك الكراع، والخف، فانهضوا بنا حتى نناجز محمدا، فأرسل إليهم اليهود: إن اليوم يوم السبت، وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه، ومع هذا فإننا لا نقاتل معكم؛ حتى تبعثوا إلينا رهائن، فلما جاءتهم رسلهم بذلك قالت قريش: صدقكم والله نعيم فبعثوا إلى يهود: إنا والله لا نرسل إليكم أحدا ن فاحرجوا معنا حتى نناجز محمدا، فقالت قريظة: صدقكم والله نعيم، فتخاذل الفريقان.

### ● جند الله لنصرة نبيه

وأرسل الله على المشركين جندا من الريح، فجعلت تقوض خيامهم، ولا تدع لهم قدرا إلا كفأتها، ولا طنبا إلا قلعته، ولا يقر لهم قرار، وجند الله من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرعب، والخوف، وأرسل رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان؛ يأتيه بخبرهم، فوجدهم على هذه الحال، وقد تهيئوا للرحيل، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره برحيل القوم، فأصبح رسول الله ﷺ، وقد رد الله عدوه بغيظه لم ينالوا خيرا، وكفاه الله قتالهم، فصدق وعده، وأعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

واستشهد يوم الخندق ويوم قريظة نحو عشرة من المسلمين.



• من نوادر ما حدث في غزوة الأحزاب

١ . مسلم وجنى يقتلان بعضهما

عن أبي سعيد الخدري قال: كان فتى منا حديث عهد بعرس، فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأصناف النهار، فيرجع إلى أهله، فاستأذنه يوماً فقال له رسول الله ﷺ: «خذ عليك سلاحك؛ فيني أخشى عليك قريظة»، فأخذ الرجل سلاحه ثم رجع، فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها الرمح ليطعنها به، وأصابته غيره فقالت له: اكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل، فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش، فأهوى إليها بالرمح، فانتظمتها به، ثم خرج، فركزه في الدار، فاضطربت عليه، فما يدري أيهما كان أسرع موتاً، الحية أم الفتى، فحجنا إلى رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له، وقلنا: ادع الله يحييه لنا، فقال: «استغفروا لصاحبكم»، ثم قال: «إن بالمدينة جنا قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً، فأذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك، فاقتلوه؛ فإنما هو شيطان».<sup>(١)</sup>

٢ . النبي ﷺ يدعو على المشركين لتسبيهم في تأخير صلاة العصر

روى البخاري عن جابر بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس، فجعل يسب كفار قريش، قال: يا رسول الله! ما

(١) انظر صحيح مسلم (٤١٥٠)



كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب، قال النبي ﷺ: والله ما صليتها، فقمنا إلى بطحان، فتوضأ للصلاة، وتوضأنا لها، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب.<sup>(١)</sup>

وروى أيضا عن علي رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق: ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس<sup>(٢)</sup>.

### ٣. تكثير الطعام:

ظل الصحابة رضوان الله عليهم، عند الخندق بلا طعام مدة ثلاثة أيام فأصابهم الجوع، فرزقهم الله تعالى من حيث لم يحتسبوا، وذلك أن جابر بن عبد الله قال: لما حفر الخندق، رأيت بالنبي ﷺ خمصاً شديداً فانكفأت إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ، خمصاً شديداً، فأخرجت لي جراباً فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة داجن فذبحتها، وطحنت الشعير، وفرغت إلى فراغي، وقطعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئت فساورتها، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير، كان عندنا، فتعال أنت، ونفر معك.

(١) البخاري (٥٦١)

(٢) البخاري (٣٨٠٢)



فصاح النبي ﷺ فقال: «يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سؤراً فحي هلا بكم».

فقال رسول الله ﷺ: «لا تنزلن برمتكم، ولا تحبزن عجبكم حتى أجيء». فجئت وجاء رسول الله ﷺ، يقدم الناس، حتى جئت امرأتى فقالت: بك وبك.

فقلت: قد فعلت الذي قلت، فأخرجت له عجينةً، فبصق فيه ﷺ وبارك ثم عمد إلى برمتنا، فبصق وبارك، ثم قال: «ادع خابزة فلتخبز معي، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها». وهم ألف، فأقسم بالله، لقد أكلوا، حتى تركوه، وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجينا ليخبز كما هو<sup>(١)</sup>.

ويروي ابن إسحاق بسنده عن أخت النعمان بن بشير قالت: دعني أُمِّي عمرة بنت رواحة، فأعطتني حُفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت: أي بنية، اذهبي إلى أبيك، وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما.

قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررت برسول الله ﷺ وأنا ألتمس أبي، وخالي فقال ﷺ: "تعالِي يا بنية، ما هذا معك"؟.

فقالت: يا رسول الله، هذا تمر، بعثتني به أُمِّي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه.

قال ﷺ: هاتيه.

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٢)



قالت: فصبيته في كفي رسول الله ﷺ فما ملأتها، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: "اصرخ في أهل الخندق: أن هلم إلى الغداء." فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب

### • القرآن ينزل بأحداث غزوة الأحزاب

وقد نزلت سورة في القرآن باسم غزوة الأحزاب وفيها تفصيل لما حدث بين الناس وما حدثوا به أنفسهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطُؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)﴾

### • خطة الرسول في موقعة الخندق حازت إعجاب المفكرين

#### والباحثين العسكريين

يقول ك. جيورجيو: (ولم تكن خطة محمد ﷺ الحربية هذه سبب إعجاب الناس العاديين وحسب؛ بل مبعث إكبار من وجهة نظر رجال الحرب المتخصصين. إذ كيف استطاع محمد ﷺ استنباط هذه الخطة وإنجازها، لأن النبوغ ليس في استنباط الخطة وحسب، بل في تنفيذها أيضاً. فالذين يقيمون



في منازلهم، ويقرأون على صفحات الجرائد الخطط الحربية، والعمليات العسكرية التي يقوم بها رجال ضد خصومهم لا يقدرين مدى العناء الذي يعانیه القائد في تنفيذ مثل هذه الخطط في ساحة المعركة. وقد كان حفر الخندق في الجزيرة لمنع هجوم جيش معاد جديداً، يشبه « الفالانج » الذي خططه في معاركه السابقة من حيث الجودة والبراعة<sup>(١)</sup>

### • من فوائد غزوة الخندق

١- حفر الخندق يدخل في مفهوم المسلمين لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] فينبغي على المسلمين اتخاذ وسائل القوة المتاحة مهما كان مصدرها، لأن الحكمة ضالة المؤمن ، فحيثما وجدها التقطها.

٢. على المسلم الاستسلام لله ورسوله فإنه سبب للثبات عند الشدائد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَالًّا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وهذه الآية تؤكد على هذا المعنى وهو الاستسلام لله تعالى والامتثال لأوامره وأوامر رسوله، ولو لم يعرف المسلم الحكمة من وراء ذلك، فهو عبد لله وطاعته لازمة وواجبة.

(١) ك. جيورجيو : نظرة جديدة في سيرة رسول الله ، ص ٢٨٩.



٣- من مكانة غزوة الأحزاب وأنها كانت علامة فارقة في حياة النبي ﷺ والصحابة أنزل الله سورة من القرآن باسم هذه الغزوة وهي سورة الأحزاب.

٤- النصر في المعارك لا يكون بكثرة العدد، ووفرة السلاح، وإنما يكون بقوة الإيمان لدى أفراد الجيش، وقد كان الجيش الإسلامي في جميع معاركه، يمثل العقيدة النقية والإيمان المتقد، والفرح بالاستشهاد، والرغبة في ثواب الله وجنته، كما يمثل الفرحة من الاعتناق من الضلال، والفرقة والفساد، بينما كان جيش المشركين يمثل فساد العقيدة، وتفسخ الأخلاق، وتفكك الروابط الاجتماعية، والانغماس في الملذات، والعصبية العمياء للتقاليد البالية، والآباء الماضين، والآلهة المزيفة.

٥- جواز الجمع بين الصلوات في حالة الانشغال التام، وأن الله يعفو عن عباده، فقد جمع النبي ﷺ بين العصر والمغرب والعشاء، روى مسلم عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً»، ثم صلاها بين العشاءين، بين المغرب والعشاء

٦- على القائد أن يستشير أصحابه، ويأخذ أفضل آراءهم، كما استشار النبي ﷺ أصحابه، فأشار سلمان الفارسي وقال: يا رسول الله: "إننا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا". فاستحسن رسول الله ﷺ هذا الرأي منه وعمل به، وكان مما لم تعرفه العرب.



٧. مشروعية الاستشارة محصورة في مجرد مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه. وهي بعد ذلك لا تحمل أي دلالة على جواز صرف المسلمين أعداءهم عن ديارهم إذا ما اقتحموها، باقتطاع شيء من أرضهم أو خيراتهم لهم. إذ إن مما هو متفق عليه في أصول الشريعة الإسلامية أن الذي يحتج به من تصرفاته ﷺ إنما هو أقواله ، وأفعاله التي قام بها ، ثم لم يرد اعتراض عليها من الله في كتابة العزيز.

٨- التبشير دوما وخاصة في وقت الأزمات، وهذا التبشير يبعث الأمل في نفوس الناس ويشحذ عزائمهم، فالنبي ﷺ بشرهم وقت الضيق بفتح فارس والروم واليمن ومصر حت يبين لهم أن الإسلام هو دين العالم القادم ولا يمكن لقوة أن تمنعه.



## المبحث الثامن

### ما بعد غزوة الأحزاب إلى الحديبية

#### أولاً: غزوة بني قريظة

لما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد الخندق، لم يكن إلا أن وضع سلاحه واغتسل، فجاءه جبريل فقال: أوضعت السلاح؟! والله إن الملائكة لم تضع أسلحتها؛ فأنهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب، فسار جبريل في موكبه من الملائكة، ورسول الله ﷺ على أثره في موكبه من المهاجرين والأنصار، وقال لأصحابه يومئذ: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»، فبادروا إلى امتثال أمره، ونهضوا من فورهم، فأدركتهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصليها إلا في بني قريظة كما أمرنا، فصلوها بعد عشاء الآخرة، وقال بعضهم: لم يرد منا ذلك؛ وإنما أراد سرعة الخروج، فصلوها في الطريق، فلم يعنف واحدة من الطائفتين.

وأعطى رسول الله ﷺ الراية علي بن أبي طالب، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ونازل حصون بني قريظة، وحصرهم خمسا وعشرين ليلة، ولما اشتد عليهم الحصار، عرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد ثلاث خصال: إما أن يسلموا ويدخلوا مع محمد في دينه، وإما أن يقتلوا ذراريهم، ويخرجوا



إليه بالسيوف مصلته يناجزونه حتى يظفروا به، أو يقتلوا عن آخرهم، وإما أن يهجموا على رسول الله ﷺ وأصحابه، فأبوا عليه أن يجيئوه إلى واحدة منهم، فبعثوا إليه: أن أرسل إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر نستشيره، فلما رأوه قاموا في وجهه ليكون وقالوا: يا أبا لبابة! كيف ترى لنا أن ننزل على حكم محمد؟ فقال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه يقول: إنه الذبح، ثم علم من فوره أنه قد خان الله ورسوله، فمضى على وجهه، ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ؛ حتى أتى المسجد مسجد المدينة، فربط نفسه بسارية المسجد، وحلف ألا يحله إلا رسول الله ﷺ بيده، وأنه لا يدخل أرض بني قريظة أبدا، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك

قال: دعوه حتى يتوب الله عليه، ثم تاب الله عليه، وحله رسول الله ﷺ بيده، ثم إنهم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فقامت إليه الأوس، فقالوا: يا رسول الله! قد فعلت في بني قينقاع ما قد علمت، وهم حلفاء إخواننا الخزرج، وهؤلاء مواليينا، فأحسن فيهم

فقال: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى.

قال: فذاك إلى سعد بن معاذ.

قالوا: قد رضينا، فأرسل إلى سعد بن معاذ.

وكان في المدينة لم يخرج معهم؛ لأنه أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له ابن العرقه رماه في الأكحل فضرب عليه رسول الله ﷺ خيمة في المسجد يعوده من قريب. فأركب حمارا وجاء إلى رسول الله ﷺ، فجعلوا



يقولون له وهم كنفته: يا سعد ! أجمل إلى مواليك، فأحسن فيهم، فإن رسول الله ﷺ قد حكمك فيهم لتحسن فيهم، وهو ساكت لا يرجع إليهم شيئاً، فلما أكثروا عليه

قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، فلما سمعوا ذلك منه رجع بعضهم إلى المدينة، فنعى إليهم القوم، فلما انتهى سعد إلى النبي ﷺ قال للصحابة: قوموا إلى سيدكم، فلما أنزلوه قالوا: يا سعد إن هؤلاء القوم قد نزلوا على حكمك، قال: وحكمي نافذ عليهم؟.

قالوا: نعم. قال: وعلى المسلمين؟ قالوا: نعم.

قال: وعلى من ها هنا، وأعرض بوجهه وأشار إلى ناحية رسول الله ﷺ إجلالاً له وتعظيماً؟ قال ﷺ: نعم وعليّ.

قال: فإني أحكم فيهم، أن يقتل الرجال، وتسبى الذرية، وتقسم الأموال، فقال رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات، وأسلم منهم تلك الليلة نفر قبل النزول، وهرب عمرو بن سعد، فانطلق، فلم يعلم أين ذهب، وكان قد أبقى الدخول معهم في نقض العهد، فلما حكم فيهم بذلك أمر رسول الله ﷺ بقتل كل من جرت عليه الموسيقى منهم، ومن لم يثبت ألحق بالذرية، فحفر لهم خنادق في سوق المدينة، وضربت أعناقهم، وكانوا ما بين الستمائة إلى السبعمائة، ولم يقتل من النساء أحد سوى امرأة واحدة، كانت طرحت على رأس سويد بن الصامت رحي، فقتلته وجعل



يذهب بهم إلى الخنادق أرسالا أرسالا، فقالوا لرئيسهم كعب بن أسد: يا كعب ما تراه يصنع بنا؟

فقال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ أما ترون الداعي لا ينزع، والذاهب منكم لا يرجع، ولما جيء بجيبي بن أخطب إلى بين يديه، ووقع بصره عليه قال: أما والله ما لمت نفسي في معاداتك، ولكن من يغالب الله يغلب، ثم قال: يا أيها الناس! لا بأس قدر الله، وملحمة كتبت على بني إسرائيل، ثم حبس فضربت عنقه.

واستوهب ثابت بن قيس الزبير بن باطا وأهله وماله من رسول الله، فوهبهم له، فقال له ثابت بن قيس: قد وهبك لي رسول الله ﷺ ووهب لي مالك وأهلك، فهم لك. فقال سألتك بيدي عندك يا ثابت إلا ألحقتني بالأحبة فضرب عنقه وألحقه بالأحبة من اليهود.

### ● وفيها كل العدل والرحمة

والناظر في هذه القصة لا يرى إلا رحمة رسول الله ﷺ وعدله، فإن القوم قد عاهدوه، ولما وجدوا فرصة في الغدر غدروا، ومع ذلك لم يحكم فيهم هو مراعاة لمشاعر الأوس، وترك الحكم لكبيرهم احتراماً لهم، فحكم فيهم سعد بن معاذ بحكم الله تعالى، وأيضاً لم يقتل النبي ﷺ غلاماً صغيراً ولا طفلاً ولا امرأة ولا شيخاً؛ وإنما قتل كل من كان قادراً على حمل السلاح.



ومن رحمته ﷺ أنه ترك رجلا منهم وأولاده وأمواله هبة لأحد الصحابة، وقد تركها له الصحابي فأبى اليهودي إلا القتل! فهل تجد في تاريخ البشرية إلى يومنا هذا عدل ورحمة مثل هذا العدل والرحمة؟!!

ومن ينظر إلى ما يفعل في بلاد المسلمين الآن لا يجد إلا العنف والقسوة من هؤلاء الذين يحاربون الإسلام ويقتلون المسلمين تحت شعار نشر العدل والديمقراطية ومحاربة الإرهاب!!

وكذلك هؤلاء الذين يزعمون أنهم يناصرون الدين ويجاهدون في سبيله فيقتلوا من يخالفهم من المسلمين بزعم أنهم مرتدون!!

- ولذلك قال المستشرق جيورجيو متحدثاً عن الحكم الذي صدر بحق اليهود، بقوله: (خالفت قريظة العهد، وأهملت العقد، وسعت إلى الاتفاق مع الخصوم لضرب المسلمين من الخلف، لذا توجب عليهم الإعدام. لم يصدر المسلمون هذه الفتوى، بل أعلنها رجل اعتبره اليهود صديقاً لهم، وهم الذين اختاروه لهذه المهمة. وبعد صدور هذا الحكم برأ علي النساء والأطفال الذين لم يبلغوا سن الرشد، والشيوخ المسنين. أما الباقون فمن دخل في الإسلام برئت ساحته، وأما الباقون فقد ثبتوا في القلاع والمنازل، وحاربوا ببسالة حتى قتلوا عن بكرة أبيهم)<sup>(١)</sup>.

(١) كلا جيورجيو : نظرة جديدة في سيرة الرسول ، ص ٣٠٣.



وبحادثه بني قريظة تكون المدينة قد خلصت تماما للمؤمنين عدا شرذمة المنافقين، الذين دخلوا في الدين خوفا على أنفسهم وأموالهم، لكنهم ناصبوا النبي ﷺ والمؤمنين كل العداء، وقد كفاهم الله عزوجل شرهم.

### ثانيا: قتل عبد الله بن أنيس أبا رافع اليهودي

بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ، ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحتهم، فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم؛ فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبد الله! إن كنت تريد أن تدخل فادخل؛ فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت، فكمنت، فلما دخل الناس، أغلق الباب، ثم علق الأغاليق على وتد، فقامت إلى الأقاليد فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت علي من داخل، قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت، فقلت: يا أبا رافع! قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف، وأنا دهش، فما أغنيت شيئا، وصاح، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأملك الويل، إن



رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف، قال: فأضربه ضربة أنخنته، ولم أقتله، ثم وضعت ظبة السيف في بطنه؛ حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب، بابا بابا؛ حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقِي، فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت؛ حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته، فلما صاح الديك، قام الناعي على السور فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: ابسط رجلك، فبسطت رجلي، فمسحها، فكأنها لم أشتكها قط. (١)

### ثالثا: غزوة بني لحيان

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني لحيان بعد قريظة بستة أشهر؛ ليغزوهم، وكانوا قد غدروا بعشرة من أصحاب رسول الله ﷺ وسلم بالرجيع، وتسببوا في قتلهم، ولكن لما كانت ديارهم متوغلة في الحجاز إلى حدود مكة. والتارات الشديدة قائمة بين المسلمين وقريش والأعراب، لم يكن يري رسول الله ﷺ أن يتوغل في البلاد بمقربة من العدو الأكبر، فلما تخاذلت الأحزاب، واستوهنت عزائمهم، واستكانوا للظروف الراهنة إلى حد ما، فخرج رسول الله ﷺ في مائتي رجل، وأظهر أنه يريد الشام، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ثم

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣٣)



أسرع السير؛ حتى انتهى إلى بطن غران . واد من أودية بلادهم وهو بين أمج وعسفان . حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، وسمعت بنو لحيان، فهربوا في رءوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يومين بأرضهم، وبعث السرايا، فلم يقدروا عليهم، فسار إلى عسفان، فبعث عشرة فوارس إلى كراع الغميم؛ لتسمع به قريش، ثم رجع إلى المدينة، وكانت غيبته عنها أربع عشرة ليلة. <sup>(١)</sup>

وبهذا يكون النبي ﷺ قد بسط نفوذه حول المدينة وبدأ بتأمينها من ناحية مكة.

#### رابعاً: سرية الخبط

"استثمر المسلمون ما أصاب الأحزاب من فشل، وضيقوا على قريش الخناق الاقتصادي من جديد فأرسل النبي ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار لرصد قافلة لقريش قرب ساحل البحر فأصابهم الجوع حتى أكلوا الخبط، فسمي جش الخبط" <sup>(٢)</sup>

وروى مسلم عن جابر، قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة، نتلقى عيرا لقريش، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمره تمر، قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟

(١) زاد المعاد (٢٧٦/٣) والرحيق المختوم ص ٣٦١

(٢) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية (٤٣٣ / ٢)



قال: نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط، ثم نبله بالماء فنأكله

قال: وانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم، فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر

قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا، بل نحن رسل رسول الله ﷺ، وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال: فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلاث مائة حتى سمنا، قال: ولقد رأيتنا نعترف من وقب عينه بالقلال الدهن، ونقتطع منه الفدر كالثور، أو كقدر الثور، فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا، فأقعدهم في وقب عينه، وأخذ ضلعا من أضلاعه فأقامها ثم رحل أعظم بغير معنا، فمر من تحتها وتزودنا من لحمه وشائق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ، فذكرنا ذلك له، فقال: «هو رزق أخرجته الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟»، قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله<sup>(١)</sup>

وفيها جواز أكل لحم الحيتان الميتة، وأنها غير محرمة، وذلك لقول النبي ﷺ عن البحر: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته»<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح مسلم (٣/ ١٥٣٥)

(٢) أخرجه أحمد (٨٧٣٥) وأبو داود (٨٣) من حديث أبي هريرة، وصححه الألباني



## المبحث التاسع

### الطريق إلى الحديبية<sup>(١)</sup>

قَالَ نَافِعٌ: كَانَتْ سَنَةٌ سِتِّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ وَهُوَ قَوْلُ الزَّهْرِيِّ، وَقَتَادَةَ، وَمُوسَى بْنِ عَقْبَةَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَغَيْرِهِمْ. وَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَكَّةَ لِأَدَاءِ الْعُمْرَةِ فَسَارَ بِأَصْحَابِهِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ أَلْفَ وَأَرْبَعِمِائَةَ عَلَى الصَّحِيحِ فَلَمَّا كَانُوا بِذِي الْحَلِيفَةِ، قَلَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْهَدْيَ، وَأَشْعَرَهُ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ، وَبَعَثَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَيْنًا لَهُ مِنْ خِزَاعَةٍ؛ يَخْبِرُهُ عَنْ قَرِيشٍ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنْ عَسْفَانَ، أَتَاهُ عَيْنُهُ فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍ قَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ، وَجَمَعُوا لَكَ جَمُوعًا، وَهَمَّ مَقَاتِلُوكَ، وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَمَانَعُوكَ.

### • استشارة النبي ﷺ لأصحابه

وَاسْتِشَارَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ، وَقَالَ: أَتُرُونَ أَنْ نَمِيلَ إِلَى ذُرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعَانُوهُمْ؛ فَنُصِيبُهُمْ؛ فَإِنْ قَعَدُوا، قَعَدُوا مَوْتُورِينَ مَحْرُوبِينَ، وَإِنْ يَجِئُوا تَكُنْ عُنُقًا قَطَعَهَا اللَّهُ، أَمْ تَرُونَ أَنْ نَوْمَ الْبَيْتِ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتِلِنَاهُ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، إِنَّمَا جِئْنَا مَعْتَمِرِينَ، وَلَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ؛ وَلَكِنْ مِنْ حَالِ بَيْنِنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتِلِنَاهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَرُوحُوا إِذَا، فَرَاخُوا، حَتَّى إِذَا كَانُوا

(١) أخذنا القصة كاملة من كتاب زاد المعاد (٣/٢٨٨-٢٩٩) بتصريف بسيط، وزيادة والقصة

مبسوطة في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة



ببعض الطريق قال النبي ﷺ: " إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة شعر بهم خالد؛ حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيرا لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق؛ ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها، ثم زجرها، فوثبت به، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، إنما يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبثه الناس أن نزحوه، فشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، قال: فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه.

### ● اختيار عثمان بن عفان مبعوثا للنبي إلى أهل مكة

وفزعت قريش لنزوله عليهم، فأحب رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم رجلا من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب ليعثه إليهم، فقال: يا رسول الله! ليس لي بمكة أحد من بني كعب يغضب لي إن أوذيت، فأرسل عثمان بن عفان؛ فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما أردت، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فأرسله إلى قريش وقال: أخبرهم أنا لم نأت لقتال؛ وإنما جئنا عمارا، وادعهم إلى الإسلام، وأمره أن يأتي رجلا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات فيدخل عليهم، ويشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة؛ حتى لا



يستخفى فيها بالإيمان، فانطلق عثمان فمر على قريش ببلدح، فقالوا: أين تريد؟

فقال ﷺ: أدعوكم إلى الله، وإلى الإسلام، وأخبركم إننا لم نأت لقتال؛ وإنما جئنا عمارا

فقالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك، وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به، وأسرج فرسه، فحمل عثمان على الفرس، وأجاره، وأردفه أبان؛ حتى جاء مكة، وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان: خلص عثمان قبلنا إلى البيت، وطاف به، فقال رسول الله ﷺ: ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون " فقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص؟ قال: ذاك ظني به ألا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه.

### • بيعة الرضوان

واختلط المسلمون بالمشركين في أمر الصلح، فرمى رجل من أحد الفريقين رجلا من الفريق الآخر، وكانت معركة، وتراموا بالنبل والحجارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتهن كل واحد من الفريقين بمن فيهم، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل، فدعا إلى البيعة، فثار المسلمون إلى رسول الله ﷺ، وهو تحت الشجرة، فبايعوه على ألا يفروا، فأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه، وقال: هذه عن عثمان.



وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]

• رجوع عثمان من مكة سالما

ولما تمت البيعة، رجع عثمان فقال له المسلمون: اشتفت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت؟

فقال: بئس ما ظننتم بي، والذي نفسي بيده لو مكثت بها سنة ورسول الله ﷺ مقيم بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله ﷺ، ولقد دعيتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت، فقال المسلمون: رسول الله ﷺ كان أعلمنا بالله، وأحسننا ظنا، وكان عمر آخذا بيد رسول الله ﷺ للبيعة تحت الشجرة، فبايعه المسلمون كلهم؛ إلا الجذ بن قيس، وكان معقل بن يسار آخذا بغصنها يرفعه عن رسول الله ﷺ، وكان أول من بايعه أبو سنان الأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات في أول الناس وأوسطهم وآخرهم.

• بدليل بن ورقاء يأتي بخبر للنبي ﷺ

فبينما هم كذلك؛ إذ جاء بدليل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلون وصادوك عن البيت، قال رسول الله ﷺ: إنا لم نحج لقتال أحد؛ ولكن



جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم، ويحلوا بيني وبين الناس، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبو إلا القتال، فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنهم على أمري هذا، حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره قال بديل: سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال: إني قد جئتمكم من عند هذا الرجل وقد سمعته يقول قولاً، فإن شئتم عرضته عليكم. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء.

وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته،

قال: سمعته يقول: كذا وكذا. فحدثهم بما قال النبي ﷺ.

### ● عروة بن مسعود الثقفي مبعوث قريش إلى النبي ﷺ

فقال عروة بن مسعود الثقفي: إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتة فقالوا: آتته، فأتاه، فجعل يكلمه

فقال له النبي ﷺ: نحوا من قوله لبديل

فقال له عروة عند ذلك: أي محمد! أرايت لو استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوهاً، وأرى أوشاباً من الناس خليقاً أن ينفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه.

قال: من ذا؟

قالوا: أبو بكر.



قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وجعل يكلم ﷺ، وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة عند رأس النبي ﷺ ومعه السيف، وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: أحر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه وقال: من ذا؟  
قالوا: المغيرة بن شعبة.

فقال: أي غدر! أولست أسعى في غدرتك؟ . وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية، فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم ..  
فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء.

### • ورأى عروة من الصحابة عجبا

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه، فوالله ما تنخم النبي ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها جلده، ووجهه، وإذا أمرهم؛ ابتدروا أمره، وإذا توضأ؛ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك على كسرى، وقيصر، والنجاشي، والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ومحمد، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم؛ فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم، ابتدروا أمره، وإذا توضأ، كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر؛ تعظيما له، وقد عرض



عليكم خطة رشد، فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتة فقالوا: آتته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه.

قال رسول الله ﷺ: هذا فلان "وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له، فبعثوها له، واستقبله القوم يلبون، فلما رأى ذلك

قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فرجع إلى أصحابه، فقال: رأيت البدن قد قلت، وأشعرت، وما أرى أن يصدوا عن البيت، فقام

مكرز بن حفص

فقال: دعوني آتة. فقالوا: آتته، فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: هذا

مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر، فجعل يكلم رسول الله ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو

**عقد صلح الحديبية ونوده**

فقال النبي ﷺ: قد سهل لكم من أمركم، فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا، فدعا الكاتب فقال " اكتب بسم الله الرحمن الرحيم".

فقال سهيل: أما الرحمن؛ فوالله ما ندري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم كنت تكتب

فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم

فقال النبي ﷺ: اكتب باسمك اللهم، ثم قال: اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله



فقال سهيل: فوالله لو كنا نعلم أنك رسول الله ﷺ ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك؛ ولكن أكتب محمد بن عبد الله

فقال النبي ﷺ: إني رسول الله وإن كذبتُموني، أكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به "

فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة؛ ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب

فقال سهيل: على أن لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا فقال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلى المشركين، وقد جاء مسلما؟!،

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين، فقال سهيل:

هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي

فقال النبي ﷺ: " إنا لم نقض الكتاب بعد !

فقال: فوالله إذا لا أصلحك على شيء أبدا

فقال النبي ﷺ: " فأجزه لي "

قال: ما أنا بمجيزه لك.

قال: بلى فافعل

قال: ما أنا بفاعل.

قال مكرز: بلى قد أجزناه،



فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين! أرد إلى المشركين، وقد جئت مسلماً،  
 ألا ترون ما لقيت . وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً  
 قال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت النبي  
 ﷺ فقلت: يا رسول! ألسنت نبي الله حقاً؟

قال: بلى

قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟

قال: بلى.

فقلت: علام نعطي الدنيا في ديننا إذأً، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبين  
 أعدائنا؟

فقال: إني رسول الله، وهو ناصري، ولست أعصيه

قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟

قال: بلى؛ أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟

قلت: لا.

قال: فإنك آتية ومطوف به.

قال: فأتيت أبا بكر، فقلت له كما قلت لرسول الله ﷺ، ورد علي أبو بكر،

كما رد علي رسول الله ﷺ سواء، وزاد: فاستمسك بعرزته حتى تموت فوالله

إنه لعلي الحق

قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.



فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ: قوموا فانحروا، ثم احلقوا، فوالله ما قام منهم رجل واحد؛ حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة؛ حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام، فخرج، فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك؛ قاموا فانحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما وجاءت المؤمنات مهاجرات

ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [المتحنة: ١٠]، فطلق عمر يومئذ امرأتين؛ كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية، والأخرى صفوان بن أمية.

### • رجوع النبي ﷺ إلى المدينة ونزلت سورة الفتح

ثم رجع إلى المدينة وفي مرجعه أنزل الله عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا \* لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ



صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا \* وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿الفتح: ١﴾

فقال عمر: أوفتح هو يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال الصحابة: هنيئا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي

قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الفتح: ٤﴾

### • ما وقع في الحديبية

#### ١ . شروط الصلح

وجرى الصلح بين المسلمين وأهل مكة على: وضع الحرب عشر سنين، وأن يأمن الناس بعضهم من بعض، وأن يرجع عنهم عامه ذلك؛ حتى إذا كان العام المقبل قدمها، وخلوا بينه وبين مكة، فأقام بها ثلاثا، وأن لا يدخلها إلا بسلاح الراكب، والسيوف في القرب، وأن من أتانا من أصحابك لم نرده عليك، ومن أتاك من أصحابنا رددته علينا، وأن بيننا وبينك عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال، فقالوا: يا رسول الله! نعطيهم هذا؟ فقال: من أتاهم منا فأبعده الله، ومن أتانا منهم فرددناه إليهم جعل الله له فرجا ومخرجا.

٢ . أنزل الله - عز وجل - فدية الأذى لمن حلق رأسه بالصيام أو الصدقة أو النسك في شأن كعب بن عجرة.

٣ . وفيها دعا رسول الله ﷺ للمحلقين بالمغفرة ثلاثا، وللمقصرين مرة.

٤ . وفيها نحرروا البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة.



- ٥ . وفيها أهدى رسول الله ﷺ في جملة هديه جملا كان لأبي جهل كان في أنفه برة من فضة ليغيظ به المشركين
- ٦ . وفيها أنزلت سورة الفتح، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، وكان في الشرط أن من شاء أن يدخل في عقده ﷺ دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش دخل.



## المبحث العاشر

### بعد الحديبية

وقعت بعض الأحداث بعد صلح الحديبية، وقبل غزوة خيبر نذكر أهمها على وجه الاختصار

#### ● قصة أبي بصير

ولما رجع ﷺ إلى المدينة، جاءه أبو بصير . رجل من قريش مسلما . فأرسلوا في طلبه رجلين، وقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به؛ حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا جيدا، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت به، ثم جربت فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه به حتى برد، وفر الآخر يعدو؛ حتى بلغ المدينة، فدخل المسجد فقال رسول الله ﷺ حين رآه: " لقد رأى هذا ذعرا "، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي، وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله! قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، فأنجاني الله منهم فقال النبي ﷺ: " ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد "

فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، وبنفتل منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فلا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله لا يسمعون



بعير لقريش خرجت إلى الشام إلا اعتراضوا لها، فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] - حتى بلغ - ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]، وكانت حميتهم: أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله، ولم يقرؤا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت. (١)

### • مكاتبة النبي ﷺ للملوك (٢)

وقام النبي ﷺ بعد استقرار الوضع في المدينة، والأمن من جانب مكة وكثير من القبائل بإرسال الكتب إلى ملوك البلاد، يدعوهم فيه إلى دين الله تعالى منهم:

- ١- النجاشي ملك الحبشة، وكان قد أسلم ودخل في دين الله تعالى، ولما مات صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب
- ٢- المقوقس ملك مصر، وقد أرسل إلى النبي ﷺ بمارية القبطية هدية، وأسلمت قبل دخولها المدينة. وكانت أم إبراهيم عليه السلام

(١) زاد المعاد (٢٩٦/٣) وأنظر صحيح البخاري (٢٥٢٩)

(٢) انظر: الرحيق المختوم ص ٣٩٢-٤٠٥، وزاد المعاد لابن القيم (٦٨٨/٣)



٣. كسرى ملك الفرس، وقد نظر إلى الكتاب في غطرسة ومزقه وسب النبي ﷺ، فلما علم رسول الله ﷺ دعا عليه، وتحققت دعوة النبي ﷺ وقتل ومزق ملكه كما مزق كتاب رسول الله ﷺ.

٤- قيصر ملك الروم، وكاد الرجل أن يسلم لولا خوفه على نفسه وملكه، لكنه أكرم رسول رسول الله ﷺ بالهداية.

٥- المنذر بن ساوي حاكم البحرين، وقد استجاب للدعوة وأسلم كثير من أهل البحرين

٦- هودذة بن علي صاحب اليمامة، ورد ردا أراد أن يجعل له النبي ﷺ شيئا ورفض الدخول في الإسلام مات

٧. الحارث بن أبي شمر صاحب دمشق، فلم يسلم ورد بغطرسة

٨. ملك عمان جيفر وأخيه، ودخل في دين الله تعالى.

### • قصة سلمة بن الأكوع وغزوة ذي قرد

روى مسلم عن سلمة بن الأكوع قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، ونحن أربع عشرة مائة، وعليها خمسون شاة، لا ترويهما، فقعده رسول الله ﷺ على جبا الركية، فإما دعا، وإما بصق فيها، فجاشت فسقينا، واستقينا، ثم إن رسول الله ﷺ دعانا للبيعة في أصل الشجرة، فبايعته أول الناس، ثم بايع، وبايع؛ حتى إذا كان في وسط من الناس قال: بايع يا سلمة، قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس



قال: وأيضاً؛ ورآني رسول الله ﷺ عزلاً - يعني ليس معه سلاح - فأعطاني رسول الله ﷺ حشفة، أو درقة، ثم بايع؛ حتى إذا كان في آخر الناس قال: ألا تبايعني يا سلمة!

قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس، وفي أوسط الناس قال: وأيضاً، فبايعته الثالثة، ثم قال لي: يا سلمة أين حجفتك، أو درقتك التي أعطيتك؟

قلت: يا رسول الله! لقيني عمي عامر عزلاً، فأعطيته إياها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: إنك كالذي قال الأول: اللهم أبغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي، ثم إن المشركين راسلونا الصلح؛ حتى مشى بعضنا في بعض، واصطلحنا، وكنت تبعا لطلحة بن عبيد الله؛ أسقي فرسه، وأحسه، وأخدمه، وأكل من طعامه، وتركت أهلي، ومالي؛ مهاجرا إلى الله ورسوله ﷺ، فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة، واختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة، فكسحت شوكها، فاضطجعت في أصلها، فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ، فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم، واضطجعوا، فبينما هم كذلك؛ إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين! قتل ابن زنيم، فاخرطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة، وهم رقود، فأخذت سلاحهم، فجعلته ضغثا في يدي، ثم قلت: والذي كرم وجه محمد لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ، وجاء عمي عامر برجل من



العبلات، يقال له: مكرز، يقوده إلى رسول الله ﷺ على فرس مجفف في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: دعوهم يكن لهم بدء الفجور، وثناه فعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]، ثم خرجنا راجعين إلى المدينة، فنزلنا منزلا بيننا وبين بني لحيان جبل، وهم المشركون، فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقي هذا الجبل الليلة، كأنه طلحة للنبي ﷺ وأصحابه، فرقيت تلك الليلة مرتين، أو ثلاثا، ثم قدمنا المدينة، فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلام رسول الله ﷺ، وأنا معه، وخرجت معه بفرس طلحة أنديه مع الظهر، فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع، وقتل راعيه، فقلت: يا رباح خذ هذا الفرس فأبلغه طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه، ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثا: يا صباحاه، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل، وأرتجز أقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فألحق رجلا منهم، فأصك سهما في رحله؛ حتى خلص نصل السهم إلى كتفه، قلت: خذها وأنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضع. فوالله ما زلت أرميهم، وأعقر بهم، فإذا رجعت إلي فارس أتيت شجرة، فجلست في أصلها، ثم



رميته، فعقرت به حتى إذا تضايق الجبل، فدخلوا في تضايقه، علوت الجبل، فجعلت أريهم بالحجارة، فما زلت كذلك أتبعهم؛ حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري، وخلقوا بيني وبينه، ثم اتبعتهم أرميهم؛ حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة، وثلاثين رحا يستخفون، ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً من الحجارة يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى أتوا متضايقا من ثنية، فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري، فجلسوا يتضحون - يعني يتغدون - وجلست على رأس قرن قال الفزاري: ما هذا الذي أرى؟

قالوا: لقينا من هذا البرح، والله ما فارقنا منذ غلس، يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا

قال: فليقم إليه نفر منكم أربعة، فصعد إلي منهم أربعة في الجبل، فلما أمكنوني من الكلام قلت: هل تعرفوني؟ قالوا: لا، ومن أنت؟

قلت: أنا سلمة بن الأكوع، والذي كرم وجه محمد ﷺ لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني

قال أحدهم: أنا أظن، فرجعوا، فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر، فإذا أولهم الأحرم الأسدي، على إثره أبو قتادة



الأنصاري، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي، فأخذت بعنان الأخرم، فولوا مدبرين

قلت: يا أحرم! احذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه، قال: يا سلمة! إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق والنار حق، فلا تحل بيني وبين الشهادة، فخليته فالتقى هو وعبد الرحمن، فعقر بعدد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحول على فرسه، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه، فقتله، فوالذي كرم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي؛ حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ، ولا غبارهم شيئاً، حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء، يقال له: (ذو قرد) ليشربوا منه، وهم عطاش، فنظروا إلي أعدو وراءهم، فخليتهم عنه - يعني أجليتهم عنه - فما ذاقوا منه قطرة، ويخرجون فيشتدون في ثنية، فأعدو، فألحق رجلاً منهم، فأصكه بسهم في نغض كتفه، قلت: خذها وأنا ابن الأكواع واليوم يوم الرضع

قال: يا ثكلته أمه أكوعه بكرة؟!،

قلت: نعم يا عدو نفسه، أكوعك بكرة، وأردوا فرسين على ثنية، فحئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ، ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن، وسطيحة فيها ماء، فتوضأت، وشربت، ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حلأهم عنه، فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل، وكل شيء استنقذته من المشركين، وكل رمح وبردة، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي



استنقذت من القوم، وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها، وسنامها، قلت: يا رسول الله! خلني، فأنتخب من القوم مائة رجل، فأتبع القوم، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار

فقال: يا سلمة! أترك كنت فاعلا؟

قلت: نعم، والذي أكرمك

فقال: إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان، فجاء رجل من غطفان

فقال: نحر لهم فلان جزورا، فلما كشفوا جلودها رأوا غبارا

فقالوا: أتاكم القوم، فخرجوا هارين، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة، ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين؛ سهم الفارس، وسهم الراجل، فجمعهما لي جميعا، ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة، فبينما نحن نسير، وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدا، فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة، هل من مسابق؟ فجعل يعيد ذلك، فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريمًا، ولا تهاب شريفًا؟!

قال: لا؛ إلا أن يكون رسول الله ﷺ

قلت: يا رسول الله! بأبي وأمي؛ ذرني فلاسابق الرجل

قال: إن شئت



قلت: اذهب إليك، وثبتت رجلي، فطفرت، فعدوت، فربطت عليه شرفاً، أو شرفين، أستبقي نفسي، ثم عدوت في إثره، فربطت عليه شرفاً أو شرفين، ثم إني رفعت حتى ألحقه، فأصكه بين كتفيه  
 قلت: قد سبقت والله، قال: أنا أظن، فسبقته إلى المدينة.<sup>(١)</sup>

(١) أخرجه مسلم (٣٣٧٢)



## المبحث الحادي عشر

### غزوة خيبر

الحرم سنة سبع من الهجرة (أغسطس سنة ٦٢٨م)

#### ● عرض مختصر للغزوة

استخلف النبي ﷺ على المدينة سبع بن عرفة، وعزم الرحيل إلى خيبر بعد الرجوع من الحديبية

قال سلمة بن الأكوع: فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال، حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ فسرنا ليلا، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك، وكان عامر رجلا شاعرا، فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم:

تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا

وأنزلن سكينه علينا

فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟

قال: أنا عامر

قال: غفر لك ربك

قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، فنأدى عمر بن

الخطاب وهو على جمل له: يا نبي الله! لولا ما متعتنا بعامر



قال: فلما قدمنا خيبر، وكان إذا أتى قوماً بليل لم يغر بهم حتى يصبح،<sup>(١)</sup> ولما دنا النبي ﷺ وأشرف عليها قال "قفوا" فوقف الجيش فقال: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله<sup>(٢)</sup>

ولما قدم رسول الله ﷺ خيبر صلى بها الصبح وركب المسلمون فخرج أهل خيبر بمساحيهم، ومكاتلهم ولا يشعرون بل خرجوا لأرضهم فلما رأوا الجيش قالوا: محمد والله محمد والخميس ثم رجعوا هارين إلى حصونهم فقال النبي ﷺ: الله أكبر خربت خيبر، الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.<sup>(٣)</sup>

فحاصرناهم حتى أصابتنا حمصة شديدة، ثم إن الله تعالى فتحها عليهم، فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم؛ أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال النبي ﷺ: ما هذه النيران؟ على أي شيء توقدون؟ قالوا: على لحم، قال: على أي لحم؟

(١) صحيح مسلم (٣٣٦٣) وما بين المعكوفتين من حديث أنس عند البخاري (وحدِيث سلمة (٣٨٧٥)

(٢) حسن: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٥٤٥) وأبونعيم في معرفة الصحابة (٦٣٩٥) وله شواهد في النسلي في الكبرى (٨٨٢٦) والحاكم في مستدرکه (١٥٨٦)

(٣) البخاري (٣٨٢٩) من حديث أنس



قالوا: لحم حمر الإنسية

قال النبي ﷺ: أهريقوها، واكسروها

فقال رجل: يا رسول الله! أو نهريقها، ونغسلها؟

قال: أو ذاك

قال سلمة: خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول قد علمت خير أني  
مرحب

شاكبي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلهب

قال: وبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خير أني عامر شاكبي السلاح بطل مغامر

قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، وذهب عامر يسفل  
له، فرجع سيفه على نفسه، فقطع أكحلها، فكانت فيها نفسه

قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل  
عامر؛ قتل نفسه، فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي

فقلت: يا رسول الله! بطل عمل عامر؟

قال رسول الله ﷺ: من قال ذلك؟

قلت: ناس من أصحابك

قال: كذب من قال ذلك؛ بل له أجره مرتين، ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد  
فقال: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله، فأتيت عليا،



فجئت به أقوده، وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبسق في عينيه، فبرأ وأعطاه الراية، وخرج مرحب فقال:

قد علمت خير أني مرحب      شاكي السلاح بطل مجرب  
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدر      كليث غابات كربه المنظره  
أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال: فضرب رأس مرحب، فقتله، ثم كان الفتح على يديه.

### • أهم ما حدث في الغزوة

لقد جرت في هذه الغزوة أحداث كثيرة، وذكرت فيها أحكام شتى، لا يتحملها هذا المختصر وهي تحتاج إلى مؤلف بمفردها لذا نذكر أهم ما حدث فيها:

١. روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ حبير، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حبي بن أخطب، وقد قتل زوجها، وكانت عروسا فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغنا سد الروحاء، حلت، فبنى بها، ثم صنع حيسا في نطع صغير، ثم قال رسول الله ﷺ: آذن من حولك، فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ على صفية، ثم خرجنا إلى المدينة، قال: فرأيت رسول الله ﷺ يحوي لها وراءه



عباءة، ثم يجلس عند بعيده، فيضع ركبته، فتضع صفيحة رجلها على ركبته حتى تتركب. (١)

٢. روى أبو داود بسند صحيح عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر، فغلب على النخل والأرض، وأجأهم إلى قصرهم، فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة، ولهم ما حملت ركابهم، على أن لا يكتموا، ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا! فلا ذمة لهم، ولا عهد، فغيبوا مسكاً لحبي بن أخطب، وقد كان قتل قبل خيبر، كان احتمله معه يوم بني النضير حين أجليت النضير، فيه حليهم، فقال النبي ﷺ لسعية: أين مسك حبي بن أخطب؟

قال: أذهبته الحروب، والنفقات، فوجدوا المسك، فقتل ابن أبي الحقيق، وسبى نساءهم، وذراريهم، وأراد أن يجليهم، فقالوا: يا محمد دعنا نعمل في هذه الأرض، ولنا الشطر ما بدا لك، ولكم الشطر، وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقا من تمر، وعشرين وسقا من شعير. (٢)

وفي هذا الموقف تتحلى رحمة النبي ﷺ أمام غدر اليهود وخيانتهم، فلقد أخذ عليهم العهد أن لا يكتموا شيئاً، وقد نفذ فيهم ما اختاروه هم، ومن رحمته

(١) البخاري (٢٠٨١)

(٢) أبو داود (٢٦١٢) وصححه الألباني



بهم عندما أراد أن يطردهم من الأرض، وهذا حقه، طلبوا منه أن يقيهم ويعطوه الشطر من إنتاجها فوافقهم على ذلك ﷺ.

٣. لم يظلم النبي ﷺ اليهود في حربه لهم؛ بل مكأدهم وغدرهم هو الذي فعل بهم ذلك، حتى أن المنصفين من المستشرقين قد لاحظوا ذلك يقول جيورجيو: ( حين علم سكان خيبر أن المسلمين عقدوا هدنة مع أهل مكة صمموا على حربهم وحدهم، وذلك بأن يهاجموا المدينة بصورة خاطفة. ولكن محمداً ﷺ أعد ألفاً وخمسمئة محارب لحرب خيبر، في حين أن اليهود يستطيعون تجهيز عشرين ألف مقاتل ) (١).

وحاصر جيش المسلمين بقيادة علي بن إلى طالب معاقل اليهود في خيبر، وسرعان ما أخذت قلاعهم تتساقط الواحدة تلو الأخرى، ودان اليهود بسلطان المسلمين. ...

(وأحسن محمد ﷺ معاملة اليهود. إذ سمح لمن يريد منهم بالرحيل، وحمل ما يريدون، عدا التمر والغنم والغلال. وبرواية أخرى عدا أثاث المنازل. أما من لم يرد الرحيل فليبق، وله الحرية في العمل الذي يريد. كما انه منع المسلمين من الزواج بالنساء اليهوديات على طريقة الزواج بالمتعة و"المتعة" زواج مؤقت بنساء الأمة المغلوبة. وللمسلم كامل الحرية في اقتناء النساء على أساس هذا الزواج. أما إذا كانت النساء قلة فيوزعن عليهم بالتساوي.

(١) ك. جيورجيو : ص ٣٢٩.



كما أن علياً منع الجنود المسلمين من دخول بساتين اليهود، والعبث بحقول الخيل، كيلا يؤذوا فواكههم أو أشجارهم. وكي يوطد محمد ﷺ العلاقة بين المسلمين واليهود عقد قرانه على صفيية إحدى نساءهم. وكان يسكن في وادي القرى - قرب تلك الديار - قبيلتان يهوديتان، وقبيلتان أخريان سكنتا فذك وتيماء. فبعد أن رأوا انتصار المسلمين في خيبر عقدوا معهم صلحا، يدفعون فيه الجزية المستحقة (١)

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣٣-٣٣٤ .



## المبحث الثاني عشر

### أحداث بين خيبر وفتح مكة

وقعت عدة أحداث بعد خيبر تذكر منها: <sup>(١)</sup>

#### • رد المهاجرين منح الأنصار بعدما وسع الله عليهم

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة رد المهاجرون إلى الأنصار منائجهم التي كانوا منحوهم إياها من النخيل، حين صار لهم بخير مال، ونخيل فكانت أم سليم - وهي أم أنس بن مالك - أعطت رسول الله ﷺ عذاقا، فأعطاهن أم أيمن مولاته، وهي أم أسامة بن زيد، فرد رسول الله ﷺ على أم سليم عذاقها، وأعطى أم أيمن مكانهن من حائطه مكان كل عذق عشرة".  
وأقام رسول الله ﷺ في المدينة بعد مقدمه من خيبر إلى شوال وبعث في السرايا.

#### • سرية الصديق إلى بني فزارة

فمنها: "سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى نجد قبل بني فزارة، ومعه سلمة بن الأكوع، فوقع في سهمه جارية حسناء، فاستوهبها منه رسول الله ﷺ وفادى بها أسرى من المسلمين كانوا بمكة". <sup>(٢)</sup>

(١) من كتاب زاد المعاد لابن القيم مع التصرف بالزيادة والنقص من المصادر الأخرى وتجنب

الضعيف منها

(٢) أنظر صحيح مسلم (١٧٥٥)



• سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة بفدك

ومنها: سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة بفدك في ثلاثين رجلا، فخرج إليهم فلقى رعاء الشاء فاستاق الشاء والنعم ورجع إلى المدينة، فأدركه الطلب عند الليل فباتوا يرمونهم بالنبل حتى فني نبل بشير وأصحابه، فولى منهم من ولى وأصيب منهم من أصيب، وقاتل بشير قتالا شديدا، ورجع القوم بنعمهم وشائهم وتحامل بشير حتى انتهى إلى فدك فأقام عند يهود حتى برئت جراحه فرجع إلى المدينة.

• سرية أسامة إلى الحرقة من جهينة

ثم بعث رسول الله ﷺ سرية إلى الحرقة من جهينة، وفيهم أسامة بن زيد، فلما دنا منهم بعث الأمير الطلائع، فلما رجعوا بخبرهم أقبل، حتى إذا دنا منهم ليلا، وقد احتلبوا، وهدءوا، قام فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأن تطيعوني، ولا تعصوني، ولا تخالفوا أمري، فإنه لا رأي لمن لا يطاع، ثم رتبهم، وقال: يا فلان أنت، وفلان، ويا فلان أنت، وفلان، لا يفارق كل منكما صاحبه، وزميله، وإياكم أن يرجع أحد منكم، فأقول أين صاحبك؟ فيقول: لا أدري، فإذا كبرت فكبروا، وجرذوا السيوف، ثم كبروا، وحملوا حملة، واحدة، وأحاطوا بالقوم، وأخذتهم سيوف الله، فهم يضعونها منهم حيث شاءوا، وشعارهم أمت أمت



## وأخطأ أسامة

خرج أسامة في أثر رجل منهم، يقال له: مرداس بن نهيك، فلما دنا منه، ولحمه بالسيف قال: لا إله إلا الله، فقتله، ثم استاقوا الشاء، والنعم والذرية، وكانت سهمانهم عشرة أبعرة لكل رجل، أو عدلها من النعم، فلما قدموا على رسول الله ﷺ، أخبر بما صنع أسامة، فكبر ذلك عليه، وقال: أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟

فقال: إنما قالها متعوذاً

قال: فهلا شققت عن قلبه!! ثم قال: من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة، فما زال يكرر ذلك عليه، حتى تمنى أن يكون أسلم يومئذ، وقال: يا رسول الله! أعطني الله عهداً ألا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ بعدي؟

فقال: أسامة بعدك<sup>(١)</sup>

## • عمرة القضاء

وكانت في ذي القعدة سنة سبعة

قال موسى بن عقبة: خرج رسول الله ﷺ من العام المقبل، من عام الحديبية معتمراً، في ذي القعدة سنة سبع، وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام، حتى إذا بلغ يأجج، وضع الأداة كلها الحجف، والجحان والنبيل،

(١) أصل الحديث متفق عليه



والرماح، ودخلوا بسلاح الراكب السيوف، وبعث رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحارث بن حزن العامرية، فخطبها إليه، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب، وكانت أختها أم الفضل تحتها، فزوجها العباس رسول الله ﷺ فلما قدم رسول الله ﷺ أمر أصحابه فقال: اكشفوا عن المناكب، واسعوا في الطواف؛ ليرى المشركون جلدتهم وقوتهم<sup>(١)</sup>. وكان يكأيدهم بكل ما استطاع فوقف أهل مكة: الرجال والنساء ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وهم يطوفون بالبيت، وعبد الله بن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ يرتجز متوشحاً بالسيف يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله	قد أنزل الرحمن في تنزيله
في صحف تتلى على رسوله	يا رب إني مؤمن بقبيله
إني رأيت الحق في قبوله	اليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله <sup>(٢)</sup>

ولما أراد النبي ﷺ الخروج من مكة، تبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم، يا عم، فتناولها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخذ بيدها، وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك، فحملتها، فاختصم فيها علي، وزيد، وجعفر، فقال: علي أنا أخذتها، وهي ابنة عمي، وقال جعفر: ابنة عمي، وحالتها تحتي، وقال: زيد

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣٠٦/١) وأصله في الصحيحين البخاري (٣٩٢٤)

(٢) صحيح: أخرجه النسائي (٢٨٤٤) والترمذي (٢٧٧٤)



ابنة أخي، ففضى بها رسول الله ﷺ لخالتها، وقال: الخالة بمنزلة الأم، وقال علي: أنت مني، وأنا منك، وقال لجعفر: أشبهت خلقي، وخلقي، وقال لزيد: أنت أخونا، ومولانا. (١)

### ● سرية مؤتة

وهي بأدنى البلقاء من أرض الشام، وكانت في جمادى الأولى، سنة ثمان، وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم أو بصرى، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فأوثقه رباطا، ثم قدمه، فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر، فبعث البعوث، واستعمل عليهم زيد بن حارثة. (٢)

عن عوف بن مالك الأشجعي قال: خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة، ورافقني مددي من اليمن، ليس معه غير سيفه، فنحر رجل من المسلمين جزورا، فسأله المددي طائفة من جلده، فأعطاه إياه، فاتخذه كهية الدرق، ومضينا، فلقينا جموع الروم، وفيهم رجل على فرس له أشقر، عليه سرج مذهب، وسلاح مذهب، فجعل الرومي يغري بالمسلمين، وقعد له المددي خلف صخرة، فمر به الرومي، فعرقب فرسه، فخر، وعلاه،

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢٠)

(٢) زاد المعاد (٣/٣٨١)



فقتله، وحاز فرسه، وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد، فأخذ منه السلب قال عوف: فأتيته فقلت: يا خالد! أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟

قال: بلى؛ ولكنني استكثرت، قلت: لتردنه إليه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ، وأبي أن يرد عليه.

قال عوف: فاجتمعا عند رسول الله ﷺ، وقصصت عليه قصة المددي، وما فعله خالد، فقال رسول الله ﷺ: يا خالد! ما حملك على ما صنعت؟

قال: يا رسول الله! استكثرت.

فقال رسول الله ﷺ: يا خالد رد عليه ما أخذت منه.

قال عوف: فقال: دونك يا خالد ألم أف لك؟

فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ فأخبرته، فغضب رسول الله ﷺ وقال: يا خالد! لا ترده عليه، هل أنتم تاركو إلي أمرائي، لكم صفوة أمرهم، وعليهم كدره<sup>(١)</sup>

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢٢٨٧٢) وأبوداود (٢٣٤٤)



## المبحث الثالث عشر

### فتح مكة

قال ابن القيم:

الذي أعز الله به دينه، ورسوله، وجنده، وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده، وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار، والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجا، وأشرق به وجه الأرض ضياء، وابتهاجا خرج له رسول الله ﷺ بكتائب الإسلام، وجنود الرحمن، سنة ثمان لعشر مضي من رمضان، واستعمل على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين الغفاري<sup>(١)</sup>

وكان سبب ذلك هو نقض قريش للعهد الذي أخذوه في الحديبية، وأعانوا بني بكر على خزاعة، وهم حلف رسول الله ﷺ. فجاء بديل بت ورقاء يستنصر برسول الله ﷺ، فعزم رسول الله ﷺ على المضي قدما إلى مكة، وأخبر أصحابه بذلك

فقام أحد الصحابة بإرسال رسالة إلى أهل مكة ليخبرهم بقدم رسول الله ﷺ

عليهم فقال علي بن أبي طالب

بعثني رسول الله ﷺ أنا والزيبر والمقداد بن الأسود

(١) زاد المعاد (٣/٣٩٤)



قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب

فقلت: ما معي من كتاب

فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب

فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب! ما هذا؟

قال: يا رسول الله! لا تعجل علي، إني كنت امرأً ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة؛ يحمون بها أهليهم، وأمواهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا، ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام

فقال رسول الله ﷺ: لقد صدقكم

قال عمر: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق

قال: إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم<sup>(١)</sup>

(١) البخاري (٢٧٨٥٩)



وخرج النبي ﷺ في رمضان من المدينة، ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون، حتى بلغ الكديد . وهو ماء بين عسفان وقديد . أفطر وأفطروا " (١)

وفي رواية: ثم دعا بقدرح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب فقيل له بعد ذلك إن بعض الناس قد صام فقال أولئك العصاة أولئك العصاة. ودخل مكة من أعلى وخرج من أسفلها، وكان على رأسه المغفر، وعند قدومه دخل بيت أم هانئ فقالت: فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود، ثم سار على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح، يرجع

وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجعت. (٢)

قال أبوهريرة: أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة، فبعث الزبير على إحدى المجنبتين، وبعث خالدًا على المجنبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحسر، فأخذوا بطن الوادي، ورسول الله ﷺ في كتيبة، فنظر، فرآني فقال: أبو هريرة! قلت: لبيك يا رسول الله!

(١) المصدر السابق (٣٩٤١)

(٢) انظر صحيح البخاري (١١٠٥) (١٤٧٥) (٣٩٥٤)



فقال: لا يأتيني إلا أنصاري، فأطافوا به، ووبشت قريش أوباشا لها، وأتباعا، فقالوا: نقدم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنا معهم، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا، فقال رسول الله ﷺ: ترون إلى أوباش قريش، وأتباعهم، ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى، ثم قال: حتى توافوني بالصفاء، فانطلقنا، فما شاء أحد منا أن يقتل أحدا إلا قتله، وما أحد منهم يوجه إلينا شيئا، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله! أبيضت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم، ثم قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن

فقلت الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته

قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا، فإذا جاء فليس أحد يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي، فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار!

قالوا: لبيك يا رسول الله

قال: قلت: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته

قالوا: قد كان ذاك

قال: كلا إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والحييا محياكم، والممات مماتكم، فأقبلوا إليه ييكون، ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله، فقال رسول الله ﷺ: إن الله ورسوله يصدقانكم، ويعذرانكم



قال: فأقبل الناس إلى دار أبي سفيان، وأغلق الناس أبوابهم، وأقبل رسول الله ﷺ، حتى أقبل إلى الحجر، فاستلمه ثم طاف بالبيت، فأتى على صنم إلى جنب البيت، كانوا يعبدونه، وفي يد رسول الله ﷺ قوس وهو آخذ بسية القوس، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ يُدْهِمُ﴾ [الإسراء: ٨١]

فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت، ورفع يديه، فجعل يحمد الله، ويدعو بما شاء أن يدعو، وجاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتله<sup>(١)</sup>

وفي رواية: أبي أن يدخل البيت، وفيه الآلهة، فأمر بها، فأخرجت، فأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأرزام فقال النبي ﷺ: قاتلهم الله! لقد علموا ما استقسما بها قط، ثم دخل البيت، فكبر في نواحي البيت، وخرج ولم يصل فيه.

### • خطبة النبي ﷺ في بيت الله الحرام

وقام النبي ﷺ خطيباً في بيت الله الحرام: قال أبو هريرة: أنه عام فتح مكة قتلت خزاعة رجلاً من بني ليث بقتيل لهم في الجاهلية، فقام رسول الله ﷺ فقال: إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليهم رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ألا وإنما أحلت لي ساعة من نهار،

(١) المصدر السابق (١٤٧٥) وصحيح مسلم (٣٣٣١)



ألا وإنها ساعتي هذه حرام، لا يختلى شوكتها، ولا يعضد شجرها، ولا يلتقط ساقطتها إلا منشد، ومن قتل له قتيل، فهو بخير النظرين، إما يودى، وإما يقاد، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال: اكتب لي يا رسول الله!، فقال رسول الله ﷺ: اكتبوا لأبي شاه، ثم قام رجل من قريش فقال: يا رسول الله! إلا الإذخر؛ فإنما نجعله في بيوتنا؛ وقبورنا فقال رسول الله ﷺ: إلا الإذخر. (١)

وقال: لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا (٢)

### • الأنصار وموقفهم من الغنائم

قالت الأنصار يوم فتح مكة: وأعطى قريشا، والله إن هذا هو العجب، إن سيوفنا تقطر من دماء قريش، وغنائمنا ترد عليهم! فبلغ ذلك النبي ﷺ، فدعا الأنصار، فقال: ما الذي بلغني عنكم، وكانوا لا يكذبون فقالوا: هو الذي بلغك

قال: أولا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم؟ لو سلكت الأنصار واديا، أو شعبا، لسلكت وادي الأنصار، أو شعبهم. (٣)

(١) صحيح البخاري (٦٣٧٢)

(٢) المصدر السابق (٢٨٤٨)

(٣) البخاري (٣٤٩٤)



### • تحريم زواج المتعة في فتح مكة

عن سيرة بن معبد قال: فأقمنا بها خمس عشرة ثلاثين، بين ليلة ويوم، فأذن لنا رسول الله ﷺ في متعة النساء، فخرجت أنا ورجل من قومي، ولي عليه فضل في الجمال، وهو قريب من الدمامة، مع كل واحد منا برد، فبردي خلق، وأما برد ابن عمي فبرد جديد غض، حتى إذا كنا بأسفل مكة، أو بأعلاها، فتلقنا فتاة مثل البكرة العنطنطة<sup>(١)</sup>

فقلنا: هل لك أن يستمتع منك أحدنا؟ قالت: وماذا تبذلان؟ فنشر كل واحد منا برده، فجعلت تنظر إلى الرجلين، ويراهما صاحبي تنظر إلى عطفها، فقال: إن برد هذا خلق، وبردي جديد غض، فتقول: برد هذا لا بأس به ثلاث مرار، أو مرتين، ثم استمتعت منها، فلم أخرج حتى حرمها رسول الله ﷺ.<sup>(٢)</sup>

### • العفو الشامل لأهل مكة إلا نفر

وفي هذه الغزوة عفا النبي ﷺ عفا عاما شاملا عن أهل مكة وسموا: الطلقاء؛ لكن " إلى جانب ذلك الصفح الجميل كان هناك الحزم الأصيل، الذي لا بد أن تتصف به القيادة الحكيمة الرشيدة، ولذلك استثنى قرار العفو الشامل بضعة عشر رجلا أمر بقتلهم، وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة؛ لأنهم

(١) البكرة: الفتية من الإبل، أي الشابة القوية، العنطنطة: الطويلة العنق مع حسن قوام.

(٢) صحيح مسلم (٢٥٠٤)



عظمت جرائمهم في حق الله ورسوله، وحق الإسلام، ولما كان يخشاه منهم من إثارة الفتنة بين الناس بعد الفتح.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وقد جمعت أسماءهم من متفرقات الأخبار، وهم: عبد العزى بن خطل، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل، والحويرث بن نقيد -مصغراً- ومقيس بن حبابة، وهبار بن الأسود، وقيتان كانتا لابن خطل: فرتني وقريبة، وسارة مولاة بني عبد المطلب، وذكر أبو معشر فيمن أهدر دمه الحارث بن طلال الخزاعي، وذكر الحاكم أن فيمن أهدر دمه كعب بن زهير، ووحشي بن حرب، وهند بنت عتبة.

ومن هؤلاء من قُتل، ومنهم من جاء مسلماً تائباً فعفا عنه الرسول، وحسن إسلامه.<sup>(١)</sup>

### • فتح مكة أعظم فتح في التاريخ

قال الباحث الإسلامي مولانا محمد علي هذه الحادثة التاريخية الفريدة بقوله: (إن تاريخ العالم ليعجز عن تزويدنا بنظير لهذا الصفح الكريم الذي أغدقه الرسول على أمثال أولئك المجرمين الكبار. أن الضرب على وتر المواعظ الداعية إلى الصفح والغفران لا يكلف المرء شيئاً كثيراً، ولكن عفو المرء عن معذبيه ليحتاج إلى قدر من الشهامة عظيم، و خاصة حين يكون أولئك المعذبون تحت رحمته. وهذا الانفساح في مدى العطف الإنساني والعفو

(١) السيرة النبوية للصلاحي (٢/٤٦٧)



الكريم لا نفع عليه في حياة يسوع. فالحق أن يسوع لم تتح له الفرصة لممارسة فضيلة العفو، ذلك بأنه لم يكسب في أيما يوم السلطة التي تمكنه من الرد على مضطهديه<sup>(١)</sup>

وقال الباحث العسكري غلوب باشا: (وهكذا تم فتح مكة دون إراقة دماء إلى حد كبير. وعلى الرغم من أن النبي كان قد عانى الاضطهاد في المدينة، وعلى الرغم من أن عدداً من ألد أعدائه كانوا لا يزالون يعيشون فيها، إلا أنه اكتسب قلوب الجميع بما أظهره من رحمة وعفو في يوم انتصاره. ولا ريب في أن هذا التسامح أو هذه الفطنة السياسية التي اتصف بها النبي كرجل دولة، كانت غريبة على العرب الذين كانت صفة الانتقام من خصالهم ومزاياهم. وقد حقق النصر الكبير بسياسته ودبلوماسيته أكثر منه بعمله العسكري. ولا ريب في أن عظمته تقوم في أنه أدرك في عصر يسوده العنف وسفك الدماء أن الأفكار أقوى من القوة والعنف)<sup>(٢)</sup>

وقد أثبت فتح مكة أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وإنما السيف هو حام له وكان لموقف الرسول ﷺ من القرشيين، أن دخلوا في دين الله أفواجاً أفواجاً، فقد أسلم في الأيام العشرة الأولى ألفا قرشي. .... وكانت مدة مكوثه في مكة خمسة عشر يوماً أسلم فيا غالبية السكان، ولقد رأى منصفو

(١) مولانا محمد علي : حياة محمد ورسائله ، ص ٢٠٧ .

(٢) جان باغوت غلوب : الفتوحات العربية الكبرى ، ص ١٥٦-١٥٧ .



المستشرقين بفتح مكة مسلماً الرد القاطع، والدليل الساطع، على أن الإسلام ليس دين السيف وحسب، بل هو دين السلم كذلك، ومن هذه الأقوال اعتراف السير وليم موير، حين علق على هذه الحادثة التاريخية، بقوله: (على الرغم من أن البلدة رحبت بسلطانه ترحيباً بهيجاً، فلم يكن جميع سكانها قد اعتنقوا الدين الجديد، ولم يكونوا قد اعترفوا رسمياً بصحة دعواه النبوية. ولعله عقد العزم على أن يسلك ههنا ذلك النهج الذي سلكه في المدينة، ويدع الناس يدخلون في الإسلام، شيئاً بعد شيء، من غير إكراه)<sup>(٤)</sup>.

(٤) وليم موير : حياة محمد (نقلا عن كتاب مولانا محمد علي ، ص ٢٠٨). عن كتاب الرسول في



## المبحث الثالث عشر

### غزوة حنين

#### • أسماء الغزوة

وتسمى غزوة أوطاس وهما موضعان بين مكة والطائف، فسميت الغزوة باسم مكانها، وتسمى غزوة هوازن، لأن قبيلة هوازن هم الذين أتوا لقتال رسول الله ﷺ.

#### • سبب الغزوة

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النصرى، واجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت إليه مضر وجشم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل ولم يشهدوا من قيس عيلان إلا هؤلاء ولم يحضرها من هوازن كعب ولا دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه إلا رأيه ومعرفته بالحرب وكان شجاعا مجربا، وفي ثقيف سيدان لهم وفي الأحلاف قارب بن الأسود، وفي بني مالك سبيع بن الحارث وأخوه أحمر بن الحارث وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى، فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ ساق مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة، فلما نزل قال بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس. قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس



ولا سهل دهمس ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصبي ويعار الشاء؟

قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم.

قال: أين مالك؟

قيل: هذا مالك ودعي له.

قال: يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم.

قال ولم؟

قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم.

فقال راعي ضأن: والله وهل يرد المنهزم شيء إن كان لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟

قالوا: لم يشهدا أحد منهم.

قال: غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب فمن شهدا منكم؟

قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر؟



قال: ذاك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن كانت لك، لحق بك من وراءك، إن كانت عليك، ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك.

قال: والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك والله لتطيعني يا معشر هوازن، أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأي

فقالوا: أطعناك

فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني. يا ليتني فيها جذع أحب فيها وأضع أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع  
ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد وبعث عيوننا من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم قال ويلكم ما شأنكم؟

قالوا: رأينا رجالا بيضا على خيل بلق والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد. <sup>(١)</sup>

(١) زاد المعاد (٣/٤٦٥، ٤٦٦) انظر الخبر عن حنين في: الواقدي ٤١٧، وابن هشام (٤/٨٠)، وابن سعد (٢/١٠٨)، والطبري (٣/١٢٥)، وابن سيد الناس (٢/١٨٧)، وابن كثير (٤/٣٢٢)، والإمتاع ص ٤٠١، والمواهب (١: ٢٠٨)، وتاريخ الخميس (٢/٩٩)



• التحرك لغزوة حنين

وفي يوم السبت . السادس من شهر شوال سنة ٨ هـ . غادر رسول الله ﷺ مكة . وكان ذلك اليوم التاسع عشر من يوم دخوله في مكة . خرج في اثني عشر ألفاً من المسلمين؛ عشرة آلاف ممن كانوا خرجوا معه لفتح مكة، وألفان من أهل مكة . وأكثرهم حديثو عهد بالإسلام واستعار من صفوان بن أمية مائة درع بأداتها، واستعمل على مكة عتَّاب بن أسيد .

ولما كان عشية جاء فارس، فقال: إني طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم بِطُعْمِهِمْ وَنَعْمِهِمْ وشأنهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: (تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله)، وتطوع للحراسة تلك الليلة أنس بن أبي مَرْثَدَ العَنَوِي. (١)

قال عباس بن عبد المطلب: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون، والكفار ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار.

(٢) الرحيق المختوم ص ٤٦٦ ، ٤٦٧



قال عباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ، أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أي عباس ناد أصحاب السمرة.

فقال عباس: وكان رجلا صيتا، فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة، قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك.

قال: فاقتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج.

فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم،

فقال رسول الله ﷺ: هذا حين حمي الوطيس، ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات، فرمى بمن وجوه الكفار، ثم قال: انهزموا ورب محمد، فذهبت أنظر، فإذا القتال على هيئته، فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبرا<sup>(١)</sup>

وفي رواية ابن إسحاق: وقال العباس بن عبد المطلب: إني لمع رسول الله ﷺ أخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها، وكنت امرءا جسيما شديد

(١) صحيح مسلم (٣٣٢٤)



الصوت، قال: رسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: إلى أين أيتها الناس؟

" قال: فلم أر الناس يلبون على شيء

فقال: يا عباس! اصرخ يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السمره"، فأجابوا: لبيك لبيك

قال: فيذهب الرجل ليثني بعبيره، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وقوسه وترسه، ويقتمحم عن بعبيره، ويخلي سبيله، ويؤم الصوت، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا، فكانت الدعوة أول ما كانت: يا للأنصار ثم خلصت آخرها: يا للخزرج، وكانوا صبرا عند الحرب، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه، فنظر إلى مجتلد القوم، وهم يجتلدون، فقال: الآن حمي الوطيس، وزاد غيره.

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب<sup>(١)</sup>

وعند البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين، أقبلت هوازن وغطفان، وغيرهم بنعمهم وذرايبهم، ومع النبي ﷺ عشرة آلاف، ومن الطلقاء، فأدبروا عنه، حتى بقي وحده، فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال: يا معشر الأنصار! قالوا: لبيك يا

(١) وسنده صحيح



رسول الله، أبشر نحن معك، ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الأنصار، قالوا: لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك، وهو على بغلة بيضاء، فنزل فقال: أنا عبد الله ورسوله، فانهزم المشركون، فأصاب يومئذ غنائم كثيرة، فقسم في المهاجرين، والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئاً.<sup>(١)</sup>

### • تتبع المشركين إلى الطائف

عن أنس بن مالك قال: افتتحنا مكة، ثم إنا غزونا حنيناً، فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت، فصفت الخيل، ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت الغنم، ثم صفت النعم، ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف، وعلى مجنبه خيلنا خالد بن الوليد، فجعلت خيلنا تلوي خلف ظهورنا، فلم نلبث أن انكشفت خيلنا، وفرت الأعراب، ومن نعلم من الناس، فنادى رسول الله ﷺ يال المهاجرين! يال المهاجرين! ثم قال: يال الأنصار! يال الأنصار! قلنا: لبيك يا رسول الله، فتقدم رسول الله ﷺ، فإيم الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله، فقبضنا ذلك المال، ثم انطلقنا إلى الطائف، فحاصرناهم أربعين ليلة، ثم رجعنا إلى مكة، ففزنا، قال: فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المائة من الإبل.<sup>(٢)</sup>

(١) البخاري (٣٩٩٢)

(٢) صحيح مسلم (١٠٥٩)



وعن عبد الله بن عمرو قال: حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف، فلم ينل منهم شيئاً، فقال: إنا قافلون إن شاء الله، قال أصحابه: نرجع ولم نفتتحه، فقال لهم رسول الله ﷺ: اغدوا على القتال، فغدوا عليه، فأصابهم جراح فقال لهم رسول الله ﷺ: إنا قافلون غداً، قال: فأعجبهم ذلك، فضحك رسول الله ﷺ. (١)

### وتسمى بغزوة الطائف

#### • موقف عظيم للأنصار

وبعد هزيمة جيش المشركين، قام النبي ﷺ بجمع الغنائم وتم توزيعها على أهل مكة وحديشي عهد بإسلام، ولم يعط الأنصار منها شيئاً فوجد الأنصار في صدورهم من ذلك.

عن أبي سعيد الخدري قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش، وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت فيهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله! إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفياء الذي أصبت؛ قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء؟!!

(١) صحيح مسلم (٣٣٢٩)



قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟

قال: يا رسول الله! ما أنا إلا امرؤ من قومي، وما أنا.

قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، قال: فخرج سعد، فجمع الناس في تلك الحظيرة، قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون، فردهم، فلما اجتمعوا، أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، قال: فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال: يا معشر الأنصار!

مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها في أنفسكم؛ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بل الله ورسوله آمن وأفضل، قال: ألا تجيئونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله والله ولسوله المن والفضل! قال: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فأويناك، وعائلا فأغنيناك، أو جدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا؛ تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة؛ لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا، وسلكت الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، قال: فبكى القوم حتى



أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقنا. (١)

### • القرآن يقص علينا غزوة حنين

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ \* ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ \* ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧]

إن غزوة حنين سجلت في القرآن الكريم لكي تبقى درسا للأمة في كل زمان ومكان، ولقد عرضت في القرآن الكريم على منهجية ربانية كان من أهم معالمها الآتي:

١- بين القرآن الكريم أن المسلمين أصابهم الإعجاب بكثرة عددهم ، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ ثم بين القرآن أن هذه الكثرة لا تفيد ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾.

(١) صحيح : أخرجه أحمد (١١٣٠٥)



٢- بين القرآن الكريم أن المسلمين انهزموا وهربوا ما عدا النبي ﷺ ونفر يسير من أصحابه، قال تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾.

٣- بين القرآن الكريم أن الله نصر رسوله ﷺ في هذه المعركة وأكرمه بإنزال السكينة عليه وعلى المؤمنين فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٤- بين القرآن الكريم أن الله أمد نبيه محمدا ﷺ بالملائكة في حين قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَدَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

وأكد - سبحانه وتعالى - على أنه يقبل التوبة من عباده ويوفق من شاء إليها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

#### • هوزان وموقف عظيم رحيم من مواقف النبي ﷺ

عن عبد الله بن عمرو: أن وفد هوزان أتوا رسول الله ﷺ وهو بالجرعانة، وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله! إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك، فامنن علينا من الله عليك، فقال رسول الله ﷺ: أبناءؤكم

(١) السيرة النبوية للصلاحي (٢/٥٠٧)



ونسأؤكم أحب إليكم، أم أموالكم؟ قالوا: يا رسول الله! خيرتنا بين أحسابنا، وبين أموالنا؛ بل ترد علينا نسأؤنا وأبنأؤنا فهو أحب إلينا، فقال لهم: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، فإذا صليت للناس الظهر فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ في أبنأؤنا ونسأؤنا، فسأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم، فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، قال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، قال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر: أما أنا وبنو فزارة فلا، قال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، قالت بنو سليم: لا، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، قال عباس: يا بني سليم! وهتموني! فقال رسول الله ﷺ: أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول شيء نصيبه، فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم<sup>(١)</sup>

قلم يكن النبي يحارب ليجمع مالا أو يفرض سلطانا؛ بل لينشر دينا فيه كل الأمان لمن يريد الأمان والسلام والمحبة والوئام، وفيه كل الدل لمن أراد إذلال الناس واستعبادهم بالقوة والجبروت.

(١) حسن : أخرجه أحمد (٦٩٩٧) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده



يقول غلوب باشا: « وكان انتصار المسلمين في حنين كاملاً حتى أنهم كسبوا غنائم كثيرة بين أعداد وفيرة من الإبل والغنم، كما أسروا عدداً ضخماً من الأسرى معظمهم من نساء هوازن وأطفالها، وعندما عاد النبي ﷺ عن الطائف دون أن تمكن من فتحها شرع يقسم الغنائم والأسلاب بين رجاله. ووصل إليه وفد من هوازن المهزومة المغلوبة على أمرها يرجوه إطلاق سراح النسوة والأطفال من الأسرى، وسرعان ما لبى النبي الطلب بما عرف عنه من دماثة وتسامح، فلقد كان ينشد من جديد في ذروة انتصاره أن يكسب الناس أكثر من نشدانه عقابهم وقصاصهم<sup>(١)</sup> »

### • ورجع النبي ﷺ إلى المدينة

قال ابن القيم:

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ودخلت سنة تسع بعث المصدقين يأخذون الصدقات من الأعراب.

قال ابن سعد: ثم بعث رسول الله ﷺ المصدقين

قالوا: لما رأى رسول الله ﷺ هلال المحرم سنة تسع بعث المصدقين يصدقون العرب فبعث عيينة بن حصن إلى بني تميم وبعث يزيد بن الحصين إلى أسلم وغفار وبعث عباد بن بشر الأشهلي إلى سليم ومزينة وبعث رافع بن مكيث

(١) جان باغوت غلوب: الفتوحات العربية الكبرى، ص ١٥٩.



إلى جهينة، وبعث عمرو بن العاص إلى بني فزارة، وبعث الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب، وبعث بشر بن سفيان إلى بني كعب، وبعث ابن اللثبية الأزدي إلى بني ذبيان، وأمر رسول الله ﷺ المصدقين أن يأخذوا العفو منهم، ويتوقوا كرائم أموالهم.

قيل: ولما قدم ابن اللثبية حاسبه، وكان في هذا حجة على محاسبة العمال، والأمناء، فإن ظهرت خيانتهم عزلهم وولى أميناً.

قال ابن إسحاق: وبعث المهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء، فخرج عليه العنسي وهو بها، وبعث زياد بن ليبيد إلى حضرموت، وبعث عدي بن حاتم إلى طيب، وبني أسد، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة، وفرق صدقات بني سعد على رجلين، فبعث الزيرقان بن بدر على ناحية، وقيس بن عاصم على ناحية، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين وبعث علياً - رضوان الله نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيته<sup>(١)</sup>.

### ● موقف النبي من إيلاء زوجاته

في هذه الأيام ما بين غزوة تبوك وحنين آلي النبي ﷺ من نسائه شهراً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤]

(١) زاد المعاد (٣٠٥٠٨، ٥٠٩)



فحججت معه، فعدلت معه بالإداوة، فتبرز حتى جاء، فسكبت على يديه من الإداوة، فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين! من المرأتان من أزواج ﷺ اللتان قال الله عز وجل لهما: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟

فقال: وا عجي لك يا ابن عباس! عائشة وحفصة، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه

فقال: إني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ، فينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت؛ جئته من خير ذلك اليوم من الأمر وغيره، وإذا نزل فعل مثله، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصحت على امرأتي، فراجعني، فأنكرت أن تراجعني

فقلت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني

فقلت: خابت من فعل منهن بعظيم، ثم جمعت علي ثيابي، فدخلت على حفصة

فقلت: أي حفصة أتعاضب إحداكن رسول الله ﷺ اليوم حتى الليل؟ فقلت: نعم فقلت: خابت وخسرت؛ أفأمن أن يغضب الله لعضبه رسوله



ﷺ فتهلكين؟ لا تستكثري على رسول الله ﷺ، ولا تراجعيه في شيء، ولا تحجره، واسأليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضاً منك، وأحب إلى رسول الله ﷺ - يريد عائشة -، وكنا تحدثنا أن غسان تنعل النعال لغزونا، فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً، وقال: أنائم هو؟! ففزعت، فخرجت إليه، وقال: حدث أمر عظيم! قلت: ما هو؟ أ جاءت غسان؟

قال: لا؛ بل أعظم منه، وأطول، طلق رسول الله ﷺ نساءه  
قال: قد خابت حفصة وخسرت، كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، فجمعت علي ثيابي، فصليت صلاة الفجر مع النبي ﷺ، فدخل مشربة له، فاعتزل فيها، فدخلت على حفصة، فإذا هي تبكي

قلت: ما يبكيك؟! أولم أكن حذرتك؟ أطلقكن رسول الله ﷺ؟  
قالت: لا أدري هو ذا في المشربة، فخرجت فجنّت المنبر، فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلاً، ثم غلبنى ما أجد، فجنّت المشربة التي هو فيها، فقلت للغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل فكلم النبي ﷺ، ثم خرج فقال: ذكرتك له فصمت، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبنى ما أجد، فجنّت فذكر مثله، فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبنى ما أجد، فجنّت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فذكر مثله، فلما وليت منصرفاً، فإذا الغلام يدعوني، قال: أذن لك رسول الله ﷺ، فدخلت عليه، فإذا هو مضطجع على رمال حصير، ليس بينه وبينه



فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئ على وسادة من آدم حشوها ليف،  
فسلمت عليه، ثم قلت وأنا قائم: طلقت نساءك؟  
فرفع بصره إلي فقال: لا

ثم قلت وأنا قائم أستأنس: يا رسول الله! لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب  
النساء، فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم . فذكره .

فتبسم النبي ﷺ، ثم قلت: لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك  
أن كانت جارتك هي أوضأ منك، وأحب إلى النبي ﷺ يريد عائشة، فتبسم  
أخرى، فجلست حين رأته تبسم، ثم رفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت  
فيه شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاثة، فقلت: ادع الله فليوسع على أمتك، فإن  
فارس والروم وسع عليهم، وأعطوا الدنيا، وهم لا يعبدون الله، وكان متكئاً  
فقال: أوفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في  
الحياة الدنيا فقلت: يا رسول الله استغفر لي، فاعتزل النبي ﷺ من أجل ذلك  
الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة، وكان قد قال: ما أنا بداخل عليهن  
شهرًا؛ من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون،  
دخل على عائشة، فبدأ بها فقالت له عائشة: إنك أقسمت أن لا تدخل  
علينا شهرًا، وإننا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عدا!

فقال النبي ﷺ: الشهر تسع وعشرون، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين،  
قالت عائشة: فأنزلت آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة فقال: إني ذاكرك  
أمرا، ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: قد أعلم أن أبوي



لم يكونا يأمراني بفراقك، ثم قال: إن الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٨] إلى قوله ﴿عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩]

قلت: أفي هذا أستأمر أبوي! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ثم خير نساءه، فقلن مثل ما قالت عائشة. (١)

وهذا الحديث يدل على رقة النبي ﷺ ورحمته بالنساء، ويدل على مدى حب الصحابة لرسول الله ﷺ. وأنهم يهتمون لهم ويفرحون لفرحه، ويبذلون في سبيل ذلك الأهل والمال والولد والدنيا بأثرها.

(١) البخاري (٢٢٨٨)



## المبحث الخامس عشر

### غزوة تبوك

وكانت في رجب سنة ٩ من الهجرة النبوية<sup>(١)</sup>

وكانت المعركة الفاصلة بين الكفر والإيمان وهي خاتمة المطاف بالنسبة لرسول الله ﷺ، وقد أمنت حدود جزيرة العرب من المعتدين. وتسمى بغزوة العسرة. وتَبُوك موضع بين وادي القرى والشام بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة وهي غزوة العسرة، مأخوذة من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، وكانت في

رجب سنة تسع من الهجرة. سبتمبر. أكتوبر سنة ٦٣٠ م<sup>(٢)</sup>

### سبب الغزوة

بلغ المسلمين من الأنباط الذين قدموا بالزيت من الشام إلى المدينة أن هرقل قد هيا جيشاً عرمرما قوامه أربعون ألف مقاتل، وأعطى قيادته لعظيم من عظماء الروم، وأنه أجب معهم قبائل حَتمٍ وجُدَامٍ وغيرهما من متنصرة العرب، وأن مقدمتهم بلغت إلى البلقاء، وبذلك تمثل أمام المسلمين خطر كبير.<sup>(٣)</sup>

(١) أنظر غزوة تبوك : سيرة ابن هشام (٥١٥/٢ . ٥٣٧) ، وابن سعد (١٦٥/٢ . ١٦٨) ، وتاريخ الطبري (١٤٢/٣) ، وابن سيدنا (٢١٥/٢) ، والبداية والنهاية (٦٨، ٣/٤) ، وشرح المواهب (٣/ ٦٢) ، والرحيق المختوم ص ٤٨٢ . ٤٩٣ ، وسيدنا محمد ص ٣٣٣ ، وزاد المعاد (٣/٥٢٦)

(٢) سيدنا محمد : لرشيد رضا ص ٣٣٣

(٣) الرحيق المختوم ص ٤٨٤



وقد كان المسلمون يهتمون لهذا اهتماما كبيرا، وقد ظهر هذا في حديث عمر المتقدم في إيلاء النبي ﷺ من زوجاته النبي ﷺ يقرر تجهيز الجيش للغزو رغم الأوضاع

وكان الوقت حين خروجه حراً شديداً، وقحطاً شديداً، ولذلك لم يور عنها كعادته في سائر الغزوات؛ بل بيّنها للناس وأخبرهم أنه يريد الروم، وكانوا من شدة الحر ينحرون البعير، فيشربون ما في كرشه من الماء، فسميت غزوة العسرة أي الشدة والضيق، وهي آخر غزواته ﷺ. (١)

ولكن الرسول ﷺ كان ينظر إلى الظروف والتطورات بنظر أدق وأحكم من هذا كله، إنه كان يري أنه لو تواني وتكاسل عن غزو الرومان في هذه الظروف الحاسمة، وترك الرومان لتجوس خلال المناطق التي كانت تحت سيطرة الإسلام ونفوذه، وتزحف إلى المدينة كان له أسوأ أثر على الدعوة الإسلامية وعلى سمعة المسلمين العسكرية، فالجاهلية التي تلفظ نفسها الأخير بعد ما لقيت من الضربة القاصمة في حنين ستحيا مرة أخرى، والمنافقون الذين يتربصون الدوائر بالمسلمين، ويتصلون بملك الرومان بواسطة أبي عامر الفاسق سيبيعون بطون المسلمين بخناجرهم من الخلف، في حين تهجم الرومان بحملة ضارية ضد المسلمين من الأمام، وهكذا يخفق كثير من الجهود التي بذلها هو أصحابه في نشر الإسلام، وتذهب المكاسب التي حصلوا عليها بعد حروب

(١) سيدنا محمد ص ٣٣٣



دامية ودوريات عسكرية متتابعة متواصلة... تذهب هذه المكاسب بغير جدوي.

كان رسول الله ﷺ يعرف كل ذلك جيداً، ولذلك قرر القيام - مع ما كان فيه من العسرة والشدة - بغزوة فاصلة يخوضها المسلمون ضد الرومان في حدودهم، ولا يمهلونهم حتى يزحفوا إلى دار الإسلام.<sup>(١)</sup>

### ● الصحابة يقدمون أفضل أموالهم وعثمان سبقهم

ودعا النبي ﷺ الصحابة إلى التبرع بالمال لتجهيز الجيش، وبادر الصحابة وجاء عثمان بن عفان بألف بغير إلا سبعين بما عليها جاهزة لرسول الله ﷺ. وقد قال البخاري: باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه وقال النبي ﷺ: من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان، وقال: من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزه عثمان.

### ● ومن الصحابة من لم يجد ما يحمله عليه

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة - وهي غزوة تبوك - فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: والله لا أحملكم على شيء، ووافقته وهو غضبان، ولا أشعر، ورجعت حزينا من منع النبي ﷺ، ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه علي، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي

(١) الرحيق المختوم ص ٤٨٥



قال النبي ﷺ، فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالا ينادي: أي عبد الله بن قيس، فأجبتة

فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك، فلما أتيتة

قال: خذ هذين القرينين، وهذين القرينين لستة أبعرة، ابتاعهن حينئذ من سعد، فانطلق بهن إلى أصحابك فقل: إن الله أو قال إن رسول الله ﷺ يحملكم على هؤلاء، فاركبوهن، فانطلقت إليهم بهن، فقلت: إن النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء، ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ؛ لا تظنوا أنني حدثتكم شيئا لم يقله رسول الله ﷺ فقالوا لي: والله إنك عندنا لمصدق، ولنفعن ما أحببت، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ منعه إياهم، ثم إعطاءهم بعد، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى .

### • النبي ﷺ يستخلف علي بن أبي طالب على المدينة

روى البخاري عن سعد بن أبي وقاص: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فَقَالَ: أَتُحَلِّفُنِي فِي الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي. (١)

(١) البخاري (٤٤١٦)



• الطريق إلى تبوك

وتحرك رسول الله ﷺ يوم الخميس نحو الشمال يريد تبوك، ولكن الجيش كان كبيراً. ثلاثون ألف مقاتل، لم يخرج المسلمون في مثل هذا الجمع الكبير قبله قط. فلم يستطع المسلمون مع ما بذلوه من الأموال أن يجهزوه تجهيزاً كاملاً، بل كانت في الجيش قلة شديدة بالنسبة إلى الزاد والمراكب، فكان ثمانية عشر رجلاً يعتقدون بعيراً واحداً، وربما أكلوا أوراق الأشجار حتى تورمت شفاههم، واضطروا إلى ذبح البعير. مع قتلها. ليشربوا ما في كرشه من الماء. (١)

عن أبي سعيد قال: لما كان غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعة، قالوا: يا رسول الله! لو أذنت لنا فنحنرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا، فقال رسول الله ﷺ: افعلوا، فجاء عمر فقال: يا رسول الله! إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك

فقال رسول الله ﷺ: نعم، فدعا بنطع، فبسطه، ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم، فأخذوا في أوعيتهم، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملئوه، فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة

(١) الرحيق المختوم ص ٤٨٧



فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة. (١)

وعن معاذ بن جبل قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلى الظهر والعصر جميعا، والمغرب والعشاء جميعا، حتى إذا كان يوما آخر الصلاة، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا، ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جميعا، ثم قال: إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا؛ حتى آتي، فجئناها، وقد سبقنا إليها رجالان، والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء

قال: فسألها رسول ﷺ: هل مسستما من مائها شيئا؟

قالا: نعم

فسبهما النبي ﷺ وقال: لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلا، قليلا، حتى اجتمع في شيء، وغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه، ثم أعاده فيها، فحرت العين بماء منهمر، حتى استقى الناس ثم قال: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا (٢)

(١) أخرجه مسلم (٣٣)

(٢) مسلم (٤٢٢٩)



• الوصول إلى تبوك

وقد وصل جيش النبي ﷺ إلى تبوك وعسكر هناك

قال ابن القيم

ولما انتهى رسول الله ﷺ لم إلى تبوك، أتاه صاحب أيلة، فصالحه، وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جربا، وأذرح فأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا فهو عندهم، وكتب لصاحب أيلة: بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة، وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله ومحمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا، فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقا يردونه من بحر أو بر<sup>(١)</sup>

وأيقنت القبائل التي كانت تعمل لحساب الرومان أن اعتمادها على سادتها الأقدمين قد فات أوانه، فانقلبت لصالح المسلمين، وهكذا توسعت حدود الدولة الإسلامية، حتى لاقت حدود الرومان مباشرة، وشهد عملاء الرومان نهايتهم إلى حد كبير.<sup>(٢)</sup>

(١) زاد المعاد (٣/٥٣٧)

(٢) الرحيق المختوم ص ٤٩٠



• رجوع النبي ﷺ إلى المدينة وتعرضه للاغتيال

وكفى الله المؤمنين القتال، ورجع رسول الله ﷺ ومن معه من غير قتال منصورين.

عن أبي الطفيل قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أمر مناديا فنادى إن: رسول الله ﷺ أخذ العقبة، فلا يأخذها أحد، فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة، ويسوق به عمار، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل، غشوا عمارا، وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: قد، قد، حتى هبط رسول ﷺ، فلما هبط رسول الله ﷺ نزل، ورجع عمار فقال: يا عمار! هل عرفت القوم؟ فقال: قد عرفت عامة الرواحل، والقوم متلثمون، قال: هل تدري ما أرادوا؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه، قال: فسأل عمار رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة، فقال: أربعة عشر، فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر، فعدد رسول الله ﷺ منهم ثلاثة، قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، وما علمنا ما أراد القوم، فقال عمار: أشهد أن الاثنى عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.<sup>(١)</sup>

(١) حسن : أخرجه أحمد (٢٣٢٨٠)



وغزوة تبوك وقعت فيها أحداث كثيرة، وفيها أحكاما جما، تحتاج إلى مؤلف بمفردها، لكننا اختصرنا هنا الأحداث بما يفي بالمقصود من التعريف بالنبي ﷺ وسيرة حياته، وهكذا انقضت غزوات النبي ﷺ وأمن الجزيرة من الأعداء ودخل الناس في دين الله أفواجا وانتشرت دعوة التوحيد، وعم الأمان في كل الأرجاء، حتى صارت المرأة تركب الهودج بمفردها فتخرج من العراق حتى تطوف ببيت الله تعالى لا تحشى قاطع طريق ولا خائن سبيل، وهذه من أعظم الرحمة التي عمت البشر، فإن الناس الآن في كثير من البلاد؛ بل في أغلب البلاد يفتقرون نعمة الأمن، التي بها يجيئون حياة كريمة. فما أعظمه من نبي، وما أرحمه من مخلوق. ﷺ. فلقد فتح البلاد ونشر الأمان، ومع ذلك فعدد القتلى من المؤمنين والكفار محدود، ولا يقاس به ما يحدث الآن، في حادثة طائرة، أو قطار، أو غارة جوية ظالمة، أو تفجير في أناس آمنين، أو

أو.



## الفصل الخامس ماذا بعد الغزوات

مرت الأحداث والسنوات، وانتشر الدين، واستقرت الأوضاع وجاء وقت الحج.

### المبحث الأول حجة النبي ﷺ

وسوف نعرض هنا لحجة النبي ﷺ بشيء من الاختصار. على حسب ما جاء في صحيح مسلم<sup>(١)</sup>

عن جابر بن عبد الله قال: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة، أن رسول الله ﷺ حاج، فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتهم برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع؟

قال: اغتسلي، واستنفري بثوب، وأحرمي، فصلى رسول الله ﷺ في المسجد، ثم ركب القموءاء، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء، نظرت إلى مد بصري

(١) مسلم (٢١٣٧) ومن أراد التفصيل فعليه بكتاب: حجة النبي ﷺ كأنك تراها: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله



بين يديه من راكب، وماش، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به، فأهل بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، وأهل الناس بهذا الذي يهلون به، فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه، ولزم رسول الله ﷺ تليته

قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقراً: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، فجعل المقام بينه، وبين البيت، فكان أبي يقول، ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ، كان يقرأ في الركعتين: قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، ثم رجع إلى الركن، فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]

أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا، فرقي عليه، حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك، قال: مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي، سعى حتى إذا



صعدتا مشى، حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة، فقال: لو أي استقبلت من أمري، ما استدبرت لم أسق الهدى، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي، فليحل، وليجعلها عمرة، فقام سراقه بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله! ألعامنا هذا؟ أم لأبد؟

فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى، وقال: دخلت العمرة في الحج، مرتين، لا بل لأبد أبداً، وقدم علي من اليمن بيدن النبي ﷺ، فوجد فاطمة رضي الله عنها، ممن حل ولبست ثياباً صبيغاً، واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إن أبي أمرني بهذا

قال: فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرشاً على فاطمة للذي صنعت مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه، فأخبرته أي أنكرت ذلك عليها

فقال: صدقت، صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج؟

قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك

قال: فإن معي الهدى، فلا تحل

قال: فكان جماعة الهدى الذي قدم به علي من اليمن، والذي أتى به النبي

ﷺ مائة

قال: فحل الناس كلهم، وقصروا، إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى، فأهلوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ، فصلى بها



الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة، فسار رسول الله ﷺ، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام؛ كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ، حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له، فأتى بطن الوادي، فخطب الناس، وقال: إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل، وربما الجاهلية موضوعة، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك، فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن، وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به؛ كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد - ثلاث مرات - ثم أذن، ثم أقام، فصلى الظهر، ثم أقام، فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئا، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته



القصواء إلى الصخرات، وجعل جبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص، وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله ﷺ، وقد شق للقصواء الزمام، حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى: أيها الناس السكينة، السكينة، كلما أتى جبلا من الجبال، أرخى لها قليلا، حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئا، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، وصلى الفجر حين تبين له الصبح، بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء، حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه وكبره وهلله ووحدته، فلم يزل واقفا، حتى أسفر جدا، فدفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عباس - وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما - فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن يجري، فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر، ينظر فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل؛ يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر، حتى أتى بطن محسر، فحرك قليلا، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة، فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادي، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثا وستين بيده، ثم أعطى عليا، فنحر ما غير، وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر، فطبخت، فأكلا من لحمها، وشربا من مرقها،



ثم ركب رسول الله ﷺ، فأفاض إلى البيت، فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد  
المطلب يسقون على زمزم  
فقال: انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقائكم لنزعت  
معكم، فناولوه دلوفا فشرب منه.



## المبحث الثاني

### وفاة النبي ﷺ

الحديث في هذا الموقف، والكتابة فيه من أصعب ما يشعر به الإنسان، كيف وهو يخط ويتتبع المراحل التي مرت بمرض أفضل مخلوق على وجه الأرض، فإن كل مصاب بجانب مصابه لا شيء، وكل مصيبة بجوار مصيبة موته لا شيء، فإن الإنسان عندما يتذكر عزيزا عليه قد مات ويتطرق الحديث إلى مرضه وكيفية موته، لا يتمالك نفسه، ولا يتحكم في عبارته، فكيف بمن هو أحب إليه من الدنيا بإثرها!!؟

#### ● مقدمات بين موت النبي ﷺ

كان النبي ﷺ يعلم فجيعة الأمة به، من أجل لمح النبي وصرح قبل أن يموت بعام بدنو أجله في مواقف كثيرة ليكون وقع الأمر هيننا على أصحابه. من هذه المواقف:

١. كمال الدين في حجة الوداع

روى البخاري عن عمر بن الخطاب: أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين! آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: أي آية؟



قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ

الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم، والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة.<sup>(١)</sup>

وهذا يدل على أن النبي ﷺ قد بلغ الرسالة.

٢ . وصيته لأُمَّته بين مكة والمدينة

روى مسلم عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فبينا خطيباً بماء يدعى خمًا بين مكة والمدينة، فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ، وذكر، ثم قال: أما بعد: ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به - فحث على كتاب الله ورغب فيه - ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي.<sup>(٢)</sup>

وفي هذا الحديث إشارة من النبي ﷺ بقرب أجله.

٣ . سورة النصر علامة على قرب أجله ﷺ

وهي آخر سورة نزلت من القرآن

(١) البخاري (٤٥)

(٢) مسلم (٢٤٠٨)



روى البخاري: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يديني ابن عباس فقال له عبد الرحمن بن عوف: إن لنا أبناء مثله!

فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمر ابن عباس عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَاءَ

نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]

فقال: أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه، فقال: ما أعلم منها إلا ما تعلم.<sup>(١)</sup>

٤ . إخباره ﷺ عن دنو أجله في الحج

روى مسلم عن جابر قال: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه.<sup>(٢)</sup>

٥ . تلميحه لمعاذ بذلك حين بعثه إلى اليمن

عن معاذ بن جبل قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: يا معاذ! إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا، أو قبري، فبكي معاذ جشعا لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت، فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا<sup>(٣)</sup>

(١) البخاري (٤٤٣٠)

(٢) مسلم (١٢٩٧)

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢١٥٤٩)



وفي أوائل صفر سنة ١١ هـ خرج النبي ﷺ إلى أحد، فصلي على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكنني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها».<sup>(١)</sup>

• مرضه ﷺ وما أخبر به ﷺ أثناءه

وفي اليوم الثامن أو التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١هـ- وكان يوم الاثنين- شهد رسول الله ﷺ جنازة في البقيع، فلما رجع، وهو في الطريق أخذته صداع في رأسه، واتقدت الحرارة، حتى إنهم كانوا يجدون سَوْرَهَا فوق العِصَابَةِ التي تعصب بها رأسه.

وقد صلي النبي ﷺ بالناس وهو مريض ١١ يوماً، وجميع أيام المرض كانت ٣١، أو ٤١ يوماً.<sup>(٢)</sup>

١. النبي ﷺ يستأذن أزواجه

عن عائشة قالت: اشتكى ﷺ فجعل ينفث، فجعلنا نشبه نفثه نفث آكل الزبيب، وكان يدور على نسائه، فلما اشتكى شكواه استأذنه أن يكون في

(١) البخاري (١٣٤٤)

(٢) الرحيق المختوم ص ٥٢٣، ٥٢٢



بيت عائشة، ويدرن عليه فأذن له، فدخل رسول الله ﷺ بين رجلين متكئا عليهما أحدهما عباس ورجلاه تخطان في الأرض.

قال ابن عباس: أفما أخبرتك من الآخر، قال: لا، قال: هو علي (١)

٢ . النبي ﷺ يخرج على أصحابه في المسجد ويوصي بأبي بكر

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس، وقال: إن الله خير عبدا بين الدنيا، وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله، فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: إن من أمن الناس علي في صحبته وماله، أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي، لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا ييقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر. (٢)

٣ . مرض النبي ﷺ بمرض رجلين من المسلمين

روى البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله! إنك لتوعك وعكا شديدا!

قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت: ذلك أن لك أجرين؟

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢٣٥٨٣)

(٢) البخاري (٣٦٥٤)



قال: أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة، فما فوقها، إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها. (١)

٤ . من آخر وصاياه للأمة

. روى مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل. (٢)

. روى مسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لا اتخذت أباً بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك. (٣)

. روى البخاري عن سعيد بن جبير سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمه الحصى، قلت: يا أبا عباس! ما يوم الخميس؟

(١) البخاري (٥٦٤٨)

(٢) مسلم (٢٨٧٧)

(٣) مسلم (٥٣٢)



قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما له أهدر استفهموه، فقال: ذروني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه، فأمرهم بثلاث قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. (١)

. روى البخاري عن أنس بن مالك قال: مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال: فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشية وعييتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم. (٢)

### • النبي ﷺ يأمر أبا بكر بالصلاة بالناس

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة، فأذن فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس

(١) البخاري (٣١٦٨)

(٢) البخاري (٣٧٩٩)



ف قيل له: إن أبا بكر رجل أسيف؛ إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة فقال: إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس، فخرج أبو بكر فصلى فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة، فخرج يهادى بين رجلين، كأني أنظر رجله تخبطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخر، فأوماً إليه النبي ﷺ أن مكانك، ثم أتى به حتى جلس إلى جنبه.<sup>(١)</sup>

### • المرض يثقل بالنبي ﷺ

روى البخاري عن عائشة قالت: ثقل النبي ﷺ، فقال أصلى الناس؟

قلنا: لا هم ينتظرونك

قال: ضعوا لي ماء في المخضب، قالت: ففعلنا، فاغتسل، فذهب لينوء،

فأغمي عليه، ثم أفاق فقال ﷺ: أصلى الناس؟

قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله

قال: ضعوا لي ماء في المخضب

قالت: فقعد، فاغتسل، ثم ذهب لينوء، فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى

الناس؟

قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله

(١) البخاري (٦٦٤)



فقال: ضعوا لي ماء في المخضب، فقعده، فاغتسل، ثم ذهب لينوء، فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟

فقلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله، والناس عكوف في المسجد، ينتظرون النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر، بأن يصلي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً-: يا عمر! صل بالناس

فقال له عمر: أنت أحق بذلك، فصلى أبو بكر تلك الأيام، ثم إن النبي ﷺ وجد من نفسه خفة، فخرج بين رجلين، أحدهما العباس لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر، ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ، بأن لا يتأخر

قال: أجلساني إلى جنبه، فأجلساه إلى جنب أبي بكر  
قال: فجعل أبو بكر يصلي، وهو يأت بصلاة النبي ﷺ، والناس بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد. (١)

### • النبي ﷺ يودع أصحابه بابتسامة الرضا

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين، وأبو بكر يصلي لهم، لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ، قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم

(١) البخاري (٦٨٧)



تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه، ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة فقال أنس: وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول ﷺ: أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجر، وأرخصي الستر.

وفي رواية: وتوفي ذلك اليوم<sup>(١)</sup>

### • ونعم السلف أنا لك

هذه آخر كلماته ﷺ لفاطمة رضي الله عنها روى مسلم عن عائشة قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: مرحبا بابنتي، فأجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم إنه أسر إليها حديثا، فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضا فقلت لها: ما يبكيك؟

فقلت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ فقلت: ما رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن، فقلت لها حين بكت: أحصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا، ثم تبكين، وسألتها عما قال؟ فقلت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى إذا قبض سألتها فقلت: إنه كان

(١) البخاري (٤٤٨)



حدثني: أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراي إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقا بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، ثم إنه سارني فقال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة، فضحكت لذلك.<sup>(١)</sup>

• من آخر كلماته ﷺ

روى مسلم عن عائشة: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت وهو مسند إلى صدرها وأصغت إليه وهو يقول: اللهم اغفر لي وارحمني وألحطني بالرفيق.<sup>(٢)</sup>

• ويموت النبي ﷺ في حجر عائشة رضي الله عنها

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا غدا أين أنا غدا- يريد يوم عائشة- فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نخري وسحري، وخالط ريقه ريقتي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقلت له:

(١) مسلم (٢٤٥٠)

(٢) مسلم (٢٤٤٤)



أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه، فقضمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستن به، وهو مستند إلى صدري. (١)

### • النبي ﷺ وسكرات الموت

عن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقِي وريقه عند موته، دخل علي عبد الرحمن وبیده السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟

فأشار برأسه: أن نعم

فتناولته فاشتد عليه، وقلت: ألبنه لك؟

فأشار برأسه: أن نعم، فلبنته، فأمره وبين يديه ركوة أو علبه، فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات، ثم نصب يده، فجعل يقول: في الرفيق الأعلى حتى قبض، ومالت يده. (٢)

وهكذا أرخى الستر على حياة أعظم شخصية في التاريخ، وأفضل مخلوق في الدنيا، وما هو إلا بشر يذوق الموت كما يذوقه البشر، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ

(١) أخرجه البخاري (٤٤٥٠)

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٤٩)



عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنُيَضِرَ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ  
الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران: ١٤٤]

وقال سبحانه لنبيه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]

وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ  
الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]

وكان موته ﷺ في ضحى يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ وقد بلغ من  
العمر ثلاث وستين عاما وزادت أربعة أيام

#### • موقف الصحابة بعد موته ﷺ

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ  
مات، وأبو بكر بالسنح . يعني بالعالية . فقام عمر يقول: والله ما مات رسول  
الله ﷺ

قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن  
أيدي رجال، وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ، فقبله  
قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله  
الموتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الخالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر  
جلس عمر، فحمد الله أبو بكر، وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدا  
ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، وقال:  
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ



قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى  
عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾

قال: فنشج الناس سيكون

قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادَةَ في سقيفة بني ساعدة، فقالوا منا أمير، ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبتني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء

فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل؛ منا أمير، ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكننا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً، وأعرهم أحساباً، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة بن الجراح

فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادَةَ، فقال: عمر قتله الله. <sup>(١)</sup>

(١) البخاري (٣٦٧٠)



هذا ما أردت أن أخطه في هذا القسم من مختصر لسيرة النبي ﷺ، وفي ثنايا  
السيرة تلوح رحمة النبي ﷺ بالخلق أجمع، وأنه خير رحيم خلقه الله تعالى.  
وتفصيل رحمته ﷺ سنعرفه بإذن الله في الكتاب القادم.  
وصلّي اللّهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
أبوحسام الدين  
سيف النصر علي عيسى



فهرس الموضوعات

٣	..... مقدمة
٨	..... الفصل الأول: من نسبه ﷺ إلى بعثته
٨	..... أولا: نسبه ﷺ
٩	..... ثانيا: أسماؤه ﷺ
١١	..... شرح معاني أسمائه ﷺ
١٥	..... ثالثا: حادثة الفيل وبعض الفوائد المستنبطة منها
٢٠	..... ومن فوائد هذا الحدث العظيم:
٢٣	..... رابعا: ولادته ﷺ
٢٦	..... خامسا: ماذا حدث بعد ولادته ﷺ
٣٢	..... سادسا: رضاعته ﷺ
٣٤	..... وفي رضاعة النبي ﷺ في بني سعد فوائد منها:
٣٥	..... أم أيمن حاضنة النبي ﷺ
٣٥	..... سابعا: حادثة شق الصدر
٣٦	..... وفي حادثة شق صدره ﷺ فوائد منها:
٣٧	..... ثامنا: رجوعه ﷺ إلى أمه ووفاة أمنة وكفالة جده عبد المطلب
٣٨	..... تاسعا: رحلة النبي ﷺ مع عمه إلى الشام
٤٠	..... عاشرا: شبهة ومكر من المستشرقين



- ٤٢..... حادي عشر: شهوده ﷺ حرب الفجار (٥٨٠ - ٥٩٠).....
- ٤٤..... ثاني عشر: حلف الفضول.....
- ٤٥..... سبب تسميته بحلف الفضول.....
- ٤٧..... من فوائده حلف الفضول.....
- ٤٩..... ثالث عشرة: حياته ﷺ ورعي الغنم.....
- ٤٩..... ما اكتسبه النبي ﷺ من رعي الغنم.....
- ٥٣..... رابع عشرة: زواجه ﷺ من خديجة رضي الله عنها.....
- ٥٦..... خامس عشرة: اشتراكه ﷺ في بناء الكعبة المشرفة مع أهل مكة.....
- ٦١..... العبر والعظات من قصة بناء الكعبة:.....
- ٦٤..... الفصل الثاني: من البعثة إلى الهجرة.....
- ٦٤..... أولاً: في غار حراء.....
- ٦٦..... ثانياً: ونزل جبريل بالرسالة.....
- ٧٠..... ثالثاً: انقطاع الوحي.....
- ٧٣..... رابعاً: ثم تتابع الوحي.....
- ٧٤..... خامساً: أنواع الوحي.....
- ٧٦..... سادساً: الدعوة السرية.....
- ٧٩..... ملخص أسباب سرية الدعوة.....
- ٨٠..... سابعاً: الجهر بالدعوة.....
- ٨٥..... جوهر دعوة النبي ﷺ هو التوحيد.....



- ثامنا: قريش تنتفض لمجاهة الدعوة ..... ٨٦
١. شكوى قريش إلى أبي طالب من النبي ﷺ ..... ٨٧
٢. الاتهامات الباطلة لصد الناس عنه من خلال إعلامهم الكاذب ..... ٨٧
٣. السخرية والاستهزاء والضحك ..... ٨٩
- ٤ . التشويه عليه وصرف الناس عنه والحيلولة بينهم وبين سماع القرآن ..... ٩٢
- ٥ . الإيذاء البدني ..... ٩٢
- إيذاء الصحابة وصرهم على الأذى ..... ٩٤
- ١ . بلال في بطحاء مكة ..... ٩٤
- ٢ . صبرا آل ياسر ..... ٩٦
- ٣ . خباب بن الأرت ينطفئ الحديد بشحم جسده ..... ٩٧
- تاسعاً: قريش ومنهج المساومة وحوار مع النبي ﷺ ..... ٩٨
- وقفات مع هذا الحوار والاستفادة منه ..... ١٠٠
- الأرقم بن أبي الأرقم يأوى الدعوة ..... ١٠٤
- أسباب اتخاذ النبي ﷺ دار الأرقم خاصة ..... ١٠٤
- عاشراً: الهجرة الأولى إلى الحبشة ..... ١٠٦
- حادتي عشر: أبو بكر الصديق وخروجه إلى الحبشة ..... ١٠٧
- وفي هجرة أبي بكر من الفوائد: ..... ١٠٩
- خير كاذب ..... ١١٠
- ثاني عشر: الهجرة الثانية للحبشة ومكيدة قريش لهم ..... ١١١



- ١١٩ ..... ثالث عشر: إسلام حمزة وعمر بن الخطاب
- ١٢٠ ..... وأما إسلام عمر
- ١٢١ ..... رابع عشر: حصار النبي ﷺ في شعب أبي طالب وميثاق الظلم
- ١٢٢ ..... خامس عشر: وتوالت الأحزان
- ١٢٢ ..... موت أبي طالب
- ١٢٦ ..... ثم ماتت خديجة رضي الله عنها
- ١٢٧ ..... سادس عشر: الزواج بأُم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها
- ١٢٨ ..... سابع عشر: الرحلة إلى الطائف
- ١٣١ ..... الفصل الثالث : بشائر الفرحة
- ١٣١ ..... أولا: زواجه ﷺ من أُم المؤمنين عائشة بنت الصديق
- ١٣١ ..... شبيهة الملحدين في زواج النبي ﷺ بعائشة
- ١٣٢ ..... ثانيًا: قصة الإسراء والمعراج
- ١٣٦ ..... ثالثًا: المستفاد من واقعة الإسراء والمعراج
- ١٤١ ..... رابعًا: أحداث وقعت ليلة الإسراء والمعراج ذكرت في أحاديث متفرقة: .
- ١٤٧ ..... خامسًا: بيعة العقبة الأولى
- ١٤٩ ..... سفير الإسلام في المدينة
- ١٤٩ ..... سادسًا: بيعة العقبة الثانية
- ١٥١ ..... أسباب اختيار المكان في بيعة العقبة
- ١٥٣ ..... سابعًا: هجرة النبي ﷺ إلى المدينة



- بشائر الهجرة ..... ١٥٣
- ثامنا: مؤامرة أهل مكة على النبي ﷺ ..... ١٥٤
- تاسعا: قصة الهجرة ..... ١٥٥
- عاشرا: بعض الدروس المستفادة من الهجرة النبوية إلى المدينة ..... ١٦٢
- الفصل الرابع : العهد المدني أحداث وغزوات ..... ١٦٧
- المبحث الأول: بناء المجتمع المدني ..... ١٦٧
- أولا: النبي ﷺ في بني عمرو بن عوف من بني النجار ..... ١٦٧
- ثانيا: النبي وبناء المسجد ..... ١٦٨
- ثالثا: النبي ﷺ يخبر عمار عن مصيره ..... ١٧١
- رابعا: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ..... ١٧١
- خامسا: المعاهدة مع الكفار واليهود ..... ١٧٣
- المبحث الثاني: الدخول في مرحلة القتال ..... ١٧٨
- أولا: تحرش أهل مكة بالنبي ﷺ ..... ١٧٨
- ثانيا: الإذن بالقتال ..... ١٨٠
- ثالثا: هل بعث النبي ﷺ لغاية القتال؟ أم بعث لنشر الإسلام؟ ..... ١٨٣
- من السيرة بعض المواقف: الموقف الأول: موقف أبو لهب مع النبي ﷺ .. ١٨٤
- الموقف الثاني: موقف عقبة بن أبي معيط مع النبي ﷺ ..... ١٨٥
- الموقف الثالث: موقف آل ياسر ..... ١٨٦
- الموقف الرابع: موقف خباب بن الأرت ..... ١٨٦



- الجهاد ماض إلى يوم القيامة ..... ١٨٨
- خامسا: الغزوات والسرايا قبل غزوة بدر ..... ١٩٠
- مصائر قادة النبي ﷺ ..... ١٩٤
- القيادة من الأمام .. ..... ١٩٦
- الغزوات والسرايا قبل غزوة بدر الكبرى ..... ٢٠٤
- سرية سيف البحر ..... ٢٠٤
- ٢ . سرية بطن رابع وأول يوم يلتقي فيه المسلمون بالكفار ..... ٢٠٦
- ٣ . سرية الحَرَّار ..... ٢٠٧
- ٤ . غزوة الأبواء ( أو ودَّان) ..... ٢٠٨
- ٥ . غزوة بواط ..... ٢١٠
- ٦ . غزوة سفوان ..... ٢١٢
- ٧ . غزوة العشير أو العشيرة ..... ٢١٣
- ٨ . سرية نَحْلَة: ..... ٢١٥
- وفي هذه السرية تظهر جملة من أخلاق الحرب النبوية: ..... ٢١٧
- تحويل القبلة ..... ٢١٧
- تشريع فريضة صيام شهر رمضان ..... ٢١٩
- تشريع زكاة الفطر ..... ٢٢١
- المبحث الثالث: غزوة بدر الكبرى ..... ٢٢٣
- أولا : أحداث الغزوة ..... ٢٢٣



- ٢٢٣ ..... سبب الغزوة وعدد جيش المسلمين
- ٢٢٥ ..... رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب
- ٢٢٨ ..... أبوسفیان يرسل إلى قريش لطلب النجدة وتحقق رؤيا عاتكة
- ٢٣١ ..... أبو جهل يعاند فلم يرجع وترجع بنو زهرة
- ٢٣٢ ..... النبي يشاور أصحابه
- ٢٣٤ ..... لن استعين بمشرك
- ٢٣٥ ..... الحباب بن المنذر ورأيه في المكان الذي يجب أن يكونوا فيه
- ٢٣٧ ..... ينزل المطر تثبيتاً للمؤمنين وإرعاباً للكافرين
- ٢٣٨ ..... ليلة بدر الكل نيام إلا رسول الله ﷺ
- ٢٣٩ ..... عريشا لرسول الله ﷺ ويدعو الله طلباً للنصر
- ٢٤٠ ..... وجاء العون من الله
- ٢٤٠ ..... أبوجهل يسوق قومه إلى هلاكهم
- ٢٤١ ..... عتبة بن ربيعة يدعو قريش للرجوع وعدم الحرب
- ٢٤٢ ..... اشتداد القتال
- ٢٤٣ ..... وخاب ظن المنافقون
- ٢٤٣ ..... استشهاد عمير بن الحمام
- ٢٤٤ ..... وما رميت إذ رميت
- ٢٤٤ ..... مشاركة الملائكة
- ٢٤٥ ..... مصرع أبي جهل فرعون الأمة على يد غلامين



- ٢٤٦ ..... ابن مسعود يجهز على أبي جهل
- ٢٤٨ ..... قتل أمية بن خلف وابنه
- ٢٤٨ ..... حربة الزبير وقتل المدحج بالسلاح
- ٢٤٩ ..... وقوف النبي ﷺ على القتلى يخاطبهم متأسفا عليهم
- ٢٥٠ ..... رجوع النبي ﷺ من بدر
- ٢٥٠ ..... أسرى بدر ورحمة النبي ﷺ
- ٢٥٣ ..... جمع الغنائم وتوزيعها :
- ٢٥٤ ..... ثانيا: بعض ما يستفاد من الغزوة من دروس وعبر
- ٢٥٩ ..... من نعم الله تعالى على المسلمين في بدر
- ٢٦١ ..... المبحث الرابع: أهم الأحداث ما بين بدر وأحد
- ٢٦١ ..... أولا: غزوة بني سليم
- ٢٦١ ..... ثانيا: بناء النبي ﷺ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
- ٢٦٢ ..... حقد الأعداء على النبي ﷺ
- ٢٦٦ ..... شبهة المستغربين وطعنهم في زواج النبي ﷺ من عائشة
- ١٦٧ ..... ثالثا: غدر اليهود من بني النضير ومعاملة النبي ﷺ لهم بالعدل
- ٢٧٠ ..... رابعا: قتل كعب بن الأشرف
- ٢٧٣ ..... خامسا: غزوة السويق
- ٢٧٥ ..... وبعد بدر كانت الحياة في المدينة
- ٢٧٦ ..... المبحث الخامس : غزوة أحد



- أولاً: أهم الأحداث ..... ٢٧٦
- أهل مكة يتجمعون في أحد والنبي ﷺ يشاور أصحابه ..... ٢٧٦
- النبي يرى في منامه نتيجة المعركة ..... ٢٧٨
- ورجع رأس المنافقين بثلاث الجيش ..... ٢٧٨
- خطة النبي ﷺ وتعبئة الجيش ..... ٢٧٩
- تحميل الشباب المسؤولية وإرجاع من لا يقوى على الحرب رحمة به ..... ٢٧٩
- قوام الجيش المكي وخطته ..... ٢٨٠
- وكانت نهاية أبوعامر الفاسق ..... ٢٨٠
- شعار المسلمين وشدة صلابتهم ..... ٢٨١
- عصيان الرماة لأمر النبي ﷺ وانتهاز المشركين هذه الفرصة ..... ٢٨١
- المشركون يصلون إلى رسول الله ﷺ ..... ٢٨٢
- بسالة المسلمين ودفاعهم عن رسول الله ﷺ ..... ٢٨٢
- شجاعة أنس بن النضر ..... ٢٨٣
- وقتل أبي بن خلف بيد رسول ﷺ ..... ٢٨٣
- رسول الله ﷺ تحت لواء الأنصار ..... ٢٨٤
- وفاز حنظلة بتغسيل الملائكة ..... ٢٨٤
- شجاعة النساء كشجاعة الرجال ..... ٢٨٥
- شهادة الأصرم مع أنه لم يصل صلاة قط ..... ٢٨٥
- أبو سفيان ينادي المسلمين شماتة بهم ..... ٢٨٦



- ٢٨٧ ..... ثانيا: من أحداث المعركة المتفرقة
- ٢٨٩ ..... المؤمنين رجال
- ٢٩٠ ..... مقتل أسد الله حمزة بن عبد المطلب
- ٢٩٣ ..... ثالثا: من فوائد غزوة أحد
- ٢٩٥ ..... المبحث السادس : أهم الأحداث بين أحد والخندق
- ٢٩٥ ..... أولا: حمراء الأسد
- ٢٩٥ ..... ثانيا: سرية أبي مسلمة
- ٢٩٦ ..... ثالثا: غزوة بني المصطلق (المريسيع)
- ٢٩٧ ..... رابعا: زواج النبي ﷺ من جويرية بنت الحارث
- ٢٩٨ ..... خامسا: حادثة الإفك
- ٣٠٩ ..... بعض ما يستفاد من حادثة الإفك
- ٣١٢ ..... المبحث السابع: غزوة الأحزاب (الخندق)
- ٣١٢ ..... سبب الغزوة
- ٣١٣ ..... استحابة القبائل لليهود وعدد الجيش
- ٣١٤ ..... النبي يأمر بجفر الخندق تبعا لمشورة سلمان الفراسي
- ٣١٤ ..... النبي يواسي الصحابة ويعمل معهم
- ٣١٥ ..... من معجزاته ﷺ تكثير الطعام
- ٣١٦ ..... ومن معجزاته تحطيم الصخرة العظيمة والتنبأ بفتح البلاد
- ٣١٧ ..... مكانة الخندق وعدد المسلمين



- ونقضت بنو قريظة العهد بتحريض من حبي بن أخطب ..... ٣١٨
- مدة الحصار وشجاعة علي بن أبي طالب ..... ٣١٩
- هم النبي بصلح غطفان على ثلث ثمار المدينة وشجاعة الأنصار ..... ٣١٩
- خدعة نعيم بن مسعود للمشركين ويهود نصر الله بها المسلمين ..... ٣٢٠
- جند الله لنصرة نبيه ..... ٣٢١
- من نوادر ما حدث في غزوة الأحزاب ..... ٣٢٢
- القرآن ينزل بأحداث غزوة الأحزاب ..... ٣٢٥
- خطة الرسول في موقعة الخندق حازت إعجاب ..... ٣٢٥
- من فوائد غزوة الخندق ..... ٣٢٦
- المبحث الثامن: ما بعد غزوة الأحزاب إلى الحديبية ..... ٣٢٩
- أولا: غزوة بني قريظة ..... ٣٢٩
- وفيها كل العدل والرحمة ..... ٣٣٢
- ثانيا: قتل عبد الله بن أنيس أبا رافع اليهودي ..... ٣٣٤
- ثالثا: غزوة بني لحيان ..... ٣٣٥
- رابعا: سرية الخبط ..... ٣٣٦
- المبحث التاسع: الطريق إلى الحديبية ..... ٣٣٨
- استشارة النبي ﷺ لأصحابه ..... ٣٣٨
- اختيار عثمان بن عفان مبعوثا للنبي إلى أهل مكة ..... ٣٣٩
- بيعة الرضوان ..... ٣٤٠



- رجوع عثمان من مكة سالما ..... ٣٤١
- بديل بن ورقاء يأتي بخبر للنبي ..... ٣٤١
- عروة بن مسعود الثقفي مبعوث قريش إلى النبي ﷺ ..... ٣٤٢
- ورأى عروة من الصحابة عجا ..... ٣٤٣
- عقد صلح الحديبية وبنوده ..... ٣٤٤
- رجوع النبي ﷺ إلى المدينة ونزلت سورة الفتح ..... ٣٤٧
- المبحث العاشر : بعد الحديبية ..... ٣٥٠
- قصة أبي بصير ..... ٣٥٠
- مكاتبة النبي ﷺ للملوك ..... ٣٥١
- قصة سلمة بن الأكوع وغزوة ذي قرد ..... ٣٥٢
- المبحث الحادي عشر : غزوة خيبر ..... ٣٥٧
- عرض مختصر للغزوة ..... ٣٥٧
- أهم ما حدث في الغزوة ..... ٣٦٢
- المبحث الثاني عشر : أحداث بين خيبر وفتح مكة ..... ٣٦٦
- رد المهاجرين منح الأنصار بعدما وسع الله عليهم ..... ٣٦٦
- سرية الصديق إلى بني فزارة ..... ٣٦٦
- سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة بفدك ..... ٣٦٧
- سرية أسامة إلى الحرقة من جهينة ..... ٣٦٧
- عمرة القضاء ..... ٣٦٨



- سرية مؤتته ..... ٣٧٠
- المبحث الثالث عشر : فتح مكة ..... ٣٧١
- خطبة النبي ﷺ في بيت الله الحرام ..... ٣٧٦
- الأنصار وموقفهم من الغنائم ..... ٣٧٧
- تحريم زواج المتعة في فتح مكة ..... ٣٧٨
- العفو الشامل لأهل مكة إلا نفر ..... ٣٧٨
- فتح مكة أعظم فتح في التاريخ ..... ٣٧٩
- المبحث الثالث عشر : غزوة حنين ..... ٣٨٢
- أسماء الغزوة ..... ٣٨٢
- أسباب الغزوة ..... ٣٨٢
- التحرك لغزوة حنين ..... ٣٨٥
- تتبع المشركين إلى الطائف ..... ٣٨٨
- موقف عظيم للأنصار ..... ٣٨٩
- القرآن يقص علينا غزوة حنين ..... ٣٩١
- هوزان وموقف عظيم رحيم من مواقف النبي ﷺ ..... ٣٩٢
- ورجع النبي ﷺ إلى المدينة ..... ٣٩٤
- موقف النبي ﷺ من إيلاء زوجاته ..... ٣٩٥
- المبحث الخامس عشر : غزوة تبوك ..... ٤٠٠
- الصحابة يقدمون أفضل أموالهم وعثمان سبقهم ..... ٤٠٢



- ومن الصحابة من لم يجد ما يحمله عليه ..... ٤٠٢
- النبي يستخلف علي بن أبي طالب على المدينة ..... ٤٠٣
- الطريق إلى تبوك ..... ٤٠٤
- الوصول إلى تبوك ..... ٤٠٦
- رجوع النبي ﷺ إلى المدينة وتعرضه للاغتيال ..... ٤٠٧
- الفصل الخامس : ماذا بعد الغزوات ..... ٤٠٩
- المبحث الأول : حجة النبي ..... ٤٠٩
- المبحث الثاني: وفاة النبي ﷺ ..... ٤١٥
- مقدمات بين موت النبي ﷺ ..... ٤١٥
- مرض النبي ﷺ وما أخبر به ﷺ أثناءه ..... ٤١٨
- النبي ﷺ يأمر أبا بكر بالصلاة بالناس ..... ٤٢١
- المرض يثقل بالنبي ﷺ ..... ٤٢٢
- النبي ﷺ يودع أصحابه بابتسامة الرضا ..... ٤٢٣
- ونعم السلف أنا لك ..... ٤٢٤
- من آخر كلماته ﷺ ..... ٤٢٥
- ويموت النبي ﷺ في حجر عائشة رضي الله عنها ..... ٤٢٥
- النبي وسكرات الموت ..... ٤٢٦
- موقف الصحابة بعد موته ..... ٤٢٧
- فهرس الموضوعات ..... ٤٣٠

